مختصر المختصر
النكاح

مواعظ الأزواج

صنّفه

أبو عبد الله

محمود بن محمد الحداد

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يَهده الله فلا مُضِلَّ له
ومن يُضللْ فلا هاديَ له
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله
أما بعد
فقد كنتُ صنفتُ كتاب ليالي الأفراح سنة عشرين وأربعمائة
ورأيتُ الآن إفراد هذا الكتاب منه دون زيادة ليعمَّ نفعه .
ولما كان الزواج صحبة وأي صحبة هو !
إما صحبة جنة أو نار في الدنيا والآخرة
فإن معرفة آداب هذه الصحبة من الأهمية بمكان .
وكلٌّ يأخذ معرفته من دينه !
فمن كان دينه
التشبه بالكفار
أو اتباع أهواء نفسه
أو متابعة الناس كما قيل :
وجدنا آباءنا من قبلنا أو وجدنا الناس في زماننا
فهو على ذلك في العلم والعمل .
ولكن العجب ممن يجمع العلم من الإسلام،والعمل من غيره !
ولا عجبَ فإن هذا هو دين مبتدعة الإرجاء الذين أَخّروا
العمل عن العمل ، يعيش أحدهم كأنه بوجهين !
وأشد البلاء أن تجد من يخالف الإسلام ويزعم نفاقًا وعماية
أنه يوافقه ! فاللهم سلِّمْ سَلِّمْ ، فهؤلاء موعدهم الدابة !
وكتب أبو عبد الله لليالٍ بقين من شهر ربيع الأول
سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وألف

الباب الأول
وصايا الآباء والعلماء للعروس

روي أن المرأة إذا زُفَّت في المدينة كانت تبدأ بأمهات المؤمنين فيوصينها، وقد ذكرتُه هاهنا في الزفاف.

الفصل الأول

وصية رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- لابنته فاطمة رضى الله عنها، ولا تصحُّ إسنادًا، إنما سُقتُها للنصيحة فقط فلا تجوز نسبتها فانتبه .

ذكرها صاحب كتاب الفردوس [محاسن الجواري 11/ ف]

يابنيتي أيُّما امرأةٍ
دعاها زوجها إلى فراشها فأبت خرجت من حسناتها.
يُصبح الزوج ويُمسي مغتمًا بحالها لعنها الله وكل مَلَك.
نظرت إلى زوجها بوجه عَبوس..
كلَّفْتُ زوجها ما لا طاقة له به...
قالت لزوجها: أراحني الله منك ...

- لعلي ليلة بنائه بفاطمة – رضى الله عنهما، وهي وصية طويلة في أمور الجماع، ولا تصح نسبةً وأسانيدها ساقطة

وهي مجموعة من كلام العامة والأطباء وو ، وتدور على الكذابين مثل إسحاق بن نَجيح وحماد بن عَمرو، ومن طرقها ما رواه صاحب الموضوعات (2/ 267- 268) من طريق ابن حبان في المجروحين (واللآلى 2/167) ثنا عمر : ثنا عبد الله بن وهب النسوي : ثنا أبو بدر : أنبأ خُصَيف عن مجاهد عن أبى سعيد- رضي الله عنه- قال: أوصى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا، فقال: يا علي إذا دخلت العروس بيتك فاخلع خفك حين تجلس واغسل رِجْلها وصُبَّ الماء على باب دارك ، فإنك إذا فعلتَ أخرج الله من دارك سبعين بابا من الفقر، وأدخل فيه سبعين بابًا من البركة، وأنزل عليها سبعين رحمة، وتأمن العروس من الجنون والجذام والبرص ما دامت في تلك الدار . وامنع العروس في أسبوعها الأول من اللبان والخل والكزبرة والتفاحة الحامضة لأن الرحم يَعقم من هذه الأشياء. قال ابن حبان:وذكر حديثًا طويلاً في ورقتين، والنسوي شيخ دجال يضع الحديث .

وروي في الأب يقول لولده بعد أن يزوِّجه :

لَا جَعَلَكَ اللَّهُ عَلَيَّ فِتْنَةً فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ

رواه ابن السني [456 والكنز45334] .

ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتي الكثير منها إن شاء الله في المعاشرة بالمعروف .

الفصل الثاني
عمر رضي الله عنه

1- لابنته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنـها
وإن كان ذلك في غير ليلة البناء لما دعته الحاجة إلى ذلك :
قال رضي الله عنه: دخلت على حفصة.
فقلت لها: أَيْ حفصةُ، أتغاضبُ إحداكن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليومَ حتى الليل؟
قالت: نعم.
فقلت: قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتهلكي؟!
لا تستكثري رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه، وسلينى ما بدا لك.
رواه البخاري ومسلم .
2- ولسَلْمان بن ربيعة- رحمه الله تعالى، وقيل: له صحبة.
قال أبو عثمان:
دخلتُ أنا وسَلْمان بن ربيعة الباهلي على عمر بن الخطاب، وسفيان قريب عهد بعرس .
فقال له: كيف وجدتَ أهلك ؟
ثم قال له: كيف تصنع إذا أصابتك الجنابة ثم أردتَ أن تنام؟
فقال (سفيان): أَخْبِرْني كيف أصنع؟
قال: إذا أتيتَ أهلك، ثم أردتَ أن تنام فاغسل فرجك ويديك، ثم وجهك.
ثم سارّه عمر، فلما خرجنا مِن عنده:
قلت: ما سارّك به أمير المؤمنين ؟
قال: قال لي: إذا أتيتَ أهلك ثم أردتَ أن تعود فاغسل فرجك ويديك ووجهك ، ثم عُدْ .
وقال: فذكرنا عند أبي المستهل:

قال: ذكرنا هذا الحديث عند أبي سعيد (الخُدْرِي رضي الله عنه) فقال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إذا أتى أحدُكم أهله فلا تَعُدْ حتى يغسل فرجه .
رواه ابن أبى شيبة (1/ 79- 0 8) والمحاملي (الكنز 16ح 5881 4)
وإنما نصحه بعد زواجه ، لم يمكنه ذلك قبل زواجه فذلك أوْلى كما في هذه القصة:
قال عُبيدة بن مُعَتِّب الضبي:
تزوجتُ، ولم يعلم إبراهيم (بن يزيد النخعي من فقهاء التابعين رحمه الله تعا لى)، فأخبرته
فقال: ألا أخبرتني (قبل ذلك) حتى أعلمك كيف كانوا يصنعون؟
فقلت: ألم أخبرك؟
قال: ما أخبرتني ، إن أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا لا يقربون نساءهم حتى تصلي المرأة خلف زوجها.
فإن أبت أن تصلي خلفه، فصلِّ أنت ركعتين ، ثم قل:
اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيَّ .
اللهم ارزقني منها، وارزقها مني .
اللهم اجمع بيننا ما جمعتَ في خير .
وفَرِّقْ بيننا إذا فرقتَ في خير.
رواه محمد بن فُضَيل في الدعاء (34) : نا عُبيدة- به، وهذا إسناد حسن.

الفصل الثالث

وصية الصحابة رضي الله عنهم

قال أبو سعيد مولى أبي أسيد رضي الله عنه :
تزوجتُ وأنا مملوك، فدعوتُ نفراً مِن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيهم:ابن مسعود وأبو ذر وحذيفة.
قال: وأقيمت الصلاة، فذهب أبو ذر ليتقدم :
فقالوا : إليك ! قال: أوَ كذلك؟ قالوا: نعم .
قال: فتقدمتُ بهم وأنا عبدٌ مملوكٌ، وعلَّموني فقالوا:

إذا دَخَلَ عليك أهلُك فصلِّ ركعتين، ثم سل الله مِن خير ما دخل عليك وتعوَّذ به من شره، ثم شأنَك وشأنَ أهلك.
رواه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق
وفيه فائدة لطيفة لها أصلٌ فيمن سكن في بيتٍ لا يدرك المسجد أو جاء مسجدٍ زائرًا فقد قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إذا زار أَحدكم قومًا فلا يؤمهم .
وقال أبو وائل- رحمه الله تعالى:
جاء رجل يقال له أبو حَريز:
فقال: إني تزوجتُ جارية شابة بِكْرًا، وإني أخاف أن تَفرَكني أي تُبغضني .
فقال عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه):
إن الإلْف مِن الله، والفِرْك مِن الشيطان يريد أن يُكَرِّه إليكم ما أحلَّ الله لكم ،فإذا أتتك فأَمْرُها أن تصلي وراءك ركعتين، وقل: اللهم باركْ لي في أهلي، وباركْ لهم فيَّ .
اللهم اجمع بيننا ما جمعتَ بخير، وفَرّقْ بيننا إذا فَرَّقتَ إلى خير . رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني.
وأوّله مع حديث رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ .

الفصل الرابع

معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما

لابنته هند ، وقد زَوَّجها بنت تسع سنين، فامتنعتْ على زوجها فقال لها:
يا بنية لا تفعلي، فإنما هو زوجك الذي أحله الله لك.
أوَ ما سمعتِ يابنية قولَ الشاعر:
مِن الخَفِرات البِيضِ : أما حرامُها... فصَعبٌ،وأما حِلُّها فذَلُولُ
ويأتي سياقة الخبر مطولاً إن شاء الله ، في ليلة هند .

الفصل الخامس

جَعدة بن هُبيرة رحمه الله تعالى

وُلِدَ على عهد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمه أم هانىء وخاله علي وجعفر وعَقيل رضي الله عنهم .
كان إذا أهدى البنتَ مِن بناته خلا بها : فينهاها عن سيئ الأخلاق، وأمرها بأحسنها ، وكان يرى ذلك حسنًا .
رواه ابن أبى شيبة (4/ 309) وسعيد بن منصور (2170)

الفصل السادس

بعض السلف الصالح رحمهم الله تعالى

إياكِ والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق .
وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل .
وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء .
وكوني كما قلتُ لأمِّك في بعض الأحايين:
خذي العفوَ مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ
فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ
ذكره في عيون الأخبار (4/ 77)، لأبي الأسود الدؤلي وهو من كبار التابعين- رحمه الله تعالى- لابنته، ولكن في (3/ 11) جعل البيتين لشُرَيح !
وجعلهما غير واحد- كما سيأتي- لأسماء بن خارجة الفزاري، كما صنع في بهجة المجالس (2/ 56) وزاد بينهما ثالثًا ، وزاد غيره رابعًا :
ولاتنقريني نقرةَ الدفِّ مَرَّةً ... فإنك لاتدرين كيف المُغَيَّبُ
ولا تُكثري الشَّكْوَى فتذهبَ بالهَوَى ... ويأباك قلبي والقلوبُ تَقَلَّبُ
وقال البلاذري في أنساب الأشراف (2/ 306) رواية عن المدائني (وله تصانيف) عن ابن جعدبة قال:
قال عبد الله بن جعفر (بن أبي طالب) لابنته:
يابنية إياك والغيرةَ فإنها مفتاح الطلاق.
وإياك وكثرةَ المعاتبة فإنها تُورث الضَّغينة.
وعليكِ بالزينة والطيب:
واعلمي أن أزين الزينة الكحل،وأطيب الطيب إسباغ الوضوء
وقد ذكرتُ في جزء (كلمات الفرج) وصيته بكلمات الفرج لابنته عند إهدائها لزوجها :
لا إله إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ .
لا إله إلا اللهُ ربُّ العرش العظيم .
لا إله إلا اللهُ
ربّ السموات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم
والحمد لله رب العالمين .

الفصل السابع

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

لما زَوَّج أخته أم عمر لمحمد بن الوليد:

قال لامرأته فاطمة: عَلِّمي هذه الصبية ما كنتِ تَعلمين

قالت: أو ما تغار ؟!

قال: إنما الغيرة في الحرام، ليس في الحلال غيرة بعد قول رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني لعلي وفاطمة رضى الله عنهما ليلة بنائهما : لا تعجلا حتى أدخل عليكما .

روى ابن أبي الدنيا في العيال (135 ومن طريقه في تاريخ دمشق 16/ 92/ ق محمد): حدثنى بِشْرَ بن معاذ العقدي : ثني محمد بن عُبيد الله القرشي قال: أُخْبِرْتُ أن عمر ...

فهذا فيه من الفوائد

لا يتصدَّى الرجل إلا للرجل والمرأة إلا للمرأة في النصيحة والوصية فيما يخص الجماع .

الفصل الثامن

أسماء بن خارجة الفزاري رحمه الله

تابعيٌّ مشهورٌ بالكرم ساد قومه مات سنة ست وستين قيل عن تسعين سنة .

زَوَّج ابنته فلما أراد أن يهديها إلى زوجها أتاها فقال لها :

يا بنية، كان النساءُ أحق بأدبك مني، ولا بد لي من تأديبكِ .

يا بنية، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً .

ولا تدني منه فتَمَلِّيه ويَمَلَّكِ .

ولا تَبَاعدي عنه فتثقلي عليه ويثقل عليك .

وكوني كما قلت لأمك:

خذي الغفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ

فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

روى ابن أبى الدنيا في العيال (136- ومن طريقه في تاريخ دمشق 3/ 4/ ق) : حدثني الحُسين بن الحَسن ومحمد بن الحُسين وغيرهما.

ح والبيهقي (... ومن طريقه في تاريخ دمشق 3/ 4/ ق) : نا أبو سعيدعبد الرحمن بن محمد : نا أبو حاتم أحمد بن عبد الله البستي : نا إسحاق بن إبراهيم البستي (له التفسير وغيره) : نا قتيبة.

ح وفي التاريخ (3/ 4/ ق) : أنا محمد بن أحمد ابن ماشاذة أنا أبو علي الحَسن بن عُمر:أنا القاضي أبو عُمر الهاشمي: أنا أبو العباس محمد بن أحمد : أنا حُمَيد بن الربيع .

كلهم نا عبد الله بن بَكْر السَّهْمي : نا بِشْر أبو نصر (عند/ 2 أبو بشر) أن أسماء ...

لما زَوَّج ابنته الحجاجَ بن يوسف، فلما كان ليلة البناء بها دخل عليها أبوها فرفع جانب الخِدْر، وقال:

يابنيتى، إنى رأيتُ النساءَ إنما تُؤدَّبُ من النساء، وإن أمك قد هلكتْ وتركتك صغيرة، فاسمعي مقالتي، واحفظي وصيتي :

كوني لزوجك :

في بعض أحيانه أقرب من شسع نعله !

في بعض أحيانه أبعد من الثريا !

وعليك بالطيب، وأطيب الطيب الماء.

واياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق.

ودَعي المعاتبة، فإنها نورة، ولا تنطفىء في فورة.

فإني رأيتُ الودَّ في الصدر والأذى...إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

رواه عبد الملك بن حبيب في كتابه الغاية والنهاية (163-164ح45) قال:حدثني بعض المشيخة أن أسماء

ويقرب منها ما اشتهرت نسبته لبعض التابعين أنه أوصى ابنته ليلة البناء بها :

إنك خرجتِ من العش الذي فيه دَرَجْتَ .

وصرتِ إلى فراشٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه:

فكوني له أرضاً يكن لك سماءً.

وكوني له مِهاداً يكن لك عِماداً.

وكوني له أمة يكن لك عبداً.

ولا تُلحفي به فيقلاك، ولا تتباعدي عنه فينساك .

وإن دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه!

واحفظي أنفه وسَمعه وعينه:

فلا يشمّ منك إلا طيبا، ولا يسمع منك إلا حسناً، ولا ينظر إلا جميلا .

الوصايا لأبي حاتم السجستاني (ص147- 148) قال: قال أبو الأسود الدؤلي التابعي
ح وذُكِر أيضًا عن أسماء بن خارجة في وصيته لابنته (التحفة للتجاني/ 333) .
وكان الزبرقان بن بدر إذا زَوَّج ابنة له دنا من خدرها، وقال: أتسمعين: لا أعرفن ما طلبت، كوني له أمة يكن لك عبدا. (عيون الاخبار 4/ 77).
وقال آخر (التحفة للتجاني 389 عن كتاب الجماهر):

كوني له فراشاً يكن لك معاشاً.
وكوني له وطاءً يكن لك غطاءً.
وإياكِ والاكتئابَ إذا كان فَرِحاً، والفَرَحَ إذا كان كئيباً.
ولا يطلعن منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح
ولاتفشين له سراً لئلا تسقطي من عينه.
وعليك بالماء والدهن والكحل فإنها أطيب الطيب.

الفصل التاسع

المُسَيَّب بن نَجَبة الفزاري التابعي

يابنيتي، اعلمي أن أهلك الذين هم أهلك بعد اليوم الذي تُمسين فيهم وتُصبحين.
أطيعي زوجَك إذا أمَرَكِ، وائته إذا دعاكِ
وكوني له أمة يكن لك عبداً .
واعلمي أن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحلي الكحل .
(عبد الملك بن حبيب في كتابه الغاية والنهاية ص 163/ 432).

الفصل العاشر

الفرافصة أبو نائلة

قال لها حين جهزها إلى عثمان رضي الله عنه:
يابنية، إنك تَقْدُمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك، فلا تُغلبي على خصلتين: الكحل والماء، تطهري حتى يكون ريحك ريح شَن أصابه المطر.
ذكره في الأغاني (15/70-17) وعيون الأخبار (4/77).

الفصل الحادي عشر

مسعود بن قيس لابنته

أي بُنية، إني زوَّجتك غلاماً عزيز النفس:
فلا تدني منه كلَّ الدنو فيَمَلَّكِ
ولا تبعدي عنه كلَّ البعد فينساك .
واغلبي أحماءك بالخير، ولا تغلبيهم بالشر .
وكوني له أمة يكن لك عبداً .

وتتبعى من الطيب مواقع أنفه، واعلمي أن طيب النساء الماء.

أيْ بنية اذهبي فلا أيسرتِ ولا أذكرتِ (أى لا كان لها يسار أيُّ غنى، ولا ولدتْ ذكراً)!

إنك لتأتين البُعَداء، وتلدين الأعداء!، وتذهبين بالتلاد (أى تأخذين ميراثك إلى غير أهلك)، وتحلين في غير الصديق!

ذكره الزبير في الموفقيات (التحفة للتجانى/ 392)، وتبعه في العقد الفريد (7/ 78- 79) وغيره.
ووصيته الأولى تشابه وصية رُويت عن أسماء بن خارجة الفزاري لابنته- وقد سَبقتْ .

ودعاؤه عليها جاهلية عصبية لا عقل فيها، بل الزواج يقرِّب البُعَداء ويقوِّي الصلات ويجعل بينك وبينهم رحماً وحقاً .

وقد قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابنُ أخت القوم منهم ، وسَمَّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابني بنته فاطمة رضي الله عنهم أبناءه .

وفي وصية قيس بن خالد الشيباني لابنته لما تزوجت وهَمَّتْ بالرحيل مع زوجها:

أيّ بنية كوني له أمة يكن لك عبداً، وليكن أطيب طيبك الماء، فاذا مات فلا تخمشي وجهك ولا تحلقى شعرك.

رواه ابن الأنباري في الزاهر(2/289-290) من طريق ابن الأعرابي عن المفضل في الفاخر (ولا كصداء).

الفصل الثاني عشر
ضرار بن عَمرو لابنته

يابنية، أمسكى عليك الفضلين:
فضل الغُلمة، وفضل الكلام.

ذكره الجاحظ الجهمي المعتزلي في بيانه (1/ 193 وعنه التحفة للتجاني 394) عن أبي عَمرو بن العلاء قال: أنكح ضرار ابنته من معبد بن زرارة، فلما أخرجها إليه- فذكره.

والفضل: الزيادة، والغلمة: شدة الشهوة للنكاح.

الفصل الثالث عشر
عامر بن الظَرِب لابنته

زوَّجها من ابن أخيه، فلما أراد تحويلها قال لأمها:
مُري ابنتك ألا تنزل مفازةً إلا ومعها ماء:

فإنه للأعلى جلاء،وللأسفل نقاء (أي أعلى الجسم وأسفله).
ولا تُكثر مضاجعته، فإنه إذا ملَّ البدن ملَّ القلب.
ولا تمنعه شهوته، فإن الحظوة في الموافقة.
فلم تلبثْ إلا شهرًا حتى جاءته مشجوجة، فقال لابن أخيه:
يابنيّ، ارفع عصاك عن بَكرتك:
فإن كانت نَفَرَتْ من غير أن تُنَفَّر
فذلك الداء الذي ليس له دواء.
وإن لم يكن بينكما وفاق، ففراق الخلع أحسن من الطلاق،
ولن نَترِك مالك وأهلك.
فردَّ عليه صداقه، وخلعها، فهو أول من خلع من العرب.
ذكره في عيون الأخبار (2/ 76) عن العتبي : ثنا إبراهيم العامري- به.
وذكره صاحب الجماهر (التحفة للتجانى 389).
وقوله : (فراق الخلع) ليس هو أحسن، بل دليل على أنها فرُوك ناشز وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَيُّما امرأةٍ سألتْ زوْجَها الطلاقَ مِن غير ما بأسٍ إلا حَرَّم الله عليها رائحة الجنة) و(المختلعات هن المنافقات) .
ولعامر- وكان يُدْعَى حكيم العرب- قصة أخرى
إذْ خَطَبَ ابنته عَمرة: صعصعةُ بنُ معاوية، فقال:
ياصعصعة، إنك تأتيتني تشتري مني عبدي، فارحم ولدي، قَبِلْتُك أو رَدَدتك،والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعدَ أب ، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك، أفرُّ من السر إلى العلانية. (العقد الفريد 7/ 77).

الفصل الرابع عشر

امرأةٌ لابنتها !

أقلعي زج رمحه، فإن أقرَّ فاقلعي سنانه، فإن أقرَّ فاكسري العظام بسيفه، فإن أقرَّ فاقطعي اللحم على ترسه، فإن أقرَّ فضعي الإكاف (أي البرذعة!) على ظهره فإنما هو حمار !
ذكره أبو الحَسن المدائني في تصانيفه (عيون الأخبار 4/ 77).

الفصل الخامس عشر
من وصاياهم في الجاهلية

إن كان قريب القرابة منه أو من قومه قال لها أبوها أو أخوها إذا حُمِلت إليه:
أيَسرتِ، وأذكرتِ، ولا آنثتِ!
جعلَ الله منك عددًا وعِزًّا وجَلَدًا.
أَحْسِنِي خُلقك، وأكرمي زوجك، وليكن طيبك الماء.
وإذا زُوِّجَتْ في غربةٍ قال لها:
لا أيسرتِ، ولا أذكرتِ :
فإنك تُدنين البُعداء، وتلدين الأعداء!
أحسني خلقك، وتحببي إلى أحمائك، فإن لهم عليك عيناً ناظرةً وأذناً سامعة، وليكن طيبك الماء).
[محمد بن حبيب (ت 245) في المُحَبَّر (ص310-311) ، وسبق من وصية قيس بن مسعود] .
وهو على طريقتهم في الجاهلية من كراهة البنات وإثارة العداوات !

الفصل السادس عشر
بنات مالك بن أنس والحاضنة لابنته

قيل : إن مالكًا خَيَّر ابنته في نفسها تنكح من أحبت، فاختارت فتى من أبناء الملوك قد رفض الدنيا وأخذ في الزهادة.
فلما كان انتقالها إليه اجتمع إليها أخواتٌ ثلاثٌ وحاضنة لها:
فابتدرت الحاضنة وصيتها، فقالت:
أيْ بنيتي، من لم يغط من نور نظره ما يتبين له به رشده ويعرف ما يؤذيه فيجتنبه كان كآكل السموم وهو لا يدري !
أيْ بنية، النساءُ بخمس خصالٍ لا غِنى لهن عن واحدة منهن بينهن وبين الأزواج :
المحبة بالغيب، فإن القلوب شاهدة.
وحُسْن الطاعة، فإنها تثبت المودة.

والاقتصاد، فإنه يؤمِّن من الملامة ويَستبقي حُسْن المودة.
والطهارة، فإنها تستأهل الهوى.
والعفاف، فإنه يدعو إلى الخير.
فخذي حظك من عقلك، وانتفعي بنصيحتي مِن نُصحك.
ثم قالت إحدى أخواتها:
يا أُخَيّتي، إنكِ كنتِ مالكة فصرتِ مملوكة، وكنت آمرة فصرتِ مأمورة، وكنتِ مختارة فصرتِ مختاراً عليك.
وإنه لا جمالَ للمرأة إلا بزوجها، كما أنه لا جمالَ للزهرة إلا بأغصانها.
فلا تعاصي زوجك، فتَلْحَيْه، ولا تَسْلسي كل السلس فتَمَلِّيه!
وتوقّي بوادرَ ضجره، واستبيني طرفاً من دَعته، ولا تجعلي هزلك فيما يغضب في جَدّه، وقفي في نفسك على حدود أمره.
وليكن رأس طيبك الماء، ورأس وسيلتك إليه الطاعة، ورأس آلتك العفاف.
ولا تعيريه بسُبَّةٍ ، ولا تَمُنّي عليه بحَسَنة.
وكوني له أمة يكن لك عبداً.
ثم قالت الأخت الثانية:
يا أُخَيّتي، اجعلي لزوجك رقيباً عليك من نفسك، ومَلِّكيه عِنانَ طاعتك.
تأمّلي ما أحبَّ فابتغيه، ولا تتبعي ما يَكره فاجتنبيه.
واستقبلي بَصَرَه بالطهارة، ومجانته بالعفاف.
وتفويضه بالاقتصاد، وثمرة قلبه بالمودة.
واعلمي أنه لا عِزَّ للمرأة إلا بزوجها، كما أنه لا عِزَّ للشجاع إلا بسلاحه.
ثم قالت الأخت الثالثة:

يا أُخَيّتي، إنكِ أخرجتِ نفسك إلى رِقّ الزوج بعد ملك النفس، ولا حياة للمرأة إلا بزوجها، كما أنه لا حياة للسمكة إلا بالماء.
يا أُخَيّتي، استصغري إحسانك لزوجك، فإنما هو منك لنفسك.
وعَظِّمي إحسانه إليك، فإنه أرغبُ في الزيادة لك!
وليكن استعدادك له كأنَّ له عليك حافظًا منه!
وعاشريه بالتواضع، وتَحَلَّيْ عنده بالصدق، وتزيني عنده بالطهارة، وتَحَصَّني مِن زينته بالعفاف والتسليم، واجعلي قصدك فيما بين دُنُوك وبُعدك.
فلما فرغن قالت الفتاة:
قلتن بالنصيحة، فلا عَدِمْتها منكن ولا عَدِمتها مِن نفسي. لَكُنّ الطاعة، وبالله التوفيق، ومنه المعونة.

الفصل السابع عشر

وصايا أمهاتٍ لبناتهن

ذكر صاحب بلاغات النسَاء (ص130-131) عن علي بن الصباح عن هشام الكلبي عن أبيه قال:

بعث النعمان بن امرئ القيس إلى نسوة من العرب
فلما اجتمعن عنده قال:
إني قد أُخْبِرْتُ بِكُنَّ، وأردت أن أنكح إليكن، فأخبرني عن بناتكن.
فقالت الأولى :عندي الفتخاء العجزاء (سمنة الفخذ والدبر) ، أصفى من الماء، وأرق من الهواء، وأحسن من السماء!
2قالت:عندي منتهى الوصاف، دَفية اللحاف (أى لسِّمَنها)، قليلة الخلاف.
3قالت :عندي الحلوة الجهمة (تعنى الضخمة)، لم تلدها أَمَةٌ.
4قالت:عندي ما يجمع صفاتهن، وفي بناتي ما ليس في بناتهن!
فتزوج إليهن جميعًا، فلما أُهْدِين إليه دَخَل على كل منهن

فقال: ما أوصتكِ به أمك؟
قالت ابنة الأنمارية:
قالت لي: عَطِّري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماء آخر طيبك.
وقالت ابنة السلمية :
قالت لي: لا تجلسي بالفناء، ولا تكثري من المِراء، واعلمي أن أطيب الطيب الماء – والمِراء هو الجدال .
وقالت ابنة النَّمِرية:
قالت لي: لا تطاوعي زوجك فتُمِلِّيه، ولا تعاصيه فتشكيه، واصدقيه الصفاء ، واجعلي آخر طيبك الماء.
وقالت ابنة الأسدية:
قالت لي: أدني سترك، وأكرمي زوجك، واجتنبي الإباء (أي كوني سهلة معه مطيعة له)، واستنظفي بالماء.

الفصل الثامن عشر
امرأة عوف بن محلّم الشيباني

خطب عَمرو بن حُجر أو الحارث بن عَمرو- ملك كِنْدة جدّ الشاعر امرئ القيس- إلى عوف ابنته أم إياس:
فقال: نعم أزوِّجُكها على أن أُسَمِّي بَنيها، وأزوِّج بناتها!
فقال عَمرو:
أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا.
وأما بناتنا فنُنكحهن أكْفاءهن من الملوك.
ولكني أَصْدُقها عقاراً في كِندة، وأمنحها حاجات قومها لا تُرَدُّ لأحدٍ منهم حاجة.
فقَبِلَ ذلك منه أبوها، وأنكحه إياها.
فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها، فقالت:
أيْ بنية، إن الوصية لو كانت تُتْرَك لفضلِ أدبٍ أو مَكْرُمَةِ حَسَبٍ لتركتُ ذلك معك، ولكنها تذكرة للعاقل ومنْبهة للغافل:

أيْ بنية، لو استغنت ابنةٌ عن زوجٍ لغِنى أبويها لكنتِ أغنى الناس عنه، ولكنا خُلِقنا للرجال كما خُلِق الرجال لنا .
أيْ بنية، إنكِ فارقتِ بيتك الذي منه خرجتِ، وعُشَّكِ الذي فيه درجتِ، إلى رجلٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه :أصبح بملكه إياك عليك ملكاً .
فكوني له أمَةً يكن لك عبداً.
واحفظي عني له خصالاًعشرًا تكن لك ذُخْرًا ودَرَكًا وذِكْرًا.
1و2- فالخشوع والمعاشرة له بالقناعة، وحُسْن السمع له والطاعة: فإن في القناعة راحة القلب، وحُسْن السمع والطاعة رأفة الرب.
3و4- فالتفقد لموضع عينه وأنفه:
فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمنّ منك إلا أطيب ريح , فالماء أطيب الطيب المفقود،والكحل أحسن الحسن الموجود.
5و6- فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه: فإن حرارة الجوع مَلْهَبة،وتنغيص النوم مَغْضَبة.
7و8- فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حَشَمه وعياله :
ومِلاك الأمر: في المال حُسْن التقدير، وفي العيال: حُسْن التدبير.
9و10- فلا تَعصينَّ له أمرا، ولا تُفْشِين له سِرا، فإنك:
إن خالفتِ أمْرَه أوغرتِ صدرَه.
وإن أفشيتِ سِرَّه لم تأمني غدرَه.
إياكِ والفرحَ بين يديه إذا كان مهتماً، فإن ذلك من التقصير.
والكآبةَ بين يديه إذا كان فَرِحاً، فإن ذلك من التكدير.
وأشدّ ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما.
وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة .
واعلمي أنك لن تَصلي إلى ذلك منه

حتى تُؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببتِ وكرهتِ، والله يَخِيرُ لك ويصنع لك برحمته.
قيل: فلما حُمِلَتْ إليه غَلَبَتْ عليه يعني لمحبته إياها .

الوصايا لأبي حاتم السجستاني (117-119) والوصية بطولها التيفاشي في قادمة الجناح (التحفة للتجاني 393) ، وصاحب محاسن الجواري (12/ ق) و(العقد الفريد 7/77-78) ، وفي (7/103-104)
قصة المثل المشهور: ما وراءَك يا عصام؟ ذلك أن عمراً حين أراد خِطبتها وَجّه إليها امرأة يقال لها عصام لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها من جمال وأدب، فرأت، فذهبت إليه فوصفتها صفة في جسمها ونفسها .

الفصل التاسع عشر
وصية أعرابية شعرًا

ابن أبي الدنيا في الأشراف (102)

سَلِيلَةُ السَّادَةِ مِنْ فَرْعَيْ جُشَمْ ... مَضَى الشَّبَابُ وَدَنَا وَفْدُ الْهَرَمْ
وَهَاضَنِي الدَّهْرُ بِتَعْرَاقِ السَّقَمْ ... وَقَرُبَ الْقَوْلُ مَضَتْ أُمُّ الْحَكَمْ
وَرَاغِمٌ نَاعٍ وَحَقَّ مَا زَعَمْ ... بِأَنَّنِي رَهْنُ ضَرِيحٍ وَرُجَمْ
فَاللَّهَ فَاخْشَي وَارْهَبِي لِذْعَ الْكَلِمْ ... وَحَالِفِي الصِّدْقَ وَمَحْمُودَ الشِّيَمْ
فَالصِّدْقُ لِلْبِرِّ وَلِلْفَضْلِ الْكَرَمْ ... وَالْبَعْلُ لَا تُزْرِي بِهِ عِنْدَ الْعَدَمْ
وَلَا تُذِيعِنَّ عَلَيْهِ مَا كَتَمْ ... وَلَا تَرُدِّي قَوْلَهُ إِذَا احْتَدَمْ
فَإِنَّهُ يَعْقُبُ مَذْمُومَ النَّدَمْ ... هَذِي وَصَاتِي قَبْلَ حِينَ أُخْتَرَمْ

وأعرابية أخرى :

لَا تَهْجُرِي فِي الْقَوْلِ لِلْبَعْلِ وَلَا ... تُغْرِيهِ بِالشَّرِّ إِذَا مَا أَقْبَلَا
فَأَوَّلُ الشَّرِّ يَكُونُ جَلَلًا مُحْتَقَرًا ثُمَّ يَصِيرُ مُعْضَلَا
وَلَا تُثْنِينَ عَلَيْهِ بُخْلًا ... لِتَكْشِفِي مِنْ أَمْرِهِ مَا جُهِلَا

والوصية الأولى فيها كنية المُوصية (أم الحكم) وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجلٍ يكنى بالحكم: (إن الله هو الحَكَم، وإليه الحَكَم) وكناه بأكبر أولاده، وجهل ذلك كبير الإخوان المودودي وأمثاله ، فقد راج عندهم تسميته لا تكنيته! بأبي الأعلى! كما غاب عنهم عمداً ما عليه من جهمية ورافضية وقبورية وخارجية وجهالة وعصبية لأهل الرأي و...!

الفصل العشرون
وصايا معاصرة !

في مصر في أمثالهم العامية المتداولة تتناقلها النساء نصائح خاصة للبنات:

(قصقص طيرك قبل ما يلوف على غيرك).
تعني به ظاهره أن قصّ جناح الطير الذي تملكه من نوع الحمام كيلا يطير بعيداً عنها فيأتلف مع غيره ويذهب عن مالكه !
حقيقته إشغال الرجل بامرأته بإنفاق كل ماله ولو في إسراف وكل وقته ولو في السفاهة
لكيلا يحمله كثرة ماله أو فراغ وقته على الزواج بغيرها.

(إلهي تغلبيه بالصبيان ويغلبك بالمال).
فهو دعاء لها بكثرة الأولاد الذكور، فتنكسر شوكته عليها! وبكثرة ماله، فيقضي لها حوائجها .

وأما النصائح للرجل قبل الدخول على زوجته في ريف مصر:
فقديماً تداولوا قصة الرجل الذي يدخل ومعه قطة فيذبحها أمام عروسه حتى تخاف منه!
وبعض الرجال يتلقى وصاياه من أصحاب السوء، فيتعامل مع عروسه كأنها بَغِيٌّ لا حياء لها، أو دُمْيَة لا حياة فيها!

وبعض النساء تتلقى وصاياها من صواحب السوء
فتبالغ في التدلل والتمنع على زوجها
أو تبالغ في الإقبال عليه كأنها صاحبة خبرة سابقة !
مع الوصايا الخاصة من هؤلاء في التعامل والعِشرة بلا هدى ولا صلاح ، فيبدأ كل منهما حياته بسوء .

الباب الثاني
ليالي الأعراس
الفصل الأول
عائشة الصدّيقة بنت الصدّيقة رضي الله عنهما
1/ الخِطْبة والعَقْد

قالت عائشة – رضي الله عنها : لما تُوُفّيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص – امرأة عثمان بن مظعون ، وذلك بمكة : أيْ رسول الله ، ألا تتزوج ؟!
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ومَن ؟
فقالت : إن شئتَ بِكْراً ، وإن شئت ثيباً .
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فمَن البِكْرُ ؟
قالت : ابنة أحب الخلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنه /2) [وهي يومئذ بنت ست سنين] .
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ومَنِ الثيبُ ؟
قالت : سَوْدة بنت زَمْعَة بن قيس ، قد آمنتْ بك واتبعتك على ما أنتَ عليه .
قال صلى الله عليه وسلم : (فـ/32)اذهبي، فاذكريهما عليَّ ، فجاءتْ ، فدخلتْ بيتَ أبي بكر (رضي الله عنه/2) فوجدتْ أمَّ رُومان – أم عائشة :
فقالت : أيْ أمَّ رُومان ، ماذا أدخلَ اللهُ (عزَّ وجلَّ/2) عليكم من الخير والبركة ؟
قالت أم رومان : وما ذاك ؟
قالت : أرسلني رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه عائشة .
قالت أم رومان : وددتُ ، انتظري أبا بكر (رضي الله عنه/2) ، فإنه آتٍ .

فجاء أبو بكر (رضي الله عنه/2) فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله (عز وجل/2) (عليكم/32) من الخير والبركة :
أرسلني رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه عائشة
قال : وهي تصلح له ؟! إنما هي ابنة أخيه !
فرجعتُ إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت له ذلك .
فقال صلى الله عليه وسلم : ارجعي إليه ، فقولي له : أنت أخي في الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لي .
فأتت أبا بكر (رضي الله عنه/2) ، فذكرتُ ذلك له ، فقال : انتظريني حتى أرجع .
فقالت أم رومان : إن المُطعم بن عَدِي كان ذَكَرَها على ابنه ، ولا والله ما وَعَدَ شيئاً قطُّ فأَخلفَ .
فدخل أبو بكر على مُطعِم ، وعنده امرأته أم ابنه الذي كان ذَكَرَها عليه:
فقالت العجوز : يا ابنَ أبي قحافة ، لعلنا إن زَوَّجْنا ابنَنا ابنتَك أن تُصبئه وتُدخله في دينك الذي أنتَ عليه !
فأقبل على زوجها المُطعِم ، فقال : ماتقول هذه ؟!
فقال : إنها تقولُ ذاك !
قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العِدَة التي كانت في نفسه من عدَته التي وعدها إياه :
وقال لخولةَ : ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فَدَعَتْهُ ، فجاء ، فأنكحه وهي يومئذ ابنة ست سنين .
(قالت عائشة فيمن يكره الزواج في شوال : تزوَّجني رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال ، وأُدخلت عليه في شوال ، فأيُّ نسائكم كانت أحظى عنده مني /4)
قالت خولة : ثم خرجتُ ، فدخلتُ على سَوْدَةَ :
فقلت : أيْ سَوْدَةُ ، ماذا أدخلَ اللهُ عليك من الخير والبركة ؟
قالت : وما ذاك ؟

قالت : أرسلني رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخطبك عليه فقالت : وددتُ ، (و/3) ادخلي على أبي ، فاذكري ذلك له .
وهو شيخٌ كبيرٌ قد تخلف عن الحج ، فدخلتُ عليه ، فحييتُه بتحية الجاهلية :
ثم قلت : إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سَوْدَةَ .
قال : كفوٌ كريمٌ ، فماذا تقول صاحبتُه ؟
قالت : تحبُّ ذلك .
قال (فـ/3) ادعيها إليَّ .
فدُعيتُ له ، فقال : أيْ سَوْدَةُ ، زعمتْ هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك وهو كفوٌ كريمٌ ، أفتحبين أن أزوِّجَكه ؟
قال سودة : نعم .   قال : فادعيه لي
فدعته ، فجاء ، فزَوَّجَه .
فجاء أخوها من الحج عبدُ بنُ زمعة ، فجعل يحثي في رأسه التراب !
فقال بعد أن أسلم : إني لسفيهٌ يومَ أحثي في رأسي التراب أن تزوَّجَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سودة بنت زمعة !

2 / السن والسِّمَن

قالت عائشة – رضي الله عنها : كانت أمي تعالجني تريد لتسمنني بعض السِّمَن لتُدخلني على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما استقام لها ذلك (فاستحثَّ النبي صلى الله عليه وسلم أبواي ، فأمرهما أن أطعَمَ القثاء بالرطب) حتى أطعمتني التمرَ بالقثاء ، فسمنتُ عليه كأحسن ما يكون من السِّمَن حتى جعل الناس يتعجبون من سِمَني .

3 / تزيين العروس

قالت عائشة – رضي الله عنها : فقَدِمْنا المدينة ، فنزل أبو بكر – رضي الله عنه – السُّنْح في بني الحارث بن الخزرج (وتزوَّجني صلى الله عليه وسلم في شوال وأُدخلت عليه في شوال، فأيُّ نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحظى عنده مني ، وكانت تستحب أن تُدخل نساؤها في شوال/2)
فجاء رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخل بَيْتَنا ، فاجتمع إليه رجالٌ من الأنصار ونساءٌ .
فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عَذْقَيْن يُرَجَّح بي (إني لألعب مع جواري من الأنصار / صواحب لي) (فأخذتْ بيدي ما أدري ما تصنعُ بي) فأنزلتني ، (فجعلتُ أضعَ يدي على بطني لأردَّ نفسي لكي ترى ما بي ، فذهبتْ بي أمي) (حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنهج : هه هه) ثم وفت جُمَيْمَة [أي شعراً قصيراً] كان لي ، ومَسَحَتْ وجهي ورأسي بشيء من ماء .
ثم أقبلتْ تقودني ، حتى إذا كنتُ عند الباب وقفتْ بي حتى ذهب بعض نَفَسي .
(ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن :على الخير والبركة وعلى خيرِ طائرٍ ، فأسلمتني إليهن ، فغَسَلن رأسي ، وأصلحن مِن شأني) (فدهنوني/1) .
قالت أسماء بنت يزيد الأنصارية – رضي الله عنها : كنتُ صاحبةَ عائشةَ التي هيأتُها لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

4 / جَلْوة العروس

قالت عائشة – رضي الله عنها : (فلم يَرُعْني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى) ثم أُدْخِلْتُ ورَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ على سرير في بيتنا .
قالت أسماء – رضي الله عنها : أُدْخِلَتْ عائشة على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نسوة معي

فأتيتُه بها ، ودعوتُه لجلوتها ، فأجلستُها عن يمينه .
فأُتِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن ، فشَرَبَ منه .
ثم ناولها ، فخفضتْ رأسَها واستحيتْ ، فانتهرتُها ، وقلتُ لها : لا تَرُدّي يدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخذتْ ، فشربتْ شيئاً ، ثم قال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعطي تِربك .
فقلت : يا رسولَ الله ، بل خذه ، فاشربْ منه ، ثم ناوِلْنيه مِن يدك .
فأخذه ، فشربَ منه ، ثم ناولَنيه ، فجلستُ ، ثم وضعتُه على ركبتي ، ثم طفقتُ أديرُ الإناء ، فجعلت أتتبع مواضع شفتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأضع فمي على موضع فيه.
ثم قال صلى الله عليه وسلم : ناوِليه صواحباتك .
فقلن : لا نشتهيه !
فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تَجْمَعنْ كذباً وجُوعاً !
قلت : إن قالتْ إحدانا لشيءٍ لا نشتهيه ، أيُعَدُّ ذلك كذباً ؟!
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الكذب يُكتب كذباً حتى إن الكذبة تُكتب كذبة .

5 / البناء

قالت عائشة – رضي الله عنها : فأجلستني (أمي) في حَجْره ، فقالت :هؤلاء أهلُك ، فبارك الله لك فيهن ،وبارك لهن فيك.
ووثب القومُ والنساءُ ، فخرجوا .
فبنى بي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتي .. وأنا يومئذٍ ابنة تسع سنين .
ما نُحِرَتْ جَزُورٌ ، ولا ذُبِحَتْ عليَّ شاةٌ [تعني ما صُنِعَتْ وليمةٌ للعرس يومئذٍ] حتى أرسل إلينا سعدُ بن عُبادة (رضي الله عنه) بجَفْنَة كان يُرْسِلُ بها إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكنت أغتسلُ أنا ورَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إناءٍ واحدٍ تختلفُ أيدينا فيه حتى يقول : دَعي لي دَعي لي .

6 / حُسْن عِشْرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت – رضي الله عنها : كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشراً مِن البشر : يكون في بيته في مهنة أهله : يَخيطُ ثوبَه ويَخصفُ نعله ، ويَحلبُ شاته ، ويَخدمُ نفسَه ، فإذا حضرتِ الصلاةُ خَرَجَ .

أ / لعب عائشة – رضي الله عنها – مع صواحباتها بالبنات أي اللعب قبل تحريم الصور .

قالت – رضي الله عنها : كُنَّ جواري يختلفن إليَّ ، فكُنَّ ينقمعنَ – يعني يَسْتترنَ – مِن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأينه ، فكان يُسَرِّبهن – يبعثُ بِهِنَّ ، فيَدخلنَ عليَّ ، فيلعبنَ معي بالبنات – يعني باللُعَب .

فربما دخل عليَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصواحباتي عندي ، فإذا رأينه فررن ، فيقول: كما أنتِ ، وكما أنتُنّ !

قالت : قَدِمَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة ، وقد نُصبتُ على باب حجرتي عباءة ، وعلى عُرض بيتها ستر ، فدخل البيت ، فلما رآه قال لي : يا عائشة ، مالي وللدنيا ، فهتك العُرض حتى وقع على الأرض ، وفي سَهْوتها ستر ، فهبت ريح ، فكشفت ناحية عن بناتٍ لعائشة لُعب :

فقال: ما هذا يا عائشة ؟!   قالت : بناتي !

ورأى بين ظهرانيهن فرساً له جناحان :

فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فرسٌ له جناحان ؟!

قالت : أوما سمعتَ أن لسليمان بن داود خيلاً لها أجنحة ؟!

فضحك رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بَدَتْ نواجذه .

ب / ملاعبة الرجل أهله بالسباق ونحوه في حال الخلوة .

قالت – رضي الله عنها : وخرجت مع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بدر الآخرة حتى إذا كنا عند الصفراء

بين ظهراني الأراك انصرفتُ لبعض حاجتي ، ونَكَّبْتُ عن الطريق ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه : تقدموا .
فبَيْنا أنا كذلك هالني إذا رُكَيْبٌ يُصَوِّبُ ، فإذا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى حتى أناخ لي بعيري ، ثم اضطجع .
ففرغتُ مِن حاجتي ، ثم جئت :
قلت : أركبُ ؟! قال : تعاليْ أسابقك !
فقلت : يا رسول الله ، كيف أسابقك وأنا على هذا الحال – وقد حملتُ اللحم ؟!
قال صلى الله عليه وسلم :لتفعلن .
عرفت حين قال ذلك أنه غير تاركي ، فأرمي بدرعي خلف ظهري ، ثم أجعل طرفه في حجري ، ثم خططت خطًا برجلي ثم قلت : تعال حتى نقوم على هذا الخط !
فنظر في وجهي ، فكأنه عَجِبَ ، وأشار بيده ، فقمنا على ذلك الخط :
قلت : أذهب ؟ قال : اذهبي .
فخرجنا ، فسابقته ، فسبقني ، وخرج بين يدي ، فضرب بيده كتفي ، فقال : هذه بتلك السبقة بيوم ذي المجاز !
ثم ذكرتُ أنا وأنا جارية يتبعني أبي – وكان في يدي شيء ، فسألنيه ، فمنعته ، فذهب يتعاطاه ، فخرج في أثري ، فسبقته وأنا خفيفة اللحم ، ودخلتُ البيت .
ث / رؤيتها لعب الحبشة بالحراب وهي حديثة السن
وخرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودَخَلَ الحبشةُ المسجد بالمدينة يلعبون ويزفنون بحرابٍ لهم في المسجد ، وأنا جارية ، وأنا أطلع من خوخةٍ لي ، فدنا مني :
فقال لي : يا حُمَيْراءُ (تصغير حمراء لأن بياضها مُشْرَبٌ بحمرة) أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت : نعم .

فقام بباب حجرتي ، وجئته ، فوضعتُ ذقني على عاتقه ويدي على منكبه فأسندتُ وجهي إلى خَدِّه ، والله لقد رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لَعِبهم ، فجعلتُ أنظر بين أذنه وعاتقه مِن ورائه ، فجعل يطأطئ ظهره حتى أنظر .

ومِن قولهم يومئذٍ : أبا القاسم طيباً

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا بني أرفدة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَسْبُكِ (يعني أما يكفيك) ؟!

فقلت : يا رسول الله ، لا تَعْجَلْ !

فقام لي ، ثم قال : حَسْبُكِ ؟!

فقلت : لا تَعْجَلْ يا رسول الله !

ثم يقوم مِن أجلي حتى أكون أنا التي أملُّ حتى كنتُ أنا التي صَدَرْتُ .

ومالي حبُّ النظر إليهم ، ولكني أحببتُ أن يبلغ النساءَ مقامَه لي ومكانه مني !

فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

ج / مغاضبة !

واستأذن أبو بكر – رضي الله عنه – على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول : والله لقد علمتُ أن علياً أحبُّ إليك من أبي !

فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها وقال : يا ابنة أم رومان ، ألا أراك ترفعين صوتك على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء ، فحالَ بينه وبينها ، فأمسكه ، وخرج أبو بكر مغضباً .

فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يا عائشة ، أما رأيتيني حُلْتُ بينه وبينكِ أنقذتُك أن يأخذَك !

فلما كان الغد غدا عليهم أبو بكر ، وقد اصطلحا ، ورَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضاحك عائشة رضي الله عنها .
فقال : يا رسول الله ، أدخِلاني في سِلْمِكما كما أدخلتماني في حربكما ! فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ .
وقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية وإذا كنتِ عليَّ غَضْبَي !
قلت : بم تعلم يا رسول الله ؟!
قال : إذا كنتِ عليَّ غَضْبَي فحلفتِ ، قلتِ : كلا وربِّ إبراهيم وإذ كنتِ عني راضية قلت : كلا وربِّ محمد !
قلت : صدقتَ يا رسولَ الله ، ما أهجرُ إلا اسمَك !
وكانت صفية – رضي الله عنها – مع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر ، وكان ذلك يومها ، فأبطاتْ في المسير ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، وتقول : حملتني على بعيرٍ بطيء ، فجعل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح بيديه عينيها ، ويُسكتها ، فأبتْ إلا بكاءً ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركها وَجَد عليها .
فأتت ، فقالت لي : هل لك أن تُرْضِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني وأجعل لك يومي ؟!
قلت : نعم ، فأخذتُ خماراً لي مصبوغاً بوَرْسٍ وزعفران ، فرششتُه بالماء ، ثم اختمرتُ به ليفوح ريحه ، فدخلت عليه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومها ، فجلستُ إلى جنبه ، فقال : ما لك ؟ إليكِ يا عائشة ، فليس هذا بيومكِ .
فقلت : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ [المائدة/54] .
فعرف صلى الله عليه وسلم الحديث ، فرَضِيَ عن صفية .
وانطلق إلى زينب :

فقال لها : إن صفية قد أَعْيَى بها بعيرُها ، فما عليك أن تعطيها بعيرَكِ ؟!
قالت : أتعمدُ إلى بعيري ، فتعطيه اليهودية ؟!
فهاجرها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أشهر ، فلم يَقرَبْ بيتَها ، وعطلتْ زينبُ نفسَها (أي تركت الزينة) وعطلتْ بيتَها ، وعَمَدَتْ إلى السرير ، فأسندتْه إلى مؤخَّر البيت ، وأَيِسَتْ أن يأتيها ، فبَيْنا هي ذات يوم إذا بوَجْس رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخل البيت ، فوضع السرير موضعه :
فقالت : يا رسول الله ، جاريتي فلانة قد طَهُرَتْ اليومَ من حيضها ، هي لك .
فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها .
هذه الروايات من كتابيْ عِشرة النساء للنَّسائي ، والعيال لابن أبي الدنيا .

ح / الغَيْرَة

كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند عائشة في بيتها ويومها ، معه بعض أصحابه ينتظرون طعاماً ، فأرسلتْ إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقصعة فيها طعام مِن حَيْسٍ ثريدٍ : خبز ولحم ، وعائشة تصنع طعاماً عجلة قد رأت الصحفة التي أتي بها . قالت عائشة : ما رأيتُ صانعة طعام مثل صفية ، فلما رأيتُ الجارية أخذتني رعدة !
فخرجتْ عائشة ـ وذلك قبل أن يتحجبن ـ مُتَّزِرَةً بكساء معها فِهْرٌ [أي حجارة] فضربتْ بيد الخادم ، فسقطتِ القصعة ، فضربت بالفِهْر الصَّحْفة ، فانفلقت القصعة بنصفين بفلقتين ، وانتشر الطعام ، فجعل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : غارتْ أمُّكم ، وأخذ الكسرتين ، فضَمَّ إحداهما إلى الأخرى ، فجَمَعَ فلق الصَّحْفة ، وجعل يجمع فيها الطعام الذي كان في

الصَّحْفة على النِّطْع ، ويقول للقوم : كلوا بسم الله غارت أمكم ، كلوا غارت أمكم ، فأكلوا .
وحَبَسَ الخادمِ والقَصْعة حتى فرغوا ، فدفع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القصعة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ قصعتُها ، وترك المكسورة مكانها للتي كُسِرَتْ في بيتها .
فقال : خذوا ظرفاً مكان ظرفكم ، إناءٌ كإناءٍ وطعامٌ كطعامٍ ، مَن كَسَرَ شيئاً فهو له وعليه مثله ، فصارت قضية .
رواه البخاري (5225 و 2481) وأحمد (3 / 15 و 263) وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي والدارمي وابن أبي الدنيا في العيال وابن أبي حاتم في العلل والطبراني في الأوسط (4184) والدارقطني وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (292/2) وغيرهم (شرح البخاري 5 / 124 – 126) .

و قِصَّة التخيير :

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما :
لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين مِن أزواج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللتين قال الله تعالى : إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا [التحريم/4] حتى حجَّ وحججتُ معه ، وعَدَلَ وعَدَلْتُ معه بإداوة ، فتبرز ، ثم جاء ، فسكبت على يديه منها ، فتوضأ :
فقلت له : يا أمير المؤمنين ، مَن المرأتان مِن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى فيهما ؟
قال : واعجباه لك يا ابن عباس ، هما عائشة وحفصة :
كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زَيْد وهم من موالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فينزلُ يوماً ، وأنزل يوماً :
فإذا نزلتُ جئتُه بما حَدَثَ مِن خبر ذلك اليومِ من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مِثْلَ ذلك .
وكنا معشر قريش نغلب النساء
فلما قَدِمْنا على الأنصار إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم
فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار !

فصخبتُ على امرأتي ، فراجعتني ، فأنكرتُ أن تراجعني !
قالت : ولِمَ تنكر أنْ أراجعك ، فوالله إن أزواج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ؟!
فأفزعني ذلك ، فقلت لها : قد خاب مَن فعل ذلك منهن .
ثم جَمَعْتُ عليَّ ثيابي ، فنزلتُ ، فدخلتُ على حفصة :
فقلت لها : أيْ حفصةُ ، أتغاضبُ إحداكن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الليل ؟! قالت : نعم !
فقلت : أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتهلكي ؟
لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، وسليني ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك [يعني عائشة] أوضأ منك وأحب إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يعني فتفعل ذلك ، فيحتمله منها لجمالها وحبها] .
وكنا قد تحدثنا أن غسانَ تَنْعَلُ الخيلَ لتغزونا ، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نَوْبته ، فرجع إلينا عشاءً ، فضرب بابي ضرباً شديداً ، وقال : أثمَّ هو ؟!
ففزعتُ ، فخرجتُ إليه ، فقال : قد حَدَثَ اليومَ أمرٌ عظيم .
قلت : ما هو ؟ أجاء غسانُ ؟
قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأَهْوَل : طلَّقَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساءه .
فقلت : خابتْ حفصةُ وخَسِرَتْ ، وقد كنتُ أظنُّ هذا يوشك أن يكون .
فجمعتُ عليَّ ثيابي ، فصليتُ الفجرَ مع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدخل مشربة له ، فاعتزل فيها
ودخلتُ على حفصة ، فإذا هي تبكي :

فقلت : ما يُبكيك ؟ ألم أكن حذرتك هذا ؟ أطلقكن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قالت : لا أدري ، هاهو معتزلٌ في المشربة .
فخرجتُ ، فجئتُ إلى المنبر ، فإذا حوله رهطٌ يبكي بعضهم ، فجلستُ معهم قليلاً ، ثم غلبني ما أجدُ ، فجئتُ المشربة التي فيها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فقلت لغلامٍ له أسودُ : استأذنْ لعمر .
فدخل الغلامُ ، فكلم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم رجع ، فقال : كلمتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكرتُك له ، فصَمَتَ .
فانصرفتُ حتى جلستُ مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجدُ ، فجئتُ الغلامَ ، فقلت : استاذنْ لعمر .
فدَخَلَ ، ثم رَجَعَ ، فقال : قد ذَكَرْتُكَ له ، فصَمَتَ .
فرَجَعَتُ ، فجلستُ مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجدُ ، فجئتُ الغلامَ ، فقلت : استأذنْ لعمر .
فدخل ، ثم رجعَ ، فقال : قد ذكرتُكَ له ، فصَمَتْ .
فلما وليتُ منصرفاً إذا الغلام يدعوني ، فقال : قد أَذِنَ لك.
فدخلتُ على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا هو مضطجعٌ على رمالِ حصيرٍ ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من أدمٍ حَشْوُها ليفٌ ، فسلمتُ عليه،ثم قلت وأنا قائم : يا رسولَ الله،أطلقتَ نساءَك ؟ فرفع إليَّ بصره ، فقال : لا . فقلت : الله أكبر .
ثم قلتُ وأنا قائمٌ أستأنس : يا رسول الله ، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم ! ، فتبسم رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ثم قلت : يا رسول الله ، لو رأيتني ودخلتُ على حفصة

فقلت لها : لا يغرنك أن كانت جارَتُكِ أوضأ منك وأحبَّ إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم بسمة أخرى ، فجلستُ حين رأيته تبسم ، فرفعت بصري في بيته : فوالله ما رأيتُ في بيته شيئاً يَرُدُّ البصر غير أهبة ثلاثة [الإهاب الجَلْد] :
فقلت : يا رسول الله ، ادع الله فليوسِّعْ على أمتك فإن فارسَ والرومَ قد وُسِّع عليهم وأُعْطُوا الدنيا وهم لا يعبدون الله .
فجلس رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان متكئاً ، فقال : أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب ، إن أولئك قومٌ قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا .
فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي .
فاعتزل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة :
وكان قال : ما أنا بداخلٍ عليهن تسع وعشرين ليلة .
دخل على عائشة ، فبدأ بها :
فقالت له عائشة : يا رسولَ الله ، إنك كنتَ قد أقسمتَ أن لا تدخلَ علينا شهراً ، وإنما أصبحتَ مِن تسع وعشرين ليلة أَعُدَّها عَدًّا !
فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشهر تسع وعشرون ليلة.
فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة .
فقالت عائشة : ثم أنزل الله تعالى آية التخيير ، فبدأ بي أولَ امرأة من نسائه ، فاخترتُه ، ثم خَيَّرَ نساءَه كلهن ، فقلن مثلما قالت عائشة [رضي الله عنهن] .
رواه البخاري ومسلم .
و قصة ليلة العبادة
قالت أم المؤمنين عائشة بنت الصدّيق رضي الله عنهما ألا أحدثكم عني وعن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

لما كانت ليلتي التي هو عندي انقلب فوضع نعليه عند رجليه[لا عند رأسه ولا تحت رأسه ولا ...... كما يصنع الجُهَّال اليوم في الصلاة وفي النوم]، وبَسَطَ طرف إزاره على فراشه ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدتُ ، ثم انتعل رويداً ، وخرج رويداً !
فجعلتُ درعي في رأسي ، واختمرتُ ، وتقنعتُ إزاري ، وانطلقتُ في إثره حتى جاء البقيعَ ، فرفع يديه ثلاث مرات ، فأطال ، ثم انحرف ، فانحرفتُ ، فأسرع فأسرعتُ ، فهرول فهرولتُ ، فأحضرَ فأحضرتُ ، وسبقتُه فدخلتُ ، فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل :
فقال : مالك يا عائشةُ حَشْيَا رابية ؟
قالت : لا شيءَ .
قال : لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير .
قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي – فأخبرته الخبر .
قال : فأنت السوادُ الذي رأيتِ أمامي ؟! (ويحها لو استطاعتْ ما فعلتْ / 1) قالت : نعم .
ولهزني في صدري لهزة أوجعتني .
ثم قال : أظننتِ أن يحيفَ اللهُ عليك ورسولُه ؟!
قلت : فمهما يكتمِ الناس فقد علمه الله تعالى (ما بي ذاك يا رسول الله ولكني ظننتُ أنك أتيتَ بعضَ نسائك / 2)
قال : فإن جبريل أتاني حين رأيتِ ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابَك ، فناداني فأخفى النداءَ منك ، فأجبتُه فأخفيتُه منك ، فظننتُ أنكِ قد رقدتِ وكرهتِ أن أوقظك وخشيتِ أن تستوحشي ، فأمرني أن آتي البقيع ، فاستغفر لهم .
قلت : يا رسول الله ، كيف أقول ؟
قال : قولي : السلام عليكم أهل الديار من المسلمين

والمؤمنين ، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

وقالت – رضي الله عنها :

فقدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلة ، فظننتُ أنه ذهب إلى بعض نسائه ، فتحسستُه ، فإذا هو راكع أو ساجد يقول : سبحانك وبحمدك ، لا إله إلا أنت .

فقلت : بأبي وأمي ، إنكَ لفي شأن ، وإني لفي شأن آخر .

قالت أم المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق – رضى الله عنهما: لما كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلتي بعد ما أخذتُ مضجعي حتى إذا دخل معي في فراشي حتى مسَّ جلده جلدي ثم قال لي: يا عائشة، هل لك أن تأذني لي الليلة أن أتعبد لربي- عز وجل ؟!

قلت: بأبي وأمي، والله يا رسول الله إني أحبُّ قربك وإني لأحب أن تعبَّد لربك .

فقام إلى قربة من ماءٍ في ناحية البيت، فتوضأ فأحسَنَ الوضوء لم يكثر صبَّ الماء، ثم قام إلى المسجد (مسجد البيت) يصلي، فبكى حتى ظننتُ أن دموعَه بَلَّتْ لحيته، ثم قرأ من القرآن فبكى، فلم يزل يبكي حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بصلاة الصبح.

فقال بلال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!

قال: وَيْحَك يا بلالُ ، وما يمنعني أن أبكي، ولقد أنزل الله- عز وجل- على في هذه الليلة هذه الآيات ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً

وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

[آل عمران/190-191]
رواه عبد بن حميد وابن ماجه وابن مَرْدُويه والثعلبي في تفاسيرهم، وابن أبي الدنيا في التفكر وأبو الشيخ في الأخلاق والتيمي في الترغيب وغيرهم وصححه
الحاكم، وقد خرجته في (المستخرج).
الأسانيـــد :
1 / الخطبة والعقد
رواية ابن جرير في تاريخه (3 / 162 – 163) 2ح وابن أبي عاصم في الآحاد (3006) 3ح والطبراني في ترجمة عائشة وسودة – رضي الله عنهما – في المعجم الكبير (23 / 23 / 57 و 24 / 30 / 80) : ثنا محمد بن عبدوس بن كامل السراج
4ح والحاكم (167/2) أخبرنا مخلد بن جعفر : نا محمد بن حرب – كلهم ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد (الأموي/41) ثني أبي ح وأحمد (210/6) نا محمد بن بِشْر
كلاهما : نا محمد بن عَمرو (بن علقمة / 2و3) عن (ثنا / 1) يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب (زاد محمد بن بِشْر : وأبو سلمة) عن عائشة – رضي الله عنها .
وهذا إسناد حسن صحيح ، وقال ذاك الذهبي في السيرة (ص281) , (إسناده حسن) , وقال في المجمع (9 / 225) : (رجال الصحيح غير محمد بن عَمرو بن علقمة وهو حَسَن الحديث) وله شواهد كثيرة ، وظاهره عند أحمد الإرسال .
وأما العسقلاني
فقال في شرح الصحيح (9 / 124) : (ابن أبي عاصم من طريق يحيى بن عبد الرحمن القطان عن محمد بن عَمرو)
وقال في الإصابة (8 / 139) : (ابن أبي عاصم من طريق يحيى القطان عن محمد بن عَمرو) :

1 – فاقتصر في العزو في الكتابين على ابن ابي عاصم .
2 – وأفحش في زعمه أن يحيى هو القطان ، وإنما هو الأموي صاحب المغازي .
وما بين [ ] فهو تفسير مني .
والسياق لابن جرير ، وزيادة ابن أبي عاصم (/ 2) والطبراني (/ 3) والرواية (/ 4) لمسلم والطبراني (23 / 28 / 68 – 70) وغيرهما .
ورواه البغوي في جزء أبي الجهم (251 / ق) : ثنا الهيثم بن عدي : ثني هشام بن عروة عن أبيه – فذكر قصة خولة مع سودة وعائشة باختصار .
2 / السن والسِّمَن
رواية يونس بن بُكَير في زيادات المغازي (ص 255–256) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها .
ومن طريقه رواه ابن ماجه (3324) وابن الأعرابي (842) وابن لال (- ومن طريقه الضياء في منتقى مَرْو (3 في 2/ 1/ ق) .
ورواه جماعة عن هشام – عند أبي داود (3903) وأبي نعيم في الطب (140و141/ ق) وأبي الفضل الزُّهْري في حديثه (2/50/ ق) وابن إسحاق في مغازيه (ومن طريقه أبو داود وأبو الفضل والحاكم وغيرهم) والطبراني (23/ 65/27–67) والحاكم (180/2)
ورواية الحث ونصحه صلى الله عليه وسلم بالرطب والقثاء عند أبي نعيم في الطب (1/141/ ق) من حديث محمد بن حميد الرازي نا زيد بن الحباب عن حُسين بن واقد عن ابن بُرَيْدة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها .
وانظر علل الداراقطني (131/5/ق) في رواية يونس ومحمد بن إسحاق عن هشام.
3 / تزيين العروس
رواية ابن جرير السابقة ، وما بين [] رواية للصحيح ورواية (/1) لا بن أبي عاصم (3009) ورواية (/2) لمسلم والطبراني (23/28/68–70) وغيرهما .
4 / جلوة العروس
رواية ابن جرير ، ثم حديث أسماء – رضي الله عنها – عند أحمد والحميدي والطبراني وغيرهم .
5 / البناء

رواية ابن جرير ، والاغتسال في الصحيح .
6/ حسن العشرة
أحاديث في الصحيح والسنن صحاح .
هذا وذكر (إنما هي ابنة أخيه) له شواهد في المعنى .
في قصة ليلة فاطمة وعلي – رضي الله عنهما ، وتأتي. وحديث رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو كنتُ متخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام) .
وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (وددت أني رأيت إخواني)
قالوا : يا رسول الله ، أوَ لسنا إخوانك ؟
قال : لا ، ولكنكم أصحابي ، وإن إخواني قومٌ يأتون من بعدي يَوَدُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله (أي لو رآني ولو ترك ماله وأهله ليراني) .
- وقصة إتيان البقيع (1/ لابن الأعرابي 2304 في 465 / ق) و (2/ لعبد بن حميد / 1059 وغيره في ليلة النصف من شعبان) .
- و (الجواري والبنات في العيال 555 – 556 و 558 و559 وعلل أحمد 2242 وابن سعد 42/8 وغريب أبي عبيد 314/4– 315 و ..)
و (هذه بتلك في العيال 557 و 560 وأطراف أفراد الدارقطني 2 / 349 / ق وعلل الدارقطني 125/5/ ق وغيرهم)
و (قصة المظاهرتين عند الطيالسي ص 6)
و (وتحكيم الصديق رضي الله عنه في كتاب العيال 561 و 562 ، والخطيب 11 / 240)
و (هبة صفية في مسند أحمد 6 / 145 وإسحاق 865 و 866)
و (الصحفة في كتاب العيال 563 و 564) .

الفصل الثاني

أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما

كانت عائشة بنت الصديق وحفصة بنت عمر – رضي الله عنهم – متحابين ، فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تزوره .
فجاء رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يجدها في المنزل ، فأرسل إلى جاريته مارية ، فظلت معه في بيت حفصة ويومها .
فجاءت حفصة على تلك الحال ، فوجدتْها في بيتها ، فجعلتْ تنتظر خروجها ، وغارت غَيرة شديدة ، فأخرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاريته ، ودخلتْ حفصة .
فقالت : يا نبيَّ الله ، لقد جئتَ إليَّ شيئاً ما جئتَه إلى أحدٍ من أزواجك : في يومي وفي داري وعلى فراشي ؟!
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والله لأرضينك ، والله لا أقربها ، لا تذكري ذلك لأحدٍ .
فانطلقتْ حفصة إلى عائشة ، فأَسَرَّتْ إليها أن أبْشِري أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حَرَّمَ عليه فتاته .

فلما أخبرتُ بسِرّ النبي صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى من سورة التحريم : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً [التحريم/1- 5]

ومن هذا الباب غَيرة الحرائر من الجواري :

1 – قصة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه - مع جاريته وقد أقبلتْ زوجته , ومعها سِكّين قالت : لو وجدتُك عليها لبقرتُ بطنك ! (وقد خَرَّجْتُ القصة في القصائد) .

2 – وقصة معاوية بن أبي سفيان – رضى الله عنهما :

قيل : إن الأحنف بن قيس – رحمه الله - كان عند معاوية وحدهما , فغنَّتْ جارية من جواري معاوية في جانب الدار , فأقبل معاوية على الأحنف فقال : يا أبا بحر لا ترِمْ حتى أعود إليك , إني لأطلبَ خلوةَ هذه الجارية فلا أكاد أقدرُ على ذلك . ثم قام في أثرها , فكأنما كان لابنة قَرَظَةَ امرأة معاوية عَيْنٌ على معاوية , فأقبلتْ به , فلَبَّبَتْه (أمسكتْه من ثيابه جعلتَها في عنقه وصدره وقبضتْ عليه وجَرَّته !)

فقال لها الأحنف : أكرمي أسيرَك !

فقالت له : اسكتْ يا قوَّاد !

رواه في الحدائق الغناء (ص 129) من طريق تاريخ دمشق (ص 268 – 269 / فاختة) من طريق المعافى في الجليس (3 / 17 - 18) من طريق عُمر بن شَبَّة (له تواريخ) قال : حُدِّثْتَ – فلم يذكر له إسناداً .

3- قيل : كانت عند شُرَيْح امرأة قد وَلَدَتْ له ، وله وصيفة (أيْ جارية) يحبها ، فانصرفَ في يومٍ حارٍ ، فوجد امرأته نائمة ، فأمَرَ الوصيفة ، فصارتْ إلى بيتٍ ، فخلعتْ قرقلها (ثوبٌ لا كُمَّ له) وخلع قميصه ، ودنا منها .
وانتبهتِ المرأة ، فاقتفتْ أثره ، وأحسَّ بها ، فذَهَبَ عقله ! :
فلبس القرقل ، ولبست الجارية القميص .
وأكبَّ على البساط يشير ! (ودخلت عليه امرأته على هذا الحال وهو يعلم) فقالت : ما تصنع ؟!
قال : زعمتِ الجارية أن طوله (يعني طول البساط) كذا !
قالت : فقرقلها عليك (ما معناه) ؟!
قال : مِن هذا أعجب أنا أيضاً !
فذهبت تلومه ، فقال : هي حُرَّة .

رواه أبو هلال العسكري في الأوائل (ص 361) عن أبي أحمد العسكري (له تصانيف) عن الجوهري عن أبي زَيْد (عُمر بن شَبَّة له تصانيف) عن أحمد بن معاوية عن الكلبي (له تصانيف وفيه مقال شديد) عن الشرقي قال : كانت – فذكره .

الفصل الثالث

أم المؤمنين – زينب – رضي الله عنها

قال أنس – رضي الله عنه :
لما انقضتْ عِدَّةَ زينب [من زَيْد بن حارثة] .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد : اذهب إليها فاذكرها عليَّ .
فانطلق زيد ، فأتاها وهي تَخمر عَجينها :
قال زيد : فلما رأيتُها عَظُمَتْ في صدري ، فما استطعتُ أن أنظر إليها حين عرفتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذَكَرَها ، فوليتها ظهري ونكصتُ على عقبي .
قلت : يا زينب أبشري ، أرسل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرك .
قالت : ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى أؤامرَ ربي .

فقامت إلى مسجدها .
ونزل القرآن ، وجاء رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل عليها بدون إذن ، فدخل صلى الله عليه وسلم بأهله .
وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزينب .
فصنعت أم سُليم حَيْساً ، فجعلته في تَوْرٍ من حجارة .
فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقل : بعثتْ بهذا إليك أمي ، وهي تُقرئك السلام ، وتقول : إن هذا لك مِنَّا قليلٌ يا رسول الله فذهبتْ إليه فقلت .. ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعه .
فدعا الناسَ للطعام بعد ارتفاع النهار قال :
اذهبْ فادعُ لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيتَ من المسلمين فدعوتُهم زهاءَ ثلاثمائة .
وقال لي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا أنس هات التَّوْر ووضع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَه على الطعام ، فدعا فيه ، وقال فيه ما شاء الله أن يقول ، فدخلوا حتى امتلأت الحجرة والصُّفَّة .
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليتحلقْ عشرة عشرة ، وليأكلْ كلُّ إنسان مما يليه) ، فأكلوا حتى شبعوا ، فخرجتْ طائفة ، ودخلتْ طائفة ، حتى أكلوا كُلُّهم .
فقال لي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا أنسُ ارفع ، فرفعتُ ، فما أدري حين وُضِعَتْ أكثرَ أم حين رُفِعَتْ .
وجلس طوائفُ منهم يتحدثون في بيت رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ وزوجته مُوَلِّيَةٌ وَجْهَها إلى الحائط[هكذا الأدب لا أن توليهم وَجْهَها] فثقلوا على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجعل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستحيي أن يقولَ لهم شيئاً ، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا .

فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من القوم فخرجوا ، وبقي ثلاثة رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فأطالوا عليه الحديث .
فخرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمَشى ، فاتبعته [فأخذ بيدي] فجعل يتتبع حُجَر نسائه يسلم عليهن (هنأنه وهنأه الناس ،فقالوا:الحمد لله الذي أقرَّ عينك يا رسولَ الله) فمشيتُ معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ، ثم ظنَّ أنهم قد خرجوا فرجع ورجعتُ معه ، فإذا هم جلوسٌ مكانهم ، فرجع ، فرجعت الثانية حتى بلغ حجرة عائشة ، فرجع ، فرجعتُ ، فلما رأوا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رجع ظنوا أنهم قد أثقلوا عليه ، فابتدروا ، فخرجوا كلهم .
فجئتُ ، فأخبرتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم قد انطلقوا .
وجاء رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى دخل البيت ، ونزلت آية الحجاب ، (فلما كان من العَشِيّ خرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فصعد المنبر تلا هذه الآية) :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً [الأحزاب/53]

رواه البخاري ومسلم (1428) واللفظ له من روايات شتى ، وما بين (   ) فهو من رواية أبي يعلى (3666) ، وانظر تخريجه هناك (6 ح 3332) .

الفصل الرابع
أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها

قالت : حدثني أبو سلمة رضي الله عنه أنه سمع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : إذا أصاب أحدَكم مصيبةٌ فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك أحتسب مصيبتي : فآجرني فيها ، وأبدلني بها خيراً منها .
فلما احْتُضِرَ أبو سلمة – رضي الله عنه – قال :
اللهم اخلفني في أهلي بخير
اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يُحزنها ولا يؤذيها .
فلما قُبضَ أبو سلمة – رضي الله عنه ، ورَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده ، قمتُ أريد البكاء عليه .
فقال لي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فاعلةٌ ماذا ؟
فقلت : يا رسول الله ، أبكي على أبي سلمة .
فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعلي ، فإن لأهل الميت عند موت ميتهم ما دَعَوْا به .
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله ، إن أبا سلمة مات، فكيف أقول ؟
قال صلى الله عليه وسلم : قولي : اللهم اغفر لي وله ، وأعقبني منه عقبي حسنة .
وذكرتُ الذي حدثني أبو سلمة – رضي الله عنه ، فقلت : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، اللهم عندك أحتسبتُ مصيبتي ، فأجرني فيها .
وأردتُ أن أقول : وأبْدِلني بها خيراً منها
فقلت : ومَن خيرٌ مِن أبي سلمة ، أَنَّى أُعاضُ خيراً منه ، هاجر وجاهد ؟
فما زلتُ حتى قلتُها .
ودخل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها

فذكر ما أعطاه الله وما قَسَمَ له وما فَضله ، وما زال يذكر ذلك ويتحامل على يده حتى أثَّر الحصيرُ في يده مما يُحَدِّثها .
فلما انقضت عِدَّتي مِن أبي سلمة خطبها أبو بكر فرَدَّته ، ثم خطبها عمرُ فرَدَّته .
فبَعَثَ إليها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت :
مرحباً برَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبرسوله ، أَخْبِرْ رسولَ الله أني امرأةٌ غَيْرَى ، وأني مُصِْبية ، وأنه ليس أحدٌ من أوليائي شاهداً .
أتاني رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكَلَّمني بيني وبينه حجابٌ ، فخطب إليَّ نفسي :
فقال : فما يمنعكِ يا أم سلمة ؟
فقلت : أيْ رسولُ الله ، وما تريد إليَّ ، وما أقول هذا إلا رغبةً لك عن نفسي :
ما مثلي تُنْكَحُ ، فيَّ خصالٌ ثلاثٌ :
إني امرأةٌ كبيرةٌ قد أدبر مني سِنّي ، فلا وَلَدَ فيَّ !
وإني مُطْفِلٌ ، أمُّ أيتامٍ ، ذاتُ عيال .
وأنا امرأةٌ غيورٌ شديدة الغَيْرَة ، وأنت يا رسولَ الله تجمع النساء !
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فلا يمنعك ذلك :
أما ما ذكرتِ مِن غَيْرَتكِ فندعو الله ، فيُذهبها الله
وأما ما ذكرتِ مِن سِنّكِ فأنا أكبرُ منكِ سناً
وأما ما ذكرتِ مِن أيتامك فعلى الله جلَّ ثناؤه ورسوله
وأما الأولياءُ فليس أحدٌ منهم شاهدٌ أو غائبٌ إلا سيرضاني.
فأذِنْتُ له في نفسي ، فتزوجني
قالت : يا عمرُ (لابنها) ، قم فزَوِّجْ رسولَ الله .
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أما إني لا أنقصك مما أعطيتُ أختك فلانة :

رَحَيَيْن ، وجَرَّتَيْن ، ووسادةً من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ .
فجعل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيها ، فيقول : أين زُنَابُ ؟
فكان يختلفُ إليها ، ولا يَمَسُّها لأنها تُرضع ، فإذا جاء أخذتْ زينبَ ، فوَضَعَتْها في حجرها لتُرضعها ، وكان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيياً كريماً : يستحيي فيرجع – فَعَلَ ذلك مراراً .
ففطن عمارُ بنُ ياسر لما تصنع ، فأقبلَ ذاتَ يوم ، وجاء عمار - وكان أخاها لأمها (لعله من الرضاعة) وكانت ترضعها ، فدخل عليها ، فاختلجها ، فانتشطها من حجرها ، وقال : هاتِ هذه الجارية التي تمنع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاجته ، شغلتِ أهلَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيتِ بها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فأخذها ، فذَهَبَ بها ، فاسترضعها بقُباء .
فجاء رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدخل ، فجعل يقلب بصره في البيت يقول : أين زُنَابُ ؟ ما فَعَلَتْ زُنابُ ؟
فقالت قُرَيْبَةُ بنت أبي أمية (أخت أم سلمة) ووافقها عندها : أخذها عمار ، فاسترضعها .
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني آتيكم الليلةَ وكانت في ليالٍ بقينَ من شوال سنة أربع .
فلما كان ليلةَ واعدنا البناء قمتُ من النهار إلى رحاي وثِفالي (الثِّفالُ جِلْدٌ يُبْسَطُ تحت الرَّحَى) فوضعتُهما ، وقمتُ إلى فَضْلَةِ شعيرٍ لأهلي ، فطَحَنْتُها ، وفَضْلَةٍ مِن شَحْمٍ ، فعَصَدْتُها لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
فلما أتانا صلى الله عليه وسلم قدم إليه الطعام ، فأصاب منه.

وبات تلك الليلة ، فأقام – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عندها ثلاثاً ، فلما أصبح أراد أن يدورَ ، فأخذتُ بثوبه ، فقال :
ليس بكِ على أهلكِ هَوَانٌ ، قد أصبح بكِ على أهلكِ كرامةٌ ، ولك عندهم منزلة :
فإن أحببتِ أن تكون ليلتكِ هذه ويومكِ هذا كان .
وإن أحببتِ أن أُسَبِّعَ لك ، وإني لم أُسَبِّعْ لامرأةٍ (يعني ثَيِّبًا) لي قبلك ، وإن سَبَّعْتُ لكِ سَبَّعْتُ لصواحبكِ .
ما شئتِ ، إن شئتِ أن أزيدَكِ زِدْتُكِ ، ثم قاصصتُكِ به بعدَ اليوم ، ثلاثٌ للثيب وسبعٌ للبِكْر .
قالت : يا رسولَ الله ، افعلْ ما أحببتَ .
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وإن شئتِ ثلاثاً عندكِ ، و دُرْتُ .
قالت : ثلاثاً .
فقد عاضني اللهُ خيراً من أبي سلمة : رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأنا أرجو أن يكون الله قد آجرني في مصيبتي .

فهذه روايات شتى جمعتها في سياق واحد من مصنف عبد الرزاق (6/235–236) وطبقات ابن سعد (8/86–96) والطبراني (23/353–354) والحاكم (2/178–179) والبيهقي (7/300–301) وعلل ابن أبي حاتم (1209و 1211و 1272) والمزي (16/447–448) وطبقات ابن سعد (8/86-96) و بأسانيد صحاح وحسان ، وبعضه في الصحيح والسنن ، وما كان (   ) فهو تفسيرٌ مني .
وقد روى الحاكم وغيره وخَرَّجْتُه في كتابي صلة المسند حديث فروة بن نوفل الأشجعي عن أبيه – رضي الله عنه – وكان النبي صلى الله عليه وسلم دفع إليه ابنة أم سلمة – رضي الله عنهما ، وقال : إنما أنت ظئري – الحديث في قراءة سورة (قل يا أيها الكافرون) عند النوم .

الفصل الخامس

أم المؤمنين صفية رضي الله عنها

لما غزا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبرَ ، وغَنَّمه الله أموالهم :
كانت صفية بنتُ حُيَي بن أخطب من سِبْط هارون بن عمران أخي موسى صَلَّى اللهُ على نبينا وعَلَيْهِما وَسَلَّمَ ، وكانت قد تزوَّجَها سلامُ بنُ مِشْكَم القُرَظي ثم فارقها ، فتزوجها كنانة

بن أبي الحُقَيق النَّضْري ، فقُتِلَ عنها يوم خيبر وهي حديثة عهدٍ بعرسٍ ، وَقَعَتْ في سَهْمِ دِحْية الكلبي .
فجعلوا يمدحونها عند رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويقولون : إنه قد وقع في سَهْمِ دِحْية جارية جميلة ، رأينا في السبي ما رأينا ضَرْبَها (يعني مثْلها) .
فبعث رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها ، فأعطى بها دِحْيَةَ ما رَضِيَ : اشتراها بسبعة أرأس ، (فأمَرَ بلالاً يذهبُ بها وبنت عمٍّ لها من القموص إلى رحله / 1)
فكان لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفيٌّ مِن كل غنيمة ، فكانت صفية مما اصطفى يومَ خيبر .
(لما دخلتْ صفية على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
قال لها : لم يزل أبوكِ مِن أشدّ يهود لي عداوة حتى قتله الله
فقالت : يا رسول الله ، إن الله يقول في كتابه : ولا تزر وازرة وزر أخرى [الأنعام /164 ..]
فقال لها : اختاري :
فإن اخترتِ الإسلامَ أمسكتُك لنفسي
وإن اخترتِ اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك .
فقالت : يا رسول الله لقد هَوِيتُ الإسلامَ وصَدَّقْتُ بكِ قبل أن تدعوني حيث صرتُ إلى رَحْلك .
ومالي في اليهودية أَرَبٌ ، وما لي فيها والدٌ ولا أخٌ .
وخَيَّرْتني الكفرَ والإسلامَ ، فالله ورسوله أحب إليَّ من العتق وأن أرجعَ إلى قومي / 2) (أختار الله ورسوله / 1)
فأمسكها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه (وكانت أمُّها إحدى نساء بني قينقاع ، فلم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذاكراً أباها بحرفٍ مما تكره / 2)
وأسلمتْ ، فأعتقها ، وتزوَّجها ، وجعل عتقها مِهْرها .
(ورأى بوجهها أثر خُضْرَةٍ قريباً من عينها ، فقال : ما هذا ؟

قالت : يا رسول الله ، رأيتُ قمراً في المنام أقبل من يثرب حتى وقع في حجري ، فذكرت ذلك لزوجي كنانة ،فقال : تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة ؟ فضَرَبَ وجهي / 1) و (رأيت كأني وهذا الذي يزعم أن الله أرسله ومَلَكٌ يسترنا بجناحه .
فرَدُّوا عليها رؤياها ، وقالوا لها في ذلك قولاً شديداً / 3) ودفعها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أم سُلَيم حتى تهيئها وتعتدّ عندها (واعتدّتْ حيضة ، ولم يَخرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر حتى طَهُرَتْ من حيضتها ، فخرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر ولم يعرس بها [التعريس هو الرجل يأتي امرأته ليلاً ، ومنه سُمِّي العروس والعُرس] .
فلما قُرِّبَ البعيرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج وَضَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْله لصفية لتضع قدمها على فخذه فأبت ، ووَضَعَتْ رُكْبَتَها على فخذه /1) فقال الناس : والله ما ندري أتزوَّجَها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمْ تَسَرَّى بها ، فلما حَمَلها سَتَرَها ، وأردفها خلفه (حَمَلها وراءه ، وجعل رداءَه على ظهرها ووجهها ثم شَدَّه مِن تحت رِجْلها ، وتَحَمَّلَ بها ، وجعلها بمنزلة نسائه / 1) . فعرف الناس أنه قد تزوَّجها .
(فلما صار إلى منزلٍ يقال له : بثار على ستة أميال من خيبر – مالَ يريد أن يُعَرِّسَ بها ، فأبتْ عليه ، فوجد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه مِن ذلك .
فلما كان بالصَّهْباء – وهي على بَريد : اثني عشر ميلاً من خيبر / 1) حتى إذا جعلها في ظهره نزل ثم ضرب عليها القبة :
وقال لأم سُليم : أصلحيها (عليكن صاحبتكن فامشطنها .

وأراد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعرس بها هناك .
قالت أم سُليم – رضي الله عنها : وليس معنا فسطاط ولا سرادقات ، فأخذتُ كسائين أو عباءتين ، فسَتَرَتُ بينهما إلى شجرة ، فمشطتُها وعطرتُها .
قالت أم سنان الأسلمية – رضي الله عنها : وكنتُ فيمن حضر عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية :
مشطناها وعطرناها ونحن تحت دومة ، وكانت جارية تأخذ الزينة مِن أوضأ ما يكون من النساء ، وما وجدتُ رائحة طيب كانت أطيب من ليلتئذٍ ، وما شعرنا حتى قيل : رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل على أهله / 1)
(قالت آمنة بنت أبي قيس الغِفارية – رضي الله عنها : أنا إحدى النساء اللاتي زففن صفية ، فسمعتُها تقول : ما بلغتُ سبع عشرة سنة يومَ دخلتُ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ /4) .
(قالت أم سنان : وأقبل صلى الله عليه وسلم يمشي إليها ، فقامتْ إليه ، وبذلك أَمَرْناها ، فخَرَجْنا مِن عندهما / 1)
(قال جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما : لما أُدْخِلَتْ صفية على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسطاطه حضرنا فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قوموا عن أمِّكم / 5)
وأعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبات عندها .
(قالت أم سنان – رضي الله عنها : وغَدَوْنا عليها وهي تريد أن تغتسل فذهبنا بها حتى توارينا من العسكر ، فقضتْ حاجتَها واغتسلتْ .
فسألتُها عما رأتْ من رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فذَكَرَتْ أنه سُرَّ بها ، ولم ينم تلك الليلة ، و لم يزل يتحدث معها .
وقال لها : ما حَمَلَكِ على الذي صَنَعْتِ حين أردتُ أن أنزل المنزل الأول ، فأدخلَ بك ؟

فقالت : خَشِيتُ عليك قُرْبَ يهود ، فلما بَعُدَتْ أَمِنْت .
فزادها ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أنها قد صَدَقَتْه / 1) .
و (لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بات أبو أيوب على باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم كَبَّرَ ومع أبي أيوب السيف ، فقال : يا رسول الله ، كانت جارية حديثة عهد بعرس ، وكنتَ قتلتَ أباها وأخاها وزَوْجَها ، فلم آمنها عليك .
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له خيراً / 6)
(وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم / 1) قال جابر : فلما كان من العَشِيِّ حضرنا ونحن نرى أن ثَمَّ قَسْماً / 5) فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما كانت قِصاعهم إلا الأنطاع / 1) : ففُحِصَتِ الأرضُ أفاحيصَ ، فجُعل فيها الأنطاع [أي الجلود] وقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَن كان عنده فضلُ زادٍ فليأتنا به .
فجعل الرجلُ يأتي بفضل السَّويق والتمر والسمن حتى جمعوا من ذلك سواداً ، فجعلوه حَيْساً (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف ردائه نحو من مُدٍّ ونصف من تمر عجوة / 5) (ما كانت وليمته إلا الحَيْس / 1)
(قال صلى الله عليه وسلم : كلوا من وليمة أمكم / 5) .
فجعلوا يأكلون معه ، ويشربون من سماءٍ [أي من ماء نزل من السماء فتجمَّع] إلى جنبهم .
فكانت تلك وليمة رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها .
(قال سهل بن سعد – رضي الله عنهما : رأيتُ صفية يومئذ تسقي الناس النبيذ : تمرات نقعتهن في تَوْرٍ من حجارة – أو قال : بُرْمة – من العَشِيّ أو من الليل ، فلما أصبحت صفية سقته للناس / 7) .

(فتغدَّى القوم يومئذ ، ثم راح رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنزل بالقصيبة وهي على ستة عشر ميلاً / 1)
- وساروا إلى المدينة :
قال أنس – رضي الله عنه : كنا إذا رأينا جُدُرَ المدينة مما نَهِشُّ إليه ، فنرفع مطايانا ، (أي نسرع المشي) فرأينا جُدُرَها فرفعنا مطايانا ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته وصفية خلفه ، فعَثَرَتِ الناقة ، فخرَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخَرَّتْ معه ، فما أحدٌ من الناس ينظر إليه ولا إليها ، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ينظرن فقلن : أبعدَ اللهُ اليهودية وفَعَلَ بها وفَعَلَ ! ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَتَرَها ، فاقتحم أبو طلحة – رضي الله عنه – عن راحلته ، فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا نبيَّ الله ، هل ضارَّكَ شيءٌ ؟
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا لم أُضَرَّ ، عليك بالمرأة .
فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه ، ثم قَصَدَ قَصْدَ المرأة ، فنبذ الثوب عليها فقامتْ ، فشَدَّها على راحلته ، فركب وركبنا نسير حتى إذا كنا بظهر المدينة – أشرفنا عليها – قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون
فلم نزل نقولها حتى قدمنا المدينة .
فدخلنا المدينة ، فخرج جواري نسائه يتراءَيْنها ويَشْمَتن بصَرعتها !
(وأنزل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفية في بيت من بيوت حارثة بن النعمان ، فسمع بها نساء المهاجرين والأنصار وبجمالها ، فجئن ينظرن إليها .
قالت أم سنان : فرأيتُ أربعاً من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم منتقبات : زينب وجويرية وحفصة وعائشة ، فأسمع

زينب تقول لجويرية : يا بنت الحارث ، ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !
فقالت جويرية : كلا ، إنها من نساءٍ قَلَّما يَحْظَيْنَ عند الأزواج / 1)
(وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة ، فلما خرجت خرج على أثرها ، فأخذ بثوبها :
فقال صلى الله عليه وسلم : يا شُقَيْراءُ : كيف رأيتِها ؟!
قالت : ما رأيتُ طائلاً ، رأيتُ يهودية بين يهوديات – تعني عماتها وخالاتها .
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تقولي هذا يا عائشة ، فإنها قد أسلمتْ فحَسُنَ إسلامها / 1 و 8)
و (قدمتْ صفية في أذنيها خرصة من ذهب ، فوهبتْ منه لفاطمة ولنساءٍ معها / 9) .
وكانت من أزواجه صلى الله عليه وسلم يقسم لها كما يقسم لنسائه .
- وجاءته ذات مرة وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتكفٌ في عشر رمضان ، فجلستْ معه حتى إذا قامت قام معها ليردَّها إلى منزلها بدور أسامة بن زيد – رضي الله عنهم ، فرآهما رجلان من الأنصار فأسرعا ، فناداهما صلى الله عليه وسلم قال : على رِسْلِكما (يعني على مَهْلكما) إنها صفية .
فقالا : يا رسولَ الله ، سبحان الله .
قال صلى الله عليه وسلم : إني خَشِيتُ أن يقذفَ الشيطانُ في قلوبكما شَرّاً .
- وحجَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنسائه ، فبَرَكَ بصفية جملُها ، فبكت ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أخبروه ، فجعل يمسحُ دموعَها بيده وهي تبكي ، وهو ينهاها ، فنزل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس

فلما كان عندَ الرواح قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزينب وكانتِ مِن أكثرهن ظهراً : أَفْقِري أختك جملاً .
فقالت : أنا أُفْقِرُ يهوديتك ؟!
فغضب رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يكلمْ زينب حتى رجع إلى المدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر فلم يأتها ولم يقسم لها حتى جعلتْ يومها لعائشة – رضي الله عنهن ، فاسترضته صلى الله عليه وسلم لها فرضي .
- وبلغ صفية أن حفصة قالت : بنتُ يهودي ، فبكت ، فدخل عليها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تبكي :
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما يُبكيك ؟
قالت : قالت لي حفصة : إني بنتُ يهودي .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنك لابنة نبي ، وإن لعمك لنبي ، وإنك لتحت نبي ، فبم تفخرُ عليك ؟!
ثم قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتق الله ياحفصة .
- ورأتها عائشة مرة فقالت : حَسْبُكَ من صفية أنها كذا
- وأشارت بيديها تعني أنها قصيرة !
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحر لمَزَجَتْه .
- (ولما كان الوجع الذي تُوُفِّيَ فيه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتمع إليه نساؤه – رضي الله عنهن :
فقالت صفية : أما والله يا نبيَّ الله لوددتُ أن الذي بك بي .
فتغامزن ، وأبصرهن صلى الله عليه وسلم ،فقال:مَضْمِضْن !
فقلن : مِن أيِّ شيءٍ يا نبيَّ الله ؟
قال صلى الله عليه وسلم : مِن تغامزكن بصاحبتكن ، والله إنها لصادقة / 10) .

فهذه قصتها على عجالة كلها من طبقات ابن سعد (8 / 120 – 129)
وبعضه عند الواقدي في مغازيه (2 / 707 – 709) وعامته أخذه صاحب السيرة (2 / 231 – 238)
والسياق في قصتها لحديث أنس – رضي الله عنه – وهو صحيح وانظر سنن البيهقي (7/259-260 وحديث أبي الربيع الزهراني للبغوي 9 -10 / ل) والأوسط للطبراني (2609).

وأما الروايات عند الواقدي 1 / ص 120 – 121 و 2 / ص 123 و 4 / ص 129 و 6/ ص 126 و 8 / رواية 120 – 121 ولها شاهد من وجه ضعيف عن ابن عمر – رضي الله عنهما ص 125 – 126
و 3 / ص 122 مرسل حميد بن هلال و 5 رواية جابر رضي الله عنه و 7 / سهل – رضي الله عنه و 9 / مرسل سعيد بن المسيب و 10 / مرسل زيد بن أسلم) .
وقد تغاضيت عن ضعف الواقدي في هذه القصة لأنها قصة ولحسن سياقتها .

الفصل السادس

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

قيل : لما قَدِمَتْ (من الحبشة سنة ستٍّ) أمر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بلالاً – رضي الله عنه ، فأخذ بخطام بعيرها ، فأنزلها المنزل الذي أمره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا فيه كُناسة ، فقالت لمولاة لها – أو مولاة أبيها :

إن شئتِ كفيتني السقيَ وكنستُ

وإن شئتِ استقيتُ وكنستِ

فكنست البيت ثم بَسَطَتْ فيه بساط شعر ، ثم بَسطت عليه شيئاً ، ثم أذن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدخول على أهله .

فلما دخل عليها فوجد ريح الطيب قال :

إنهن قرشيات بطاحيات قرويات

لسن بأعرابيات ولا بدويات .

رواه في تاريخ دمشق / ترجمتها (ص 87) من طريق الأحوص بن المفضل : نا أبي (له التاريخ) : نا يحيى بن معين : نا أبو مُسْهِر عن محمد بن شعيب بن شابور عمن سمع يونس بن ميسرة قال : لما قَدِمَتْ – فذكره .

وروي(غسل الإنا وطهارة الفنا يورثان الغِنى) الإناء والفناء

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يأمر بداره فتكنس حتى لو التمستَ فيها تبنة أو قصبة ما قدرتَ عليها .

وكان الربيع بن خُثَيْم – التابعي رحمه الله تعالى – يأمر بالدار أن تُنظف كل يوم .

ولما قدم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه البصرة قال لهم :إن أمير المؤمنين (عمر رضي الله عنه) بعثني إليكم لأعلمكم سنتكم وإنظافكم طرقكم . رواها ابن أبي شيبة (8 /670)

ورُوي : (بَخِّروا بيوتكم باللبان والشيح والمُرّ والصعتر)

[الطب لأبي نعيم 13/2/ ق والبيهقي في الشُعَب 11/77-78]

الفصل السابع

أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما :

بعث بي أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في إبلٍ أعطاها إياه من الصدقة .. وكانت ليلة ميمونة (خالة ابن عباس – رضي الله عنهم) ، فأتى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد ، فصلى العشاء ، ثم جاء فطرح ثوبه ، ثم دخل مع امرأته في ثيابها ، وكانت قد حاضت .. الحديث

رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لابن أبي الدنيا في التهجد (264) ، وفي بعض طرقه ذكر الحيض .

الفصل الثامن

الغِفارِيَّـــة رضى الله عنها

رُوي : تزوَّجها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما دخل عليها وضع ثوبه وقعد على الفراش ، فأمرها فنزعت ثيابها ، فقعد منها مقعد الرجل من المرأة فرأى بياضاً من بَرَصٍ بكَشْحها عند ثديها ، فانحاز عن الفراش ، ثم قال :

(خذي عليك ثيابك) فأصبح وقال لها : (الحقي بأهلك) . وأكمل لها صداقها ، ولم يأخذ مما أتاها شيئاً ، ورَدَّها إلى أهلها وقال : دَلَّسْتُم عليَّ .

رواه أحمد (3 /493) وابن أبي شيبة (4 / 176) وسعيد بن منصور (829 و 831) وابن عدي والطحاوي في المشكل (1 / 267) ويونس بن بُكير في زيادات المغازي (ص 268) والبخاري في الأوسط (80/2) والبيهقي (7 / 213 – 214 و256 – 257) وغيرهم من طريق جميل بن زيد عن رجل من الصحابة – رضي الله عنهم ، وجميل ضَعَّفه أبو حاتم وغيره وقال البخاري : لم يصح حديثه ، والصحابي

قال أبو حاتم (علل/1274) الصحابي : (هو زَيْد بن كعب،ومنهم من يقول: كعب بن زيد – يدخل في المسند) .

الفصل التاسع

فاطمة وعلي رضي الله عنهما

1 – الخِطْبة والتزويج .

كانت فاطمة تذكر لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلا يذكرها أحدٌ إلا صدَّ عنه حتى يئسوا منها فقال : أنتظر بها القضاء (أمر الله) فيها.

فخطبها أبو بكر وعمر فقال لهما كذلك ، فقالا لعلي :
بنت عمك تُخْطَبُ وأنت لها يا علي .
فنبهاني لأمرٍ .
ولقي سعدُ بنِ معاذ علياً ، فقال : إني والله ما أرى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبسها إلا عليك .
و قالت مولاة علي: فاطمة تُخْطَبُ ، فما يمنعك أن تأتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
فانطلق عليٌّ ، فقعد بين يديه ، فلم يستطع الكلام !
فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما حاجةُ ابنِ أبي طالب ؟!
قال : يا رسول الله ، قد علمتَ قِدَمي في الإسلام ومناصحتي وأني وأني .
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وما ذاك يا علي ؟!
قال : فسكت عليٌّ ! .
فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟
فقلت : نعم ، يا رسول الله
وكان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خُطب إليه أحدُ بناته أتى خِدْرَها ، فيقول : إن فلاناً ذَكَرَ فلانة ، فإذا هي سكتت زَوَّجَها ، وإذا أبت حَرَّكَتِ الخِدْرَ ، فسكتت فاطمة .
فخرجِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه قال : مرحباً وأهلاً ، فلم يَزِدْ على ذلك .
فخرج عليٌّ على أولئك الرهط من الأنصار
فقال سعد : أنْكَحَك والذي بعثه بالحق لتأتينه غداً ، فلتقولن : يا نبيَّ الله ، متى تُبَنِّيني ؟
فذهب ، فقال .
فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل عندك شيء تَصْدُقها به ؟
قال علي : لا والله يا رسول الله ما عندي ما أصدقها !
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فأين درعك التي أعطيتك يومَ كذا وكذا ، فبعها أَصْدِقْها إياها قد زوجتكها فابعث بها فاجمع ما قدرتَ عليه ثم ائتني به.
فباعها بثنتي عشر أوقية .
فقبض منها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبضة ، فقال : اجعلوا الثلث في الطيب ، وثلثين في ما يُصلح المرأة من المتاع ، فدفعها وأمرهم أن يجهزوها .
فكان فيما جُهِّزَتْ به : سرير ووسادة من أدم حشوها ليف ، وجاءوا برملٍ فدفعوه في البيت
قال علي : يا رسول الله ، متى تُبَنِّيني ؟
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
: الليلةَ إن شاء الله يا علي ، إنه لا بد للعرس من وليمة .
قال سعد بن معاذ : مِن عندي كبش .
وجمع رهط من الأنصار آصُعاً مِن ذرة ، ودعا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلالاً رضي الله عنه ، وأتاه بقصعة ,ودعا الناس جماعة جماعة , ثم عَمَدَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما فَضَلَ مِن القصعة ، فبَرَّك فيها ، وقال : يا بلال احملها إلى أمهاتك (يعني أمهات المؤمنين) ، وقل لهن : كُلْنَ وأطعمن من غَشِيَكُنَّ .

2- الزفاف

ثم قام رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى دخل على النساء ، فقال : دونكن ابنتَكُنَّ .
فقمن النساءُ ، فغَلَّفْنَها مِن طِيبهن ، وأَلْبَسْنها مِن ثيابهن ، وحَلَّيْنَها مِن حليهن دُمْلُوجان مِن فضة مُصَفَّرة بزعفران ، فدخلن معها البيت ، فإذا إهابُ شاة (جلد الشاة المدبوغ) ووسادة وقِرْبة وقَدَحٌ .
و قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رضي الله عنه : إذا أتتك لا تُحْدِثْ شيئاً حتى آتيَك .

وكانت اليهود يؤخِّرون الرجل عن امرأته .
فجاءت فاطمة مع أم أيمن ، فقعدتْ في جانب البيت ، وعليٌّ في جانب ، فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اتبعهما ، فاستأذن ، فقامت أم أيمن ، ففتحت الباب ، واختبأت أسماء بنت عُمَيس في ناحية
قال صلى الله عليه وسلم : ها هنا أخي؟
فقالت أم أيمن : أخوك هو وقد زَوَّجْتَه ابنتك ؟!
فدخل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا فاطمة متقنعة ، وعليٌّ منتبذٌ منها ، فقال له رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إني قد علمتُ أنك تهاب الله ورسوله .
ودعا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بماءٍ ، فشرب منه، فمضمض فمجّ فيه فتوضأ منه وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم دعا فاطمة فأقبلت تعثر في مِرْطها حياءً ، فناولها فشربت , وأخذ منه فنضح صدرها وجبينها وكتفيها وذراعيها ثم قال : اللهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .
وصنع مثلَ ذلك بعلي , ودعا :
اللهم باركْ فيهما وعليهما ، وباركْ لهما في نسلهما .
ثم قال لعلي : دونَك أهلَك ، بسم الله .
ثم خرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فرأى سواداً بين يديه مِن وراء الباب .
فقال : من هذا ؟ قالت : أنا أسماء .
قال : بنتُ عُمَيْس ؟ قالت : نعم .
قال : جئتِ في زفاف بنت رسول الله تكرمينه ؟
قلت : نعم ، إن الفتاة ليلة يُبنى بها لا بد لها من امرأة تكون قريباً منها إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها .
فدعاْ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأسماء , ثم خرج فأغلق عليهما بابه , فما زال يدعو لهما خاصة حتى توارى.

قد خَرَّجته في (المستخرج) من طرق , وفي بعضها ضعف مجبور بالباب , وهو من حديث أنس وبريدة وأسماء وجابر وغيرهم رضي الله عنهم مع المراسيل وغيرها .

الفصل العاشر

أبوا البشر : آدم وحَوَّاء

رواه البغوي في جزئه ([] ومن طريقه في تاريخ دمشق 2/ 633/ ق وذكره في البداية 1/74–75) عن محمد بن جعفر الوركاني عن سعيد بن ميسرة عن أنس – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هبط آدم وحواء عريانين جميعاً عليهما ورق الجنة .. وقد كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها .

وكان كل واحد منهما ينام على حِدَةٍ .

حتى أتاه جبريل ، فأمره أن يأتي أهله ، وعَلَّمه كيف يأتيها ، فلما أتاها جاءه جبريل :

فقال : كيف وجدتَ امرأتك ؟

قال : صالحة .

قال ابن كثير : (حديث غريب ، ورفعه منكر جداً ، وقد يكون من كلام بعض السلف ، وسعيد بن ميسرة : قال البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات) .

وروى ابن عدي (7 / 150) عن جماعة عن أبي تقي (وعلقه عنه ابن أبي حاتم في العلل / 1246) : نا يعقوب بن الجهم الحمصي .

ح ورواه (1 / 195 و 7 / 150) : حدثنا عبد المؤمن بن أحمد بن حوثرة : ثنا أحمد بن أبي روح البغدادي .

كلاهما (يعقوب وأحمد) نا علي بن عاصم عن مغيرة عن إبراهيم قال :

لما خلق الله آدم ، وخلق له زوجته حواء بعث الله ملكاً يأمره بالجماع ، ففعل ، فلما فرغ قالت حواء :

يا آدم ، هذا طيب ، ما أطيب هذا ، زِدنا منه .

قال ابن عدي : (هذه الحكاية معروفة بيعقوب بن الجهم ، وقد أُنْكِرَتْ عليه ، وأحمد ليست أحاديثه مستقيمة ، وكل من حدَّث بهذا عن علي بن عاصم فهو ضعيف) ، وقال أبو حاتم : (هذا حديث منكر) .

قال في الميزان (4 / 450 واللسان 6 / 306) : (خبرٌ باطلٌ ، وأحمد لا يُعرَف) ، بل يُعرَف ترجمه ابن عدي وقال : ليس بذاك ، وقال الخطيب : حدّث عن يزيد بن هارون ومحمد بن مصعب بأحاديث منكرة.

الفصل الحادي عشر

سليمان بن داود النبي ابن النبي

قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال سليمان بن داود نبي الله – عليهما السلام :

لأطوفن الليلة على نسائي : مائة امرأة ، فلتحملن كل امرأة ، ولتلدن كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف فارساً يجاهد في سبيل الله .

فقال له المَلَكُ صاحبه : قل : إن شاء الله .
فنسي أن يقول : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، ولم يستثنِ بشيء ، فطاف تلك الليلة عليهن جميعاً ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة : ولدت نصف إنسان جاءت بشق رجل : ساقطاً أحد شقيه !
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
وأيم الذي نفس محمد بيده
إنه لو كان استثنى قال إن شاء الله :
لم يحنث ، وكان دَرَكاً أرجى له في حاجته .
ولحملت كل امرأة منهن .
ولولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف فارساً في سبيل الله – عز وجل .
ولجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون .
رواه البخاري (2819 و 3424 و 5242 و 6639 و 6720 و 7469) ومسلم (1654) وانظر (شرح البخاري 6 / 458 – 462 وتاريخ دمشق 7 / 580 / ق سليمان) وهذا من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه ، وقال عبد الله بن العباس – رضي الله عنهما :
كان لداود مائة امرأة ، وكان لسليمان مائتا امرأة
رواه عثمان بن أبي شيبة (ومن طريقه في تاريخ دمشق 7 / 581 / ق) بسند جيد .
وروي أنه كان له ألف ما بين حرة وجارية (تاريخ دمشق – نفسه وشرح البخاري 6 / 460) .
وقد بَوَّب عليه البخاري في : (التوحيد والأنبياء والجهاد والنكاح والإيمان) وفاته التبويب عليه في (التفسير / سورة الكهف / 23 – 24 : ولا تقولن لشيء إني فاعل لك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وكذلك في (القدر وما جاء في لو للتعليم لا للتحسر على ما فات) .
وقال عمر رضي الله عنه : إني لأُكْرِهُ نفسي على الجماع لعلَّ الله يُخرج مني نَسْمة صالحة .
وقال : أتمنى أن يكون هذا البيت مملوءً رجالاً أمثال معاذ وأبي عُبيدة رضي الله عنهم .
ووُلِدَ مولودٌ ، فقيل لأبيه : ليهنك الفارس ، فقال الحسن – رحمه الله : وما يدريك لعله لا يكون فارساً !
وقد ذكرتُه في المناهي ، وبَيَّنْتُ وجهه .
وكان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما مَرَّ على نسائه جميعًا يغتسل عند كل منهن .

وطاف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على تسع جواري في ليلة واحدة , ثم أيقظ العاشرة فنام , فاستحيت أن توقظه
(دمشق 7 /157 / ل)

الفصلِ الثاني عشر

أم سُلِيم وأبو طلحة رضي الله عنهما

1- الخِطْبة

قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم – وهي أم أنس :
إن هذا الرجل – يعني رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُحَرِّم الخمر .
فانطلق حتى أتى الشام ، فهلك هناك .
(فكانت أم سليم تقول : لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس .
فيقول أنس : جزى الله أمي خيراً ، لقد أحسنت ولايتي /-)
فجاء أبو طلحة (قبل أن يُسلم /3) فخطب أم سُليم ، فكلمها في ذلك :
فقالت : يا أبا طلحة (أما إني فيك لراغبة و/3) ما مِثْلُك يُرَدُّ ، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك
فقال : ما ذاك دهرك ؟!   قالت : وما دهري ؟!
قال : الصفراء والبيضاء ! [يعني الذهب والفضة]
قالت : فإني لا أريد صفراءَ ولا بيضاءَ (يا أبا طلحة ، ألستَ تعلمُ أن إلهك الذي تعبد خشبة نبتت من الأرض ، وإنما نجَرها حبشيٌّ بني فلان ؟! /1 و 7)
(قال : بلى !
قالت : أما تستحيي تسجد لذلك /1) أريد منك الإسلام ، فإن تُسْلِمْ (/1 فذاك مهري ولا أسألك غيره) (لم أُرِدْ منك صداقاً من الصداق غيره /1و7)
قال : فمَن لي بذلك ؟ - يعني بالإسلام

قالت : لك بذلك رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(قال : حتى أنظر في أمري/1و7)
فانطلق أبو طلحة يريد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ في أصحابه ، فلما رآه قال: جاءكم أبو طلحة ، غُرَّة الإسلام بين عينيه .
فأخبرَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قالت أم سُليم [فأسلم] .
(فجاء [أبو طلحة إلى أم سُليم] فقال :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .
قالت : يا أنس ، قم فزَوِّجْ أبا طلحة /1 و 7)
فتزوَّجَها على ذلك (فكان صداق ما بينهما الإسلام / 3)
قال ثابت [البُناني التابعي] : فما بَلَغَنا أن مهراً كان أعظم منه أنها رضيتِ الإسلامَ مهراً .
فتزوجها ، وكانت امرأة مليحة العينين فيها صِغَرٌ .

2 – ولدها وموته

فكانت معه حتى وُلِدَ له بُنَيٌّ (من أم سُليم/12) (يُكنى أبا عُمَيْر/10) وكان يحبه أبو طلحة حباً شديداً .
ومرض الصبي (/2مرضاً شديداً)(فاشتكى فاشتد شكوه/4)
وتواضع أبو طلحة لمرضه أو تضعضع له :
(/3فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ،ويأتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيصلي معه، ويكون معه إلى قريب من نصف النهار ، ويجيء يقيل ويأكل ، فإذا صلى الظهر تهيأ وذهب ، فلم يجيءْ إلى صلاة العتمة)
فانطلق أبو طلحة عشية إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إلى المسجد / -) .

ومات الصبي (في المخدع /12) (وأبو طلحة غائب /132) (فراح إلى المسجد /11) (عند رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/4) (في بعض حيطانه /10)
فقالت أم سُليم : لا يَنْعَيَّنَ إلى أبي طلحة أحدٌ (وفاة/11) ابنه حتى أكون أنا الذي أنعاه له .
(فقامت/2) فهَيَّأت الصبيَّ (فغسلته وكفنته/10) (/4فسَجَّتْ عليه/2و10و12) (ثوباً /10) (فلَفَّتْه/4) ووَضَعَتْه (/5 في جانب من البيت /2و4) ، ثم قامت ، (فهَيَّأت لأبي طلحة إفطاره كما كانت تهيئ له كلَّ ليلة /12)
وجاء أبو طلحة مِن عند رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كالاًّ وهو صائم /10) (حين صلى المغرب /4) حتى دخل عليها (/6 ومعه ناسٌ من أهل المسجد من أصحابه /11)
فقال : كيف ابني (ما فعل أبو عمير/10) ؟
فهَوَى إليه أبو طلحة .
فقالت : (بأحسن حال/12) (خير ما كان/11) (عزمتُ عليك بحقي ألا تقربه /4) يا أبا طلحة ،ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة(خيراً منه الليلة/4)(/7وأرجو أن يكون قد استراح) .
(فحمد الله ، ثم قامت /12) فأتته بعَشائه (وشرابه /5)(فقَرَّبَتْ إليه فِطْرَه /4 و12) (/8 فقربته إليهم فتَعَشَّوْا /11) (فشَبِعَ ورَوِيَ /5) (/8 وخرج القوم) .
(فلما خرجوا عنه /11) (/9 فقام إلى فراشه،فوضع رأسه) ثم قامت (إلى ما تقوم إليه المرأة/11و12) فتطيبتْ (/10وتَصَنَّعَتْ له أحسنَ ما كانت تَصَنَّعُ قبل ذلك) (/11 ثم جاءت حتى دخلتْ معه الفراش ، فما هو إلا أن وَجَدَ ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله) (وأصاب منها /10و12) (ما يصيب الرجلُ من امرأته /10) (فلما عَرَفَتْ أنه قد شبع ورَوِيَ

وقضى حاجته منها /5) (/12 فلما كان [مِن] آخر الليل/11و12) (السَّحَر)(قالت : ألا أُعَجِّبُك من جيراننا ؟! /2)
(ألم تر يا أبا طلحة آل فلان /11) ؟!
(قال : ما لَهُم ؟! /2)
قالت : يا أبا طلحة ، أرأيتَ لو أن قوماً أعاروا قوماً عارية لهم (فتمتعوا بها /12) (حتى ظنوا أن قد تركوها لهم /4) فسألوهم إياها (فطلبها أصحابها /10) (فلما طُلبت منهم جَزِعُوا /2) (شَقَّ عليهم /11و12) (وجدوا في أنفسهم /4) : أكان لهم أن يمنعوهم ؟! (أيَرُدُّونها أو يحبسونها /10)
فقال : لا (بئسما صنعوا /2و4) (ما أنصفوا /11و12) (بل يَرُدُّونها عليهم /10) .
قالت : فإن الله – عز وجل – كان (قد /4) أعارك ابنك عارية (من الله /11و12) ثم قبضه (الله تعالى /12) (منك /4) إليه (وهو أحقُّ به /4) فاحتسِبْ (أبا عُمَيْر/10) واصبِرْ .
فغضبَ ، ثم قال : تركتيني حتى إذا وقعتُ بما وقعتُ (تلطخت بما تلطخت /5) به (ثم/5) نَعَيْتِ إليَّ ابني ؟!
(لا جَرَمَ ، لا تغلبيني على الصبر الليلة /2)
(/13 فاسترجَعَ/11و12) (/13 حمد الله /12) .
(/14 فلما أصبح اغتسل) ثم غدا ([إلى][على]) رسول الله صلى الله عليه وسلم (/15 فصلى معه) فأخبره (بقول أم سُلَيم وفِعْلها /10) (فقال : يا رسول الله ، ألم تر إلى أم سُليم صَنَعَتْ كذا وكذا /5) .
فقال (له /12) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا طلحة /12) بارك الله لكما في غابر ليلتكما .
3 – الولد المبارك .
(فبلغتْ تلك الليلة /5) (فحملتْ /5و10و11) فثقلت من ذلك الحمل وكانت أم سليم تسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم:

تخرج إذا خرج ، وتدخل معه [المدينة] إذا دخل .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ولدتِ فائتوني بالصبي .
(16/ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً [يعني لا يأتي المدينة بالليل] فدنوا من المدينة ، فضربها المخاض ، واحتبس عليها أبو طلحة ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال أبو طلحة : يا رب ، إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج ، وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتبستُ بما ترى .
قالت أم سُليم : يا أبا طلحة ، ما أجدُ الذي كنتُ أجدُ !
فانطلقا ، وضَرَبَها المخاض حين قدموا) فولدتْ غلاماً (من آخر الليل/4) (فلما ولدت ليلاً فكرهت أن تحنكه حتى حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم /17)
وقالت لابنها : (17/ يا أنس ، لا يَطْعَمُ شيئاً) (و لا تُهِجْهُ) (حتى يصبح /4) (17/ حتى تغدو به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
(17/ قال أنس : فبات يبكي ، وبتُّ مُجَنِّحاً [مَحْنِيًّا /5] عليه أُكالِئُه [وهو يبكي /5] حتى أصبحت) .
(فلما أصبحتْ غسلتَه وسَرَرته ، ثم دعتْ أنساً :
فقالت : يا بني ، اذهب بأخيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/4) (وهذا المِكْتَل فيه شيء من عجوة حتى يكون هو الذي يحنكه ويسميه /10)
(18/ وبَعَثَتْ معه بتمرات) .

(17/ قال أنس : فغدوتُ [به 111/] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ذهبتُ بعبد الله بن أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم9/)(فأقبلت أحمله4/) (وتمرات عجوة 11/) وإذا هو قائم في إزار4/) (وهو في عباءة 9/) (19/ وعليه بُرْدة) (خَمِيصة حُوَيْتية 6/) (ومعه مِسْحاة 4/) (فوجدتُ بيده مِيسماً 5/ و 8) وهو يَسِمُ [أو](يَهْنأ 9/و11)(الظَّهْرَ 6/) إبلاً أو غنماً (إبلَ الصداقة 8/) (بعيراً له 9/ و11) (الذي6/)(20/ قَدِمَتْ عليه) (في الفتح 6/)

قال لأنس : (ما هذا معك 4/) أَوَلَدَتْ بنتُ ملحان ؟

قال : نعم (أخي 4/) (يا رسول الله 4/ و11) (وَلَدَتْ أم سُلَيم الليلة فكرهتْ أن تحنكه حتى تحنكه أنت 11/)

(20/ فقال صلى الله عليه وسلم : رُوَيْدَك أفرغ لك)

فألقى ما في يده (فوضع المِيسم وقعد 5/) (فقال : ناولينه قال أنس : فناولته إياه 4/) (فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم 9/) (فمدَّ النبي صلى الله عليه وسلم رجليه 10/) (فوضعه5/) (وأضجعه10/)(في حجره5/و10) (فدعا بعجوة من عجوة المدينة 5/)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (21/ أمعه شيء ؟) (وهل معك تمر 9/) ؟

(21/ قال) : (قلت 9/) : (5/ نعم 9/) (فناولته9/) (21/ تمرات 9/ و11) (عجوة 11/)

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم (22/ بعض 11/) (ذلك 11/) (فألقاهن في فيه 9/) التمر (فلاكها في فمه حتى ذابت 5/) (23/ فمضغهن ، ثم جمع بزاقه 11/) (24/ ثم فغر فاه [أي فتح فم الصبي] وأوْجَرَه إياه [ثم لفظها في فم الصبي 5/] [فمَجَّه في فيه 9/]

فجعل يحنك الصبي ، وجعل الصبي يتلمظ :

(25/ يمص بعض حلاوة التمر وريق رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
فكان أول من فتح أمعاء ذلك الصبي على ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انظروا إلى / -) حب الأنصار التمر (أبت الأنصار إلا حب التمر10/)
(26/ قال أنس : قلت : يا رسول الله ، سَمِّهِ 11/)
(26/ فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه) وسماه عبد الله (قال : هو عبد الله11/)
(27/فما كان في الأنصار شابٌّ أفضل منه) .
(فلقد رأيتُ لها بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن2/) .

فهذا سياقة الحديث كما ساقها صاحب كتاب احكام الجنائز (ص 35 – 38) وقال :
(أخرجه الطيالسي / 2056 والسياق له ، ومن طريقه البيهقي 4 / 65 – 66 وابن حبان 725 وأحمد 3 / 105 – 106 و 181 و 196 و 287و 290 – والزيادات كلها له .
ورواه البخاري 3 / 132 – 133 ومسلم 6 / 174 – 175 مختصراً مقتصراً على قصة وفاة الصبي .
وروى النسائي 2 / 87 قسماً من أوله (وعنه ابن السني من طريقه في السير 16 / 257) والزيادة الأولى له ، وللبخاري 6 و 8 و 15 و 16 ، ولمسلم 19 و 22 ، وسائرها لأحمد) .
قلت : ما كان رقم الرواية قبلها فهو من ذلك الكتاب ، وما كان بعدها فمني :
(1 / ابن ابي شيبة 4 / 407) و (2 / ابن سعد 8 / 434) والطبراني 25 / 128) و (3 / عبد الرزاق 10417 والطبراني 25 / 105) و (4 / الطبراني 25 / 116 – 117) و (5 / الطبراني 25 / 117 – 118 و (6 / المهروانيات للخطيب / 1 من طريق المحاملي -) و (7 / الحاكم 2 / 179 وصححه على مسلم) و (8 / الخطيب 11 / 350 من طريق أحمد و (9 / أبو يعلى 3283 و (10 / أيضاً 3389 وتفرد بذكر اليوم السابع في تحنيكه ! وهو زيادة منكرة راويها فيه مقال) و (11 / أيضاً 3882) و (12 / الحلية 2 / 57 – 58) .
ورواه البغوي في حديث أبي الربيع الزهراني (11 / ل) ، وصاحب الحلية (2 / 57 – 60) وصاحب تاريخ دمشق في ترجمة أبي طلحة – رضي الله عنه (6 / 614 - / ق) من طريق عن أنس – رضي الله عنه ، وفي طريق له في الحلية من وجه آخر عن أم سليم – رضي الله عنها .
و [ ] مني تفسيراً إلا ما كان فيه رقم رواية .

ويشبه ذلك

قصة شُرَيْح القاضي التابعي في موت ابنه ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحدٌ ، فسألوه عنه : كيف هو ؟
قال : قد سكن علزُه ، ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكن منذ الليلة . [روضة العقلاء (ص 215)]

ويشبه ذلك ما حدث في بني اسرائيل :

فقد رُوي في أواخر تاريخ النساء من تاريخ دمشق ([ص 573] ورواه المعافري في الحدائق الغناء (ص88) ، وهو من باب كتاب ابن أبي الدنيا من عاش بعد الموت) من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الله الجدلي :

قال : كان معاوية قد قال لكعب : إن سألك أهل العراق عن شيء فلا تحدِّثهم .
قال : فرأى امرأةً شابة عند دَرَج المسجد بدمشق .
قال : فقال : لَصاحبةُ بني اسرائيل كانت أحسن عزاء وأفضل جزاء من هذه !
فقالوا : حَدِّثنا عنها ما كان من أمرها .
فقال : إني نُهيت عن ذلك .
قال : فقالوا : إنا لم نسألك عن شيء ، وإنما هذا شيءٌ جئتَ به أنت !
فحَدَّثهم ، قال :
كان في بني اسرائيل قاضٍ عَدْلٌ :
كانت له امرأة ، وكان له منها ابنان .
وكانت تُسْفِرُ بيتَه (أي تكنسه وتنظفه) وتهيئ له طعامه ، فإذا فرغ دخل مع أصحابه ، فأطعمهم .
قال : فتردَّى ابناه ذاتَ يوم في بئر ، فأخرجتهما وقد ماتا .
قال : فأدخلتهما المخدع ، ثم سَجَّتهما بثوب .
فلما دخل طعم هو وأصحابه ، ثم تطيبتْ له ، فأصاب منها .
ثم قال : أين ابناي ؟ فقالت : في المخدع .
فدخل ، فأخذ بيد أحدهما قال : قم يا بني ، فقام .
ثم أخذ بيد الآخر ، فقال : قم يا بني .
قال : فلما خرج قالت له امرأته : أيُّ امرأةٍ أنا عندك ؟!
قال : ما أعلم امرأة تكون أفضل منك !
قالت : فإنهما كانا ماتا !
قال : هي شكيمة شُكمتِها بصبرك .

الفصل الثالث عشر
التمَّار والمرأة!

أتته امرأة ، وزَوْجُها قد بعثه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَعْثٍ [أي في الجهاد]:
فقالت: بِعْني بدرهم تمراً.
وأعجبته، فقال: إن في البيت تمراً أجودَ من هذا!
فانطلق بها، فدخلتْ، فأهْوَى إليها، فغمزها، وقَبَّلها، ووَضَعَ يده على دبرها ، فضرب عَجيزتها، ولَزِمَها (أى عانقها)، ففعل بها كلَّ شيء يأتيه الرجل من امرأته غير أنه لم يجامعها (جلس منها مجلس الرجل من امرأته، وحَرَّك ذَكَرَه، فإذا هو مِثْلُ الهُدْبة).
(فقالت: والله ما حفظتَ غيبة أخيك، ولا نلتَ حاجتك).
فسُقط فى يده، ففزع، ثم خرج.
وبقية القصة في التوبة والاستغفار والستر والصلاة.

الحديث من طرق بنحوه: رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ح والنسائي والبخاري في التاريخ وغيرهما من حديث أبي اليَسَر كعب بن عَمرو رضي الله عنه
ح وأحمد ومقاتل بن سليمان وعبد الغني الثقفي فى تفسيرهما والبيهقي في الشعب وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
ح وعبد بن حُمَيد والطبراني وغيرهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه
ح والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة رضي الله عنه
والرواية الأولى للبيهقي من طريق ابن أبي غرزة في مسنده بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما، والثانية من رواية مقاتل عن الضحاك عنه .
وهو أيضاً في الغَيْلانيات (824) وغريب الخطابي (2/ 82- 83) وجزء كامل الجحدري (9/ 1/ ق) وجزء اللحياني (60) وو.

ومن أخبار من أراد فلم يقدر !:
- ذُكِر في الأغاني أن الشاعر الملقب (تأبّط شراً) أحبَّ جارية من قومه، فطالبها، فلم يقدر عليها، ثم لقيته ذات ليلة، فأجابته،فعجز عنها، فجزع عن الفعل،ولم يعجز عن الشعر !
وكذلك في ترجمة أبي النجم العجلي قَدِمَ وقد أسنَّ :
قال له الأمير: كيف رأيكَ يا أبا النجم في النساء؟
قال: مالهن عندي خير إلا أني أنظر إليهن شَزَرا، ولا ينظرن إليَّ إلا خزرا!

[يعني الشزر: الحاد من الشهوة إليهن، والخزر اللين من الإعراض عنه !]
قال هشام بن عبد الملك : وما ظنك بي يا أبا النجم؟!
قال: ظني بك يا أمير المؤمنين ظني بنفسي!
قال هشام: لا علمَ عندك !
ثم أرسل إلى جواريه، فقال لهن: أَعْلِمْن أبا النجم بحالكن معي !
فقلن: ليس منا واحدة تصلي صلاة إلا بطهرٍ منه وغسل!
فعجب أبو النجم، وأمر له هشام بجارية، وأمره أن يغدو عليه بخبره معها، فلم يقدر عليها ليلته، فلما أصبح غدا عليه، فعجز عن الفعل ، فقال شعرًا في عجزه !
- وفي بلاغات النساء (ص 246- 247): أخبرنا الزبير بن بكار (له تصانيف):أخبرنا عمران بن فليح عن سلمة بن فُلَيْح قال: كنا عند الأمير نسمر ليلة معه؟
فقال لي: أمعك أهل؟ قلت: لا.
قال: ولا جارية؟ قلت: ولا جارية.
فحدَّثته، ثم انصرفتُ إلى منزلي، وإذا الشمع يُزهر والخدم والجواري وجارية كأنها صورة، فقامتْ إليَّ، فأخذت ثيابي، ثم جلستْ فدعتْ بسفطٍ فيه طيبٌ، فطيبتني، ولبستْ إزارًا مطيبا، وألبستني مثله، ثم صرت إلى فراشي، فقامت لي واجتهدت لي، فلما عجزتُ صاحت: يا جارية عليَّ بالتخت (هو ما توضع فيه الثياب)، فجاءتها به، فأخذت بخرقة بيضاء، ثم أهْوَتْ لتكفنه !
وسأل معاوية رضي الله عنه مُعمَّراً عن حاله فقال :
إذا بُذل عجزتُ ، وإن مُنِعتُ غَضِبتُ ![المُعَمَّرين لأبي حاتم (ص 51 - 52)]

الفصل الرابع عشر

القضاء والنساء !

ا- البغض

قصة القُرَظِيَّة

قالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنهما :
جاءت (تميمة بنت وَهْب القُرَظِيَّة[/9]) امرأة رفاعة (بن سموأل[/9]) القُرَظِيّ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وعليها خمار أخضر[/6]) (فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [/6]).
(قال عكرمة: والنساءُ ينصرُ بعضهن بعضا[/6])!
(قالت عائشة: ما رأيتُ مثل ما يلقى المؤمناتُ، لَجِلْدُها أشدُّ خضرة من ثوبها[/6])!
(وأنا جالسة[/5]) وأبو بكر الصديق جالسٌ عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وسمع[/6]) (بذلك زوجها[/9]) (أنها قد أتت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء ومعه ابنان له من غيرها[/6]).
فقالت: يا رسولَ الله ، إني كنت تحت رفاعة، فطلقني، فبتَّ طلاقي آخرَ ثلاث تطليقات، فتزوجتُ بعدَه عبدَ الرحمن بن الزَّبير (القُرَظِيّ[/62]) (فدخلَ بي[/4]).
(والله مالي إليه من ذنب[/6])وإنه والله (يا رسول الله[/5]) ما معه (ماذاك منه[/9]) [تعني ذَكَرَه]،إلا مِثْل هُدْبة الثوب(ليست بأغنى عني من هذه[/6]) وأخذتْ بهُدْبة مِن ثوبها (فلم يقربني إلا هنّة واحدة لم يصل مني إلى شيء، فأحلُّ لزوجي الأول[/4])؟!
وخالدُ بن سعيد بن العاص جالسٌ بباب الحجرة لم يُؤْذَنْ له ينتظر أن يُؤْذَنَ له(فسمعَ خالدُ بنُ سعيد قولها وهو بالباب[/5]) فطَفِقَ خالدُ ينادي أبا بكر: يا أبا بكر ، ألا تزجرُ هذه عما تجهر به عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!
فتبسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضاحكا (فلا والله ما يزيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التبسم[/5])(فجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عن كلامها[/9])
(فقال [زوجها]: كذبتْ والله يا رسولَ الله

إني لأنفضها نَفْضَ الأديم [يعني الجلِد مِن شِدّته في جِماعها] ولكنها ناشزٌ تريد رفاعة[6/]).
(قال: وأبصرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه ابنين له فقال: بنوك هؤلاء؟ قال: نعم.
قال [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: هذا الذي تزعمين ما تزعمين، فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب[6/]) لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟! لا (والله يا تميمة[6/]) (إن كان ذلك[6/]) (لاتَحِلّين لا ترجعين[6/]) لزوجك (الأول[4/]) حتى تذوقي عُسَيْلته ويذوق (الآخر مِن[83/]) عُسَيْلتك (ما ذاق الأولُ[83/]).
(قالت: أيا رسول الله ، كان قد جاءني هَبّة- تعني مَرّة[9/]).
[قال الزُّهْري]: (فصار سُنة بعدَه[5/]).

رواه البخاري [(2639/ 1) و (0 526/ 2) و (5261/ 3) و (5265/ 4) و (5317) و (5792/ 5) و (5 582/ 6) و (84 0 6)، ومسلم (433 1- والسياق له ورواية/ 1/ له) وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك وأحمد (6/ 229) والطبراني فى الكبير والأوسط والبزار [المجمع (4/ 0 34- 341)] وابن وهب في النكاح من جامعه والخطابي في غريب الحديث (1/ 545- 546) وغيرهم.
ورواية (9) من روايات شتى مذكورة في شرح الصحيح (9/ 464).
و [ ] لي تفسيرا، والزَّبير بفتح الزاي كما عند الدارقطني في المؤتلف (1139) وغيره.

وفوائده كثيرة جدًا في النكاح والطلاق والزينة (الثوب الأخضر والثوب المهدَّب) والأدب (التصريح والتبسم) والقضاء والشهادات.
ومن فوائده في النكاح (الفرق بين زواج البكر الغافلة لا البكر التي تجالس النساء وتشاهد الفجور في التلفار وغيره ولا الثيب التي جَرَّبَتْ) و (تصريح المرأة وزوجها بما لا بُدَّ منه عند القضاء) و (حياؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحُسْن أخلاقه) و (سعادة الرجل في مشابهة أولاده له) و (نصرة النساء بعضهن بعضًا في القضاء) و (عدم قبول دَعْوَى المرأة على زوجها في الجماع بداءة) و (تشبيه الجماع بالعسل) و (الصبر على شدة الرجل وضربه امرأته إن كانت الخضرة في جلدها من ضرب أو حزن) وغير ذلك.

وأما الثوب الأخضر المذكور في هذه الرواية ففيه بحث:
هل هي الخضرة المعروفة، والكدمة في الجسم تخضّر.
أو هي السواد، والكدمة تَسْوَدُّ بعد اخضرارها، والعرب تسمي الأسود أخضر والأخضر أسود.
وتزوج رجلٌ امرأةً فوجدها خضراء[غريب الخطابي (371/2- 373)]
وقال الفضل اللهبي: (وأنا الأخضر من يعرفني).
قلت: وفاته تسميتهم الحبة السوداء بالخضراء
وفاته تسميتهم العراق بالسواد لكثرة الخضرة فيه.
فمِنْ هاهنا يُستدرك على البخاري إذْ بَوَّبَ عليه في اللباس من صحيحه بباب (الثياب الخُضر) ولم يذكر شارحه شيئًا من احتمال الخضرة بمعنى السواد، ولا ذَكَرَ في الفوائد معنى (خضرة جلدها) فقد يكون ذلك مِن كدمة ضرب أو كدمة حزن فكلاهما يَخْضَرُّ ثم يَسْوَدُّ.
ومن فوائده (كالدلالة على أن الزوج إذا أتاها وهي نائمة لا تشعر أو مُغْمَى عليها لا تحسّ باللذة لم تحلَّ للزوج الآخر).
[قاله ابن المنذر (- وغريب الخطابي 546/1)]
قلت: ومنه الكلام في حدّ الإحصان فيما يتعلق بحدّ الزنا فلا تُسَمَّى مُحْصَنَة إذا أتاها كذلك نائمة أو مُغْمَى عليها، وكذلك هو إن استدخلتْ ذكره نائماً أو مَغْمَى عليه.
ويشبه تلك القصة ما رُوي أن امرأة شَكَتْ زَوْجَها إلى عمر- رضي الله عنها - قالت : ما معه ما مع الرجال !
قال الرجل: معي ما يمسك (الشابة) العاتق ويفتق التائق، وتشهد عشيرتي بذلك ، وأما مِثل الحمار فليس معي!
فقال عمر رضي الله عنه : انطلقْ بامرأتك , قاتلكِ الله ما تريدين إلا أن يكون معه مثل العير، فان هذا أحب إلى إحداهن من الجنة! [مفيد العلوم ص405] .

قضية امرأة الخرّاز

خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمَرَّ بالسوق، فعَرَضَت امرأةٌ قد أخذت بعنان دابته وهو على حمار تهتف: يا رسول الله، إني امرأة مسلمة محرمة وإن معي زوجًا لي في بيتي مثل المرأة لا يقربني، وأنا امرأة من المسلمين أحب ما تحب المسلمة، ففَرِّقْ بيني وبينه !
فقال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ادعي زوجك.
فدعته، فسأله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
ما تقولُ امرأتُك هذه ياعبدَالله تشكو منك جفاءً أنك لا تقربها؟
فقال الرجل: يا رسول الله ، إني أكرمها وأُدنيها، والذي أكرمك وبعثك بالحق إن عهدي بها لهذه الليلة ما جفَّ رأسي مِن الغسل منها بعدُ !
وبكت المرأة، فأرْخَتْ دموعَها بشهيق، فقالت:
كَذِبَ، لا خيرَ في الكذب، فما مرة واحدة في الشهر ؟!
فقال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أتبغضينه؟!
قالت: نعم والذي أكرمك بالحق، فَرِّقْ بيني وبينه، فإنه مِن أبغض خلق الله إليَّ، ما في الأرض أبغض إليَّ منه!
فتبسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال: أَدْنِيا إليَّ رءوسكما.
ثم أخذ بطرف قناعها وبرأسه، فوضع جبهتها على جبهة زوجها، ثم قال:اللهم أرِّ بينهما، وحَبِّبْ أحدَهما إلى صاحبه.
ثم ذهبتْ، ثم مَرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوقٍ بعد ذلك بأيام، فلما رأت المرأةُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرحت ما على رأسها من الجلود ، وأقبلت ، فقَبَّلَتْ رِجْلَي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فقال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:كيف أنت وزوجك؟
فقالت: يا رسول الله، أشهد أنك رسول الله

واللهِ الذي بعثك بالحق ما خَلَقَ اللهُ مِن بَشَرٍ فى الدنيا أحب إليَّ منه إلا أنت. [قد خرجت هذا الحديث في المستخرج]

2- الكبير:

في كل طهرٍ مرة !

قضاءعمر رضي الله عنه في الكبير:

قال عمر رضي الله عنه :

ما آتي النساء لشهوة، ولولا الولد ما آتي النساء.

إني لأكره نفسي على الجماع كي تخرج مني نَسمة تسبح الله تعالى.

رواهما ابن أبي الدنيا في العيال (390 و392)، والثاني منهما عند البيهقي ([] والكنز 48/16) وغيره.

فهذا ظاهرٌ في أنه يأخذ في خاصة نفسه بذلك حتى يستبين الحمل، فإذا استبان فلا !

وجَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا لَا يُصِيبُهَا، فَأَرْسَلَ إِلَى زَوْجِهَا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: كَبِرْتُ وَذَهَبَتْ قُوَّتِي، فَقَالَ لَهُ: «فِي كَمْ تُصِيبُهَا؟» قَالَ: فِي كُلِّ طُهْرٍ مَرَّةً، فَقَالَ عُمَرُ: «اذْهَبِي فَإِنَّ فِيهِ مَا يَكْفِي الْمَرْأَةَ»

[رواه عبد الرزاق (6/ 256 والدر655/1والكنز55/16) عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَسْلَمَ (كذا في نشرة المصنف، وفي نشرة الكنز [عبد الرزاق عن زيد بن أسلم]) قَالَ:جاءت امرأةٌ .

ورواه عبد الملك بن حبيب (التحفة للتجاني/ 966) عنه قوله:]

حَسْبُ المرأةِ المسلمةِ أن يأتيَها زوجُها في كلِّ شهرٍ مَرَّة.

ورُوي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك المعنى:

فقد ذكر أبو نعيم في المعرفة (-/ ق مغيرة والإصابة 208/6والكنز/4486): (مغيرة بن الحارث بن هشام المخزومي ، مختلف في صحبته، ذكره الحضرمي [محمد بن عبد الله المعروف مُطَيّن في الوحدان [من تصنيفه] : ثنا محمد بن محمد : ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي [يعني في كتابه ذاك] : ثنا هارون بن إسحاق ثنا قدامة بن محمد ثنا معاوية [كذا في المخطوطة والكنز، وفى الإصابة وتاريخ البخارى الكبير/312 مغيرة وهو الصواب، وعنه علقه البخاري في تاريخه] بن يحيى بن المغيرة بن الحارث بن هشام عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكفي المؤمن الوقعة [في الإصابة:المواقعة] في الشهر).

وعلقه البخاري في تاريخه (/ 322) عن مغيرة عن أبيه عن جده، وقال: مرسل.

وذكره عبد الملك بن حبيب (التحفة للتجاني/ 966).

وإسناده صحيح إلى مغيرة بن يحيى وهما غير معروفين بالرواية ويحيى روى عنه ابنه والواقدي وذكره ابن حبان في الثقات، والجدّ هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث- كذا ذكره البخاري وقال: (مرسل) فلا صحبة له، فقد ولد في زمن معاوية τ وهو تابعي ثقة، وأبوه عبد الرحمن له رؤية (الإصابة 6/ 209)

والحديث- إن صحَّ- فيُحْمَلُ تفسيرُه على الكِبَر والضرورة .

وقد اشتُهِرَ هذا من قضاء عمر رضي الله عنه في المدينة:

فقد روى ابن أبي الدنيا في العيال (496 و 49) قال: ثنا زيد بن أخزم الطائي : ثنا عثمان بن عُمر : ثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبّان قال:

كان بين جَدّي وجدّتي كلام.
فقال: أنا وأنت على قضاء عمر!
قالت: وما قضى عمر؟!
قال: قضاء عمر أن الرجل إذا أتى امرأته في كلّ شهر أو كلّ طهرٍ فقد قضى حقها !
قالت: قد تَرَكَ الناسُ قضاءَ عمر، وأقيم عليه أنا وأنت؟!

وقال: حدثني الوليد بن شجاع : وحدثني من سمع المجالد يحدِّث عن الشعبي قال: قال عمر رضي الله عنه

ما هذه الهنات، النساء تشغلكم عن العدو، فحَسْبُ المرأة أن تؤتى عند كل طهر .
وكان رجلٌ نقل ذلك إلى أهله:
فقالت: ما بالك يا أبا فلان؟
قال: رحم الله عمر كان يقول كذا وكذا !
قالت: فأنت لم تحفظ من وصايا عمر غير هذا.
قلت: كأنه رضي الله عنه :
أ- أخذ ذلك مِن حالِ نفسه التي سبق ذِكْرُها، وقد علمتَ أن حال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل وأعلى وأولى وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حُبِّبَ إليَّ مِن دنياكم النساء).
2- وأخذ ذلك مِن قول الله تعالى في الحيض: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) [البقرة/222]
والآية بعدها: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة/223]
فإذا تحقق أن الحرث قد أثمر وظهر الحمل فقد تمَّ الحرث.
لكن قد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تَسْقِ بمائك زرعَ غيرك - في الرجل يتزوج المرأة أو ينكح الجارية قبل انقضاء عِدَّتها أو استبراء رحمها.
ثم قد قال الله تعالى في ليلة الصيام ما قال، ولعمر رضي الله عنه فيها قصة.

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) [البقرة/187]
قال قيس الهلالي رضي الله عنه :
بينما نحن جلوسٌ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذْ جاءت امرأة، فجلستْ إليه:
فقالت: يا أميرَ المؤمنين، إن زَوْجي قد كَثُرَ شَرُّه وقلَّ خَيْرُه!
فقال لها عمر رضي الله عنه: ومَن هو زَوْجُك؟
قالت: أبو سلمة.
(فعرفه عمر ، فإذا رجلٌ له صحبة/2).
(فـ/2) قال (لها عمر/2): (إن ذاك الرجل رجلٌ له صحبة، وإنه لرجلُ صِدْقٍ/ 1) (ما نعلم من زوجك إلا خيرا/2).
(ثم قال لرجلٍ عنده: فما تقول أنت؟
قال: يا أميرَ المؤمنين ما نعلم إلا ذلك/2).
(فأرسل إلى زوجها/2) (فقال عمر لرجل: قم، فادعه لي/ 1).
(وأمرها/2) (وقامت المرأة حين أرسلها إلى زوجها/1) فقعدت خلف (ظهر/2) عمر. فلم يلبث أن جاء (الرجل مع زوجها/2) (معاً، حتى جلسا بين يدي عمر/1).
فقال (له/2) عمر:(أتعرف/2)(ما تقول في/1) هذه الجالسة خلفي/1) ؟
قال: ومَن هذه يا أميرَ المؤمنين؟
قال [عمر]: هذه امرأتك !
قال: وتقولُ ماذا؟
قال [عمر]: تزعم أنه قد كَثُرَ شَرُّك وقلَّ خَيْرُك!
(فـ/1) قال: بئسما قالت يا أميرَ المؤمنين (والله/2) إنها لمن صالح نسائها:(أكثرهن/1) كسوة، وأكثرهن رفاهية (بيت/2) ولكن فَحْلُها بَكِيء [أي قليل الجماع].
فقال (عمر/1): ما تقولين؟ فقالت: صَدَقَ .
(فأخذ الدِّرَّة/2) فقام إليها (عمر بالدِّرَّة/1) فتناولها (بها/1)

ثم قال وهو يقول: أيْ عدوةَ نَفْسِها، أكلتِ ماله، وأفنيتِ شبابَه، ثم أتيتِ تخبرين (أنشأتِ تُثنين) (عليه/2) بماليس فيه.
فقالت: يا أميرَ المؤمنين (لا تعجل/1) (أقلني في هذه المَرَّة/2) فوالله لا (تراني/2) أجلس (في/2) هذا المجلس أبداً .
ثم أمَرَ لها (فدعا/2) بثلاثة أثواب (فقال: خذي لما صنعتُ بك، إياك أن تشتكين هذا الشيخ/1) (ثم قال لها: اتقي الله وأَحْسِني صحبة هذا الشيخ/2).
ثم أقبل عليه (على زوجها/1) فقال: لا يمنعك ما رأيتَني صنعتُ بها أن تُحْسِنَ (إليها/1) (صحبتها/2) (انصَرِفا/1).
(فـ/1) قال (الرجل/1): (أفعلُ يا أميرَ المؤمنين/2) (ما كنت لأفعل/1)
(قال/2) [كَهْمَس]: (فـ/2) كأني أنظرُ إليها (قامت ومعها/1) (آخذة/1) الأثواب (منطلقة/2).
رواه يونس بن حبيب في مسند الطيالسي (ص 7- 8) ح والحنائي في الثالث من فوائده (ح 26) من طريق ابن حذلم (وله فوائد) نا بكار بن قتيبة- كلاهما نا أبو داود الطيالسي نا حماد بن يزيد وهو المنقري ثني معاوية بن قرة سمع كهمساً- به، وهذا إسناد حسن.
وعزاه في الجامع الكبير (الكنز 16/ 555- 556) بطوله إلى الطيالسي والبخاري في تاريخه وأبي أحمد الحاكم في الكنى ونقل عن العسقلاني: (إسناده قوي).

قضاء علي رضي اللّٰه عنه فى الكبير .

قال هانئ بن هانئ (الهَمْداني/2):
(كنت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه/2)
[و] (رأيتُ/4) امرأة (حسناء جميلة/5) (حسنة الهيئة/3) (ذات شارة/4) (جاءت/10) (قامت/1) إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه/52).
(فـ/5421) قالت (له/1): (يا أميرَ المؤمنين/532) هل لك في امرأة ليستْ (بـ/4) أيمٍّ ولا ذاتِ بَعل؟!
(قال/2): (فعرف عليٌّ ما تعني/52/2).
(فقال: مَن صاحبُها؟ قالوا: فلان، وهو سيد قومه/2).
(قال/2): (فأين زَوْجُكِ؟ قالت: هو في القوم/1).

(فـ/5321) (قد/4) جاء (بـ/5) (زَوْجُها/654) (يتلوها/64) (مِن بعدها/6) (فإذا هو سيد قومه/5) (شيخ/162) (و/3) (قد/32) (اجتنح/32)(يَدِبُّ/32) (على عصا/64).

(فقال له عليٌّ/41): (أنت صاحب هذه ؟

قال: نعم ، وقد ترى ما علينا/2).

(فقال: ما تقول/532) (فيما تقول/5) (هذه/532) (المرأة/2)؟

(قال/231): (هو ما/5) (قد/3) (ترى/53) (يا أميرَ المؤمنين/3) (عليها مِن هيئتها/5) (سلها: هل تنقم من مطعم أوثياب/1)؟

(فـ/31) (قال/21): (هل مع ذلك/2) شيء (غير هذا/5) (أما تستطيع أن تصنع شيئا؟!/4) (فـ/42) قال: لا.

قال: ولا من (آخر/5) السَّحَر ؟!

قال: (لا/432) (ولا من [آخر/5] السحر/5).

قال: هلكتَ (وأهلكتَ/5321).

(قالت/21): (فَرِّقْ بيني وبينه/1).

(قال/1): (أما أنا فلستُ مفرِّقاً بينكما/4) (إني لأكره أن أفرِّقَ بينكما/5).

(قالت): (فما تأمرني أصلحك الله/2) ؟

(قال/2): (بتقوى الله والصبر/2) (فاتقِ الله/643) [و]، (اصبري فإن الله لو شاء ابتلاك بأشدَّ مِن ذلك/1).

حسن صحيح رواه سعيد بن منصور (2020) ح وعبد الرزاق (6/ 256) ح وابن أبي الدنيا في العيال (500) ثنا أبو خيثمة (له تصانيف):ثنا وكيع (له تصانيف) ح والبيهقي (7/227) : أنا أبو طاهر:أنا عَمرو بن عبد الله ثنا محمد بن عبد الوهاب:أنبأ يعلى بن عُبيد- كلهم:نا (قال عبد الرزاق عن) سفيان الثوري.

ح ورواه أبو نعيم في الطب(80/ ق):ثنا أبو أحمد(الغطريفي له تصانيف):ثنا أبو خليفة:ثنا أبو الوليد الطيالسي والبيهقي (7/227) عن الحاكم (له تصانيف) :أخبرني ابن بالويه:انبأ محمد بن يونس:ثنا رَوْح

كلاهما (أبو الوليد و روح) : ثنا شعبة.

كلاهما (سفيان وشعبة) عن (قال سعيد عن الثوري: نا) أبو إسحاق عن هانئ به.

ح ورواه عبد الرازق (6/ 256- 257) عن ابن جريج قال: أُخبرت عن هانيء.

ورواه ابن السني في الطب (.. كنز 16/ ح 2/ 459).

(1/ سعيد 2/ عبد الرزاق عن وكيع 4/ أبو الوليد عن شعبة 5/ يعلى 6/ روح).

وقد تكلم الشافعي- رحمه الله تعالى- في سنن حرملة (البيهقى 7/227):

1- في سنده: (هانيء لا يُعرف: وهذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث لجهالتهم به)

2- وقد قال النسائي: (ليس به بأس) وصحح له الترمذي وابن حبان والحاكم.

2- في متنه: (يحتمل أن يكون أصابها ثم بلغ هذه السن).

قلت: وثَمَّ احتمالٌ آخرُ وهي أن تكون تزوّجتْه على هذا الحال مِن كِبَر سِنِّه.
وإلا فلو تزوجتَه على أنه كالعادة في قوته كان ثم قول آخر.
ومع الاحتمال الأول فهو موافق في القصة والقضاء لما سبق من قضاء عمر- رضي الله عنه.

وله طريق أخرى:
فقد رواه مُسَدَّد (مطالب 1593و109/ق والكنز571/16): نا حماد بن زيد عن فُضَيْل بن ميسرة عن أبي حَريز عن الحكم بن عتيُبة أن امرأة مِن طيء من بني سِنبِس يقال لها أم يعلى أتت علياً- رضي الله عنه، وزوجها معها.

فقالت : إن زوجَها لايأتيها، وإنها امرأة تريد الولد
فقال الرجل: ما ترى ما عليها مِن نعمة؟
قال: وهي في هيئة حَسَنة.
فقال له: لا ولا من السَّحَر حيث يتحرك من الشيخ؟!
قال: ولا من السَّحَر ! قال: هلكتَ وأهلكتَ.
وأقبل عليها فقال لها: اصبري حتى يفرج الله عنه.

وهذا إسناد حسن إلى ابن عتيبة وهو ثقة.
وفى المناقب لابن شهراشوب الرافضي (حاشية عجائب الأحكام ص 54) أن امرأة

جاءت لأبى بكر الصدّيق- رضي الله عنه،فقالت :
ما ترى أصلحك الله... وأثَرَى لك أهلا
في فتاة ذات بعلٍ ... أصبحتْ تطلبُ بعلاً ؟!
بعد إذن من أبيها ... أترى ذلك حِلاً؟!
فانكر ذلك السامعون
فقال علي رضي الله عنه: أَحْضِريني بعلك.
فأحضرته , فأمَرَه بطلاقها , ففعلَ وكان عِنّيناً.
قلت : فإن صحَّ ذلك , فالحُكْم في العِنّين معروف , وهذا غير الرجل يتزوج المرأة ثم يكبر وهي عنده فيعجز عنها كما في قصة الطائية .

وفي تاج العروس شرح القاموس (270/2/ فتخ) عن ابن بري أن الدهناء بنت مسحل زوج العجّاج رَفَعَتْه إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

فقالت له: أصلحك الله، إني منه بجَمْعٍ- أي لم يفتضّها.
فقال العجّاج:

اللهُ يعلمُ يا مغيرة أنني قد ... دُسْتُها دَوْسَ الحصان المُرْسَلِ
وأخذتُها أخذَ المقصِّبِ شاتهُ...عجلانَ يذبحُها لقومٍ نُزَّل
فقالت:
والله لاتخدَعَنِّي بشمٍّ... ولابتقبيلٍ ولابضَمٍّ !
إلا بزَعْزاعٍ يسلِّي هَمِّي ... يسقطُ منه فَتَخي في كُمّي!
قال : وحقيقة الفَتْخة أن تكون في أصابع الرِّجلين , فهي خاتمٍ كبير يكون في اليد والرِّجْل بفصٍّ وغير فصٍّ أو تكون حلقة من فضة كالخاتم لا فصَّ فيها ، فإذا كان فيها فصٌّ فهي الخاتم ،وكانت نساء الجاهلية يتخذنها في شعرهن، والفتخة جمعها فِتخ وفُتُوخ وفِتحات وفِتاخ.
ومعنى شِعرها أن النساء كن يتختمن في أصابع أرجلهن، فتصف هذه أنه إذا شال برِجْليها سقطت خواتيمها (اللاتي في رجليها) في كُمّها، إنما تمنت شدة الجماع.

3- القضاء في ليلة العابد

قال الشَّعبي ومحمد بن سيرين وغيرهما:

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
فقالت: يا أميرَ المؤمنين، ما رأيتُ عبدًا أفضل مِن زوجي، وأنا أكره أن أشكوه إليك: (أشكو إليك خيرَ أهل الدنيا إلا رجلاً سبقه بعملٍ أو عَمِلَ مِثْلَ عمله/4) يقوم الليل ما ينام، ويظلُّ نهاره صائمًا (في اليوم الحار/6) ما يفطر.
(فاستغفر الله لها وأثنى عليها/6) فقال: جزاك الله (خيراً/43) من مثنيةٍ على زوجها، (مثلكِ من أثنى الخير وقاله/3).
فجعلتْ تكرِّرُ عليه القول .
فقال: (أفتأمريني أن أمنعه قيام الليل وصيام النهار/51)
(فاستحيت المرأة/6) و (تجلاّها الحياء، فقالت: أَقِلْني يا أميرَ المؤمنين/4) !
فقال: قد أقلتُك.

(وقامت راجعة/6) (فلما ولت/4) وكان كعب بن سور الأسدي حاضراً:
فقال كعب: يا أميرَ المؤمنين (إنَّ لها حقًّا/51) لقد أبلغتْ في الشكوى/4) (هلا أعْدَيْتَها على زوجها ، جاءتْ تستعديك 6/2).
فقال عمر: (وما حَقُّها/5) وهل ذَكَرَتْ قضاءً؟!
فقال كعب: إنها تشكو مباعدة زوجها عن فراشها.
فقال عمر: (عليَّ بها- مرتين/3) (رُدُّوا عليَّ المرأة/6).
فَرُدَّتْ (فقال لها: اصدقيني ولا بأس بالحق/63). (هذا زَعَمَ أنما جئتِ تشكين زوجك أنه يجتنبُ فراشك/ 6).
(فقالت : أَجَلْ يا أميرَ المؤمنين، إني امرأة شابة أشتهي ما تشتهي النساء/63).
فقال لكعب: اقضِ بينهما.
قال كعب: (أميرُ المؤمنين أحقُّ بالقضاء بينهما/6) أقضي وأنتَ شاهد؟!
قال: أما إن فهمتَ ذلك فاقضِ بينهما.
فقال كعب: عليَّ بزوجها.
فأُحْضِرَ، فقال: إن امرأتك هذه تشكوك !
فقال: هل قَصَّرْتُ في شيء من النفقة ؟!
قال: لا.
فقالت:
يا أيها القاضي الحكيمُ رشده ... ألهى خليلي عن فراشي مسجدُهْ
نهارَهُ وليلَهُ ما يرقده ... فلستُ في أمر النساء أحمَدُه
زَهَّدَهُ في مضجعي تَعَبُّدُه ... فاقضِ القضا يا كعبُ لا تُرَدّدُه
فقال زوجها:
زَهَّدني في فَرْشِها وفي الحَجَلْ ... أني امرؤُ أذهلني ما قد نَـزَلْ
في سورة النحل وفي السبع الطُّوَلْ ... وفي كتاب الله تخويفٌ جلل
فقال كعب:
إن خير القاضين مَن عَدَلْ ... ومن قضى بالحقِّ جهراً وفَصَلْ

إن لهاعليك حقًّا يا رَجَلْ ... تصيبها في أربعٍ لمن عَقَلْ
قضيةٌ من ربنا عزّ وجل ... فأعطها ذاك ودعْ عنك العِلل!
ثم قال كعب: إن الله- عز وجل- قد أباح لك من النساء أربعًا قال تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ)[النساء/3]
فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيها ربك، ولها يوم وليلة
صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوماً
وقم ثلاث ليالي ، وبِتْ عندها ليلة (فلا تُصلِّ في ليلتها إلا الفريضة/2)!
فقال عمر: (ما الحقُّ إلا هذا/3) (وأمر عمرُ زَوْجَها بذلك/5).
وقال: والله ما أدري مِن أي أمْرَيْك أعجبُ (لهذا أعجبُ مِن الأول/64):
أمِنْ فَهْمِك أمْرَهما، أم مِن حُكْمِك بينهما ؟!
اذهبْ فقد وليتك قضاء البصرة.

رواه ابن أبي الدنيا في العيال (498 وعنه الدولابي 1/ 192) ووكيع في القضاة (1/ 275- 277) والزبير بن بكار في الموفقيات (الدر 1/ 653- 4 65 والتحفة للتجاني /386) وابن سعد (- الكنز 36/ 572- 573) وعبد الرزاق (الكنز 674/16-675) وعمر بن شبّة في قضاة البصرة من وجوه (المغني 7/29) والعسكري في الأوائل (ص 359- 360) واليشكري في اليشكريات (نسخة الظاهرية 136- 137/ق والكنز 16/ 575) وغيرهم.
وقد خرجته في (الجامع في الضيافة).
وذكره الرشاطي في اقتباس الأنوار (التحفة للتجاني 387)، وهو كذلك في أخبار الأذكياء وغيرهم وعند داود في أخبار العشاق (ص 522- 523).
(1/ العيال 2/ الرشاطي 3/ اليشكريات 4/ ابن سعد5/ عبد الرزاق 6/العسكري).
وإسناده منقطع.
وقال في بهجة المجالس (44/3):

(قضى سلمان بن ربيعة على رجل أن يأتي امرأته في كل أربع ليلة، فرضي ذلك عمر، وجعله قاضياً بالكوفة، وخبره مشهور قد ذكرناه في مواضع)!
كذا والمشهور أنه كعب بن سور، وليس في ترجمة سلمان من الكتب المشهورة شيء من ذلك.

وقال ابن المنذر في الإشراف (137/4):

(قال الثوري في المرأة تشكو زوجها أنه لا يأتيها؟ له ثلاثة أيام، ولها يوم وليلة ، وبه قال أبو ثور.

وأعلى شيء خبر عمر في قصة كعب، وليس ذلك بمتصل، لأن الذي رواه الشعبي عنه.
وقال مالك في الذي يكفُّ عن جماع امرأته غير ضرورة: لا يُترَكُ حتي يجامع أو يفارق لأنه مضارٌّ بهذا.
وقال الشافعي: لا يُفرَض عليه من الجماع شيء).

وعكس ذلك من اشتكت امرأته كثرة جماعه:

ا- أن أكاراً (أي زارعاً) لأنس بن مالك (رضي الله عنه) كان يعمل على زرنوق (مسقاة)
فاستعدتْ عليه امرأتُه أنساً أنه كان لا يَدَعُها ليلاً ولا نهاراً، فأصلح أنسٌ بينهما في كل يوم وليلة على ستة.

فقد روى الطبراني (1ح70 والمجمع295/4) عن محمد بن سيرين، قال في المجمع: (رجاله ثقات).

2- أن امرأة اسْتَعْدَتْ على زوجها عند عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما)
فقالت: إنه لا يَدَعُها في حيض ولا في غيره.
ففرض لها ابنُ الزبير أربعًا بالليل وأربعًا بالنهار.
فقال (الرجل): لا يكفيني يا ابن الزبير، أتمنعني ما أحلَّ الله لي؟!
قال: إذنْ أسرفتَ .

رواه ابن عَدِي (446/3) في ترجمة سُهيل بن ذكوان عنه ، وسُهيل ليس بعمدة، والفتوى جيدة.
وهذه القصة ذكرها في مفيد العلوم (ص ه 40) برواية:

فرض عليها في كل يوم وليلة سبع مرات، فلما انصرفت حاضت فلم تطهر إلا بعد سبعة أيام، فأتاها في تلك تسعًا وأربعين (بعد طهرها)، فعَدَتْ تشكو، فأحضره
فقال: استوفيتُ منها فرض الأمير!
فاستلقى عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما- ضاحكًا !

وقال في المغني (29/7-30) في قضاء كعب:

(هذه قضية انتشرتْ فلم تنكَرْ فكانت إجماعاً،فقال أصحابنا: حق المرأة ليلة مِن كل أربع ، وللأمَة مِن كل سَبْعٍ لأن أكثر ما يمكن أن يجمع معها ثلاث حرائر ولها السابعةَ، والذي

يقوِّي عندي أن لها ليلة من ثمانٍ فإن حق الحرة من كل ثمانٍ ليلتان وللأمة ليلة على النصف.. والوطء واجب على الرجل إذا لم يكن له عذر ، وبه قال مالك، وفي قضاء كعب قال: (إن لها عليك حقاً، فاستحسن عمر قضاءه ورضيه).

والاستدلال بالأربع رُوي على وجه آخر!:

فقد روى صاحب الأغاني (2/ 9 5 1 والتحفة للتجاني/ 976) من طريق الهيثم بن عَدِيَ (وله تصانيف، وفيه مقال) قال لقيط: كنت عند سعيد الزبيري قال: سمعت عامر الشعبي يقول:

شكت امرأةٌ إلى النعمان بن بَشير (وكان قاضياً) كثرة غشيان زوجها إياها، فقال لها:لأقضينَّ بينكما بقضية لا تُرَدُّ عليّ: قد أحلَّ الله له مِن النساء مثنى وثلاث ورباع فله مرتان بالنهار، ومرتان بالليل .

قال التجاني في تحفتة (976):

(كذا جاءتْ هذه الحكاية، ولا أعرف لهذا الاستدلال وجهاً. وإذا أباح الله للرجل أربعًا من الزوجات، فكيف يشترط لزوج المرأة الواحدة أن يطأها في كل يوم وليلة أربع مرات؟!

وإنما المستحسن في هذا فقه كعب بن سور).

قلت: أما الإسناد ففيه مقال كما رأيتَ .

وأما الفقه فهو فقه متين.

وهو شرط عليها له فهذه قضية النعمان، وذاك عليه لها، فهذه قضية كعب.

ومتانة هذا الفقه أنه لما أباح الله له زواج أربع، وكان أقل حال للرجل معهن القسم كل ليلة فله منها مرة كل ليلة، وكان أوسط حال للرجل الشديد أن يأتيهن كلهن في اليوم الواحد كما مَرَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نسائه كلهن في يوم واحد، فقضى بأوسط حالٍ .

ولو قضى عليها بالصبر على حاليه: القلة والكثرة لكان قضاءً.

فإن حديث رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك المعنى

ألا تمتنع عن زوجها ولو كانت على ظهر قتب أو تنور .

4- القضاء في الغائب

ليلة من غاب عنها زوجها

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذاتَ ليلة يطوف بالمدينة يحرس الناس، وكان يفعلُ ذلك كثيراً:

ا- إذْ مَرَّ بامرأة من نساء العرب وهي في بيتها مغلقةً بابها وهي تقول:

تطاولَ هذا الليل واسْوَدَّ جانبُهْ ... وأرَّقني ألا خليلَ ألاعبُهْ

ألاعبهُ طَوْرًا، وطَوْرًا كأنهُ ... بدا قمراً في ظلمة الليل حاجبُهْ

يُسَرُّ به من كان يلهو بقُرْبِهِ... لطيف الحشا لا تجتويه أقاربُهْ

فوالله لولا اللهُ لاشيءَ غيرُه..لزُعْزِعَ مِن هذا السرير جوانبُهْ

ولكنني أخشى رقيباً موكَّلاً ... بأنفسنا لا يَفتُرُ الدهرَ كاتبُهْ

ثم تنفستِ الصُّعَداءَ، وقال:

أهانَ على ابن الخطاب وَحشتي في بيتي , وغيبة زوجي عني، وقلة نفقتي؟!

فقال عمر رضي الله عنه : يرحمكِ الله، يرحمكِ الله.

فلما أصبح أرسل، فسأل عن المرأة .

فقيل: هذه فلانة بنت فلان، وزَوْجُها غازٍ في سبيل الله.

فأرسل إليها امرأة، فقال: كوني معها حتى يأتي زَوْجُها.

وأرسل إليها بنفقة.

وكتب إلى زوجها، فأقفَلَه (أي ردّه إليها).

ثم ذهب إلى حفصة ابنته (رضى الله عنهما):

فقال لها: يا بُنَيَّة، كم تصبر المرأة عن زوجها؟!

فقالت له: يا أبةِ، يغفر الله لك، أمِثْلُك يَسأل مثلي عن هذا؟!

فقال لها: إنه لولا أنه شيءٌ أريدُ أن أنظر فيه للرعية ما سألتكِ عن هذا.

قالت: أربعة أشهر، أو خمسة أشهر، أو ستة أشهر.

فقال عُمر: يغزو الناس: يسيرون شهراً ذاهبين، ويكونون في غزوهم أربعة أشهر، ويقفلون شهراً.
فوقَّتَ ذلك للناس مِن سُنَّتهم في غزوهم.

رواه ابن أبي الدنيا في الأشراف (256و257 وذكره في الدر153/1) والعيال (494 و495) من طريق يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق في السيرة (والدر356/1) ح وسعيد بن منصور (2463) ح ومالك (.. ومن طريقه البيهقي [9/ 29]) ح وابن الأنباري (.. وعنه المعافى في الجليس 344/3)ح والعسكري في الأوائل (ص 414- 415) واليزيدي في أماليه (ص 99) وأبو حفص العكبري (عن زيد بن أسلم- المغني7/ 31) وذكره في مسند الفاروق 1/ 422) وغيرهم من طرق جيدة، وقد خرجته في (الطبيب عند غياب الحبيب)
واختلاف الرواية : ا/ تسري كواكبه/ لا ضجيع/ لا حبيب 2/ يلاعبني 3/ مصاحبه
3/ صدره: (وبت ألاهي غير بدع ملعن)، وصدر هذا عجزه (يعاتبني في حبه وأعاتبه).
4/ تحرك ه/ ولكنني أخشى الإله وأتقي وأحفظ بعلي أن تُنال مَراكبه (رواية الأوائل)

وفيه لطيفة عدم ترك المرأة وحدها
فقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(الشيطان أقرب إلى الواحد ، وهو من الاثنين أبعد)
ولكن مع صحبة خير لا صحبة شر .
2- ورُوي أن عمر رضي الله عنه سمع امرأة تقول:
دعتني النفسُ بعد خروج عَمْرٍو ... إلى اللذات تَطَّلِعُ اطلاعاً
فقلتُ لها: عَجِلْتِ فلن تطاعي ... ولو طالت إقامته رباعا
أحاذرُ أن أطيعك سبَّ نفسي ... ومخزاةً تُجَلِّلني قناعا
فقال لها عمر رضي الله عنه : ما الذي منعكِ مِن ذلك؟
قالت: الحياءُ، وإكرامُ زوجي .
فقال عمر رضي الله عنه: إن في الحياء لهنات ذات ألوان، ومن استحيى اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وُقي.

رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (94 ومن طريقه الخطيب في المؤتنف (2/124/ ق).

3- ورُوي أن عمر رضي الله عنه حَرَسَ ليلةً ومعه عبد الله بن الأرقم، فرأى سواداً
فقال: يا عبدَ الله، انظرْ ما هذا؟
فذهبَ، فإذا هو بامرأة، فقال: ما شأنك ؟
فقالت: ما ساءك وساء صاحبك الذي معك؟!
قال : ومَن هو؟

قالت: عمر، أفي الله أن يُحبس زوجي عني سنة، وأنا أشتهي ما يشتهي النساء ؟!
فرجع إلى عمر، فأخبره، فسألها: أين بَعْثُه؟، فأخبَرَتْه، فكتب إليه، فأقْدَمَه. رواه سعيد بن منصور (2462).

4- وقال أبو عقرب: سهرنا مع عمر رضي الله عنه ذاتَ ليلة (يعني في أمر المسلمين ولا تفوتهم صلاة الليل ولا الفجر) فذهبَ بنا الحديث إلى ذِكْر النساء، فذكروا امرأة في المدينة مغيبة فتواطأوا على أنها أجمل امرأة بالمدينة.
فقام عمر، فأتى منزلها، فطاف به.
فلما أصبح غدا إليها، فدَخَلَ عليها، فإذا هي تهيئ هنىً لها-
قال : تعطر إهابًا لها (الإهاب : الجلد)
قال: فأخذه مِن يدها، وجعل يتبعه:
ويقول: هكذا فاصنعي، تدرين ما جاء بي إليك؟!
قالت: لا، إلا أني أعلم أنك لم تأتِ إلا بخير .
قال: فإنهم تحدثوا عندي في هذه الليلة، فذهب بهم الحديث إلى ذِكْر النساء
فتواطأوا على أنكِ أجملُ امرأة في المدينة، فأتيتُ منزلكِ، فطفتُ به، فلم أر بأساً، ثم غدوتُ إليك، فلم أر إلا خيرا.
قالت: يا أميرَ المؤمنين، ما الحافظ إلا الله.
رواه ابن الأعرابي في معجمه (248/ ق/ 2451) بإسناد حسن صحيح.

قال الله تعالى: (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)[النساء/34]

5- وكان عمر رضي الله عنه يُغزي الأعزب عن ذي الحَليلة.
رواه سعيد (2355) عن عبد الله بن المبارك (له كتاب الجهاد) ح وابن سعد وغيرهما، وهو صحيح.

وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن نبياً من الأنبياء غزا فقال: لا يتبعني رجلٌ مَلَكَ بضع امرأة ثم لم يبن بها .
رواه البخاري ومسلم .

وقال الله تعالى: (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة226-227]

والقصص في ذلك كثيرة جداً في كل زمان ومكان.

فكيف بمن يترك امرأته:

- متبرجة مخالطة للرجال وحديثهم عن ... !

وللنساء بأحاديثهن عن أزواجهن !

- وعندها خليفته الفاجر (التلفاز ..)! والمجلات الفاجرة!

- ولا دين لها ولا حياء!

فالعجب أن لا تزني ولا يُزنَى بها !

ولو كانت فوالله ما سَلمتْ في قلبها، ولا سَلمتْ قلوبُ مَن حَوْلها، وعليه إثم ذلك كله كأنه فاعله.

وقد كَرِهَ بعضُ المتأخرين للمرأة يغيب عنها زوجها أن تربي في بيتها الحيوان والطير الذي يكثر سفاده ويُذَكِّر الجماع كالحمام وغيره، فكيف بما هو أشدُّ ؟!

ومِن تلك القصص:

- أن امرأة غاب عنها زوجها، فأرسلت إليه: (إني في فتنة، وإن لم تدركني هلكتُ) فتغافل وشغله سفره وجمعه المال، فأرسلت إليه أنها قد فُتِنَتْ ثم تابت!.

- وأخرى سافر عنها زوجها سنةً ويزيد ليجمع المال ويزيد في أثاث بيته ونفقته، فثار في نفس المرأة ما ثار من طول الغيبة، والفراغ، وصحبة السوء، ورؤية الفساد في التلفاز ودخل عليها حَمُوها أخو زوجها وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إياكم والدخولَ على النساء، الحَمْوُ الموتُ .

فكان ما كان على فراشه الذي تغرَّب ليشتريه لغيره!

- كم من امرأةٍ غاب عنها زَوْجُها فطمع فيها كل كلب !

قَدِمَت امرأةٌ مكةَ، فبَيْنا شاعرٌ يطوفُ إذ نَظَرَ إليها، فدنا منها

، فكلَّمها، فلم تلتفتْ إليه، حتى خافت أن يشهرها.
فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها: اخرجْ معي يا أخي فأرني المناسك، فإني لستُ أعرفها !
فأقبلتْ وهو معها، فلما رآها ، فنظر إلى أخيها معها، فعدل عنها، فتمثلتِ المرأة بقول النابغة:
تَعْدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلاَبَ له...وتَتّقي صَوْلَةَ المُسْتأسد الحامي
قال الملك العباسي الذي يقال له المنصور : وقد حُدِّثَ بهذا الخبر: وددتُ أنه لم تبق فتاة من قريش في خِدْرها إلا سَمِعَتْ بهذا الحديث.
الأغاني للأصفهاني (1/ 87)
قال أبو عبد الله : قصة وأيّ قصة !
ثم الأربعة الأشهر قد يكون ما هو أقلُّ منها :
- إذا كان الرجل قد اعتادتْ منه امرأته الكثرة .
- إذا كانت المرأة لكونها غير مختونة، أو فارغة عما يشغلها، أو تكثر مخالطة الرجال والنساء، أو تشاهد وتسمع قصص الزنا والفجور .
وكأنَّ مَن قال بأن على الرجل مِن حقِّ امرأته أن يطأها مرةً في كل ثلث سنة إن قدر! فإن سافر فوق نصف سنة وطلبت قدومه فأبى بلا عذر فَرَّقَ بينهما (الفروع 321/5 و322)
- كأنه أخذ ذلك من هذه القصص، وهذا مأخذٌ عجيبٌ، فقياس الشاهد الحاضر على الغائب المسافر فيه نظر.
وثَمَّةَ مسألة في سفر المرأة لأهلها ونحوه فكم يصبر عنها زوجها ؟!

5- القضاء في العاجز (العِنّين)

جاءت امرأة إلى سَمُرة بن جُندب رضي الله عنها ، فذَكَرَتْ أن زَوْجَها لا يصلُ إليها، فسألَ الرجلَ .
قال: فأنكر ذلك، وكتب فيه إلى معاوية رضي الله عنه .

قال: فكتب أن زَوِّجْه امرأة (يعنى وأعطها مهرها) من بيت المال لها حظ من جمال ودين:
فإن زَعَمَتْ أنه يصل إليها، فاجمع بينهما .
وإن زَعَمَتْ أنه لا يصل إليها ففَرِّقْ بينهما.
قال: ففعل، وأتى بهما عنده في الدار.
قال: فلما أصبح دخل الناس ودَخَلَتْ.
قال: فجاء الرجل عليه أثر صُفْرَة (صفرة الطيب مِن امرأته).
فقال له: ما فعلتَ؟
قال: فعلتُ والله حتى خضخضتُه في الثوب مِن ورائها !
(يعنى مِن شدة جماعه نزل منيه على ثوبها مِن ورائها !).
قال: وجاءت المرأة متقنعة، فقامت عند رِجْله، فسألها وعظّم عليها .
فقالت: لا شيء.
قال: أما ينتشر ؟ أما يدنو ؟
قالت: بلى ، ولكنه إذا دنى جاء شَرُّهُ.
فقال سَمُرة: خَلِّ سبيلها يا مخضخض !

رواه البيهقي (7/228) من طريق الأصم (له الفوائد) عن الصغاني : ثنا أشهل : ثنا عيينة عن أبيه- به، وهذا إسناد حسن.

خلاصة القول أَمْرُ الله تعالى:
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [النساء/19]
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ [البقرة/228]
وما قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكثر من قضية كالتي حدثت لكعب بن سور:
أما إني أرجو أن أكون أخشاكم لله وأتقاكم له.
أما إني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأنكح النساء.
فمن رغب عن سُنتي فليس مني .
ومن اللطائف في الباب:

هل تستحيي المرأة أن تشكو زَوْجَها في مثل هذا ؟
ففي طرائف العرب (89) أن أعرابية خاصمت زَوْجَها إلى عَدِي بن أرطأة القاضي(مات 102):
قالت: حَرَمني ما أحلَّ الله .
قال القاضي: إني لأستحيي أن تذكري مِثْلَ هذا !
قالت: ولِمَ لا أرغبُ أن أكون أماً كما رغبتْ ذلك أمك قبل أن تلدك، فعسى ربي أن يرزقني ولداً صالحاً مِثلك!
وقد اشتكتْ نساءٌ مِن نساء الصحابة – رضى الله عنهن ، فلا يُستحيى من الحق والحلال وطلب العلم .

الفصل الخامس عشر
نائلة مع عثمان رضي الله عنه

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن ضمضم بن جناب من كلب بن وبرة والفرافصة الأسد، وقال ابن الأنباري وغيره : (كل فرافصة في العرب فهو مضموم الفاء إلا أبا نائلة فبالفتح).
وفي سنة ثمان وعشرين
قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان :
هل لك في ابنة عمٍّ لي جميلة، ممتلئة الخَلْق أَسِيلة الخَدّ أصيلة الرأي تتزوجها ؟
قال: نعم.
فذَكَرَتْ له نائلة.
وتزوَّج سعيد بن العاص وهو أميرٌ على الكوفة أخت نائلة.
فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه ، فكتب إليه:
إنه بلغني أنك تزوجتَ امرأة، فأَخْبِرْني عن حسبها وجمالها!
[سؤاله عن جمالها مما هو مشهور لا مستور] .
فكتب إليه: أما حَسَبُها فانها ابنة الفرافصة.
وأما جمالها فإنها بيضاء.

فكتبَ اليه: إن كانت لها أخت فزَوِّجْنيها !
فدعا سعيدٌ الفرافصة، فقال له: زَوِّجْ أميرَ المؤمنين.
فقال الفرافصة لابنه ضَبٍّ وكان مسلماً والفرافصة نصراني: زَوِّجْ أختَك أميرَ المؤمنين.
فزَوَّجها أخوها وتزوجها عثمان وهي نصرانية على نسائه، وقبيلة كَلْب كلهم يومئذ نصارى [وفي تزوج النصرانية على المسلمات اختلاف] .
وقال لها أبوه حين جَهَّزَها إلى عثمان رضي الله عنها :
يا بنية، إنك تَقْدُمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك.
فلا تُغلبي على خَصْلتين: الكحل والماء، تطهري حتي يكون ريحك ريح شَنٍّ أصابه المطر.
وحملها أخوها ضَبٌّ إلى عثمان رضي الله عنه من الشام.
وفي ذلك تقول لأخيها:
أحقًّا تراه اليومَ يا ضبُّ أنني ... مرافقةً، نحو المدينة أركبا
إذا قطعوا حَزْنًا تَخُبُّ ركابَهم ...كما زعزعتْ ريحٌ يراعًا مثقبا
لقد كان في فتيان حصن بن ضمضم ... و[جدّك] مايغني الخباء المحجبا
فلما دخلتْ عليه وُضِعَ لها سريرٌ وله آخر .
فلما دخلتْ داره ليلاً، وقد هُيئ لها المجلس.
فلما أخذتْ مجلسَها، وأُصْلِحَ مِن شأنها وعثمان في المسجد قد صلى العشاء الآخرة أتته مولاة له، فآذنته بها، وقالت: إن قضيتَ صلاتك فانصرفْ إلى أهلك.
فقام حتى دخلَ عليها .
قال عثمان رضي الله عنها : فدخلتُ على جارية مثل الخِلفة [يعني الناقة الحامل لطول قامتها وامتلاء جسمها].
قال عثمان: فقلت: سلامٌ عليكِ .
ثم جلسَ في فراشه، فرَدَّتْ عليه السلام.
قالت: وعليك السلام ورحمة الله .

ونساء قبيلة كلْبٍ ذلك الزمان لا يكلمن أزواجهن سنة .
(قال عثمان: فقلت لها: فتأذنين لي فآتيك.
ما أدري إما أن تقومي، تتحولي إلي وإما أن أقوم إليك.
فقالت: ما تجشمتُ قطعت إليك مِن عُرض جَنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك
والله ما سرت إليك مسيرة شهر من أهلي وأنا أريد أن تعني إلى عُرض هذا البيت
بل أقوم أنا إليك ، وكرامة.
فقامت ، فتحولتْ إليه حتى جلستْ معه على السرير.
فوضع القلنسوة عن رأسه، فبدا الصلع .
فلما قعدتْ إلى جنبه أقبلت تنظر إليه وقد وضع قلنسوته.
فقال: يا ابنة الفرافصة ، أين أنت مِن شيخ أثرم هَرِمَ لا يهولنك ما ترين من صلعتي
لعلك تكرهين ما ترين من كبري وشيبتي فإن وراء ذلك ما تحبين .
فقالت: أما ما ذكرتَ مِن صَلَعِكَ فإني والله لمن نسوة أحبُّ أزواجهن إليهن السادة الكهول الصُّلْع.
قال: إني قد جُزْتُ الكهول فأنا شيخ .
قالت: أفنيت شبابك مع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خير ما تذهب فيه الأعمار .
قال عثمان: فسُرِرْتُ بذلك .
فقال: ضعي رداءكِ- فوضعته.
ثم قال: اطرحي خماركِ- فطرحته.
(قال: اطرحي درعكِ - فخلعته).
ثم قال: اطرحي إزاركِ .
فقالت : (أنتَ وذلك) (ذاك إليك).
قال: صدقتِ .

فكان المَثَلُ عند العرب: خلع الدرع بيد الزوج .
وكذلك : التجرد لغير نكاح مُثلة .
وقيل أول من قالهما رقاش بنت عَمرو بن تغلب .
ومَسَحَ رأسها، ودعا لها بالبركة وبنى بها .
(ثم ذهب يريد أن يأيتها مرة ثانية، فقالت: بل أُبقي على الشيخ).
قال عثمان رضي الله عنه: فما زلتُ متشكراً لها.
فأعجبته .
فأسلمتْ على يديه ، فتحنفتْ .
فكانت أحبَّ نسائه إليه ومِن أحظى نسائه عنده).
وولدتْ له جارية يقال لها مريم وأم خالد وأرْوَى وأم أبان الصغرى ، فلم تزل عنده حتى قُتِلَ .
فلما دخلوا عليه أَكَبَّتْ عليه، واتَّقَتِ السيفَ بيدها، فتعمدها فنفحَ أصابعها،فأطنَّ أصابعَ يدها، ووَلَّتْ، فغمز أوراكها، وقال: إنها لكيدة العجيزة! [كذا ولعله تصحيف: كبيرة، أو أراد أن يقول: جيدة فنطقها هكذا من العجمة].
وقالت ترثيه:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيل التُجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وأُبْكِي قرابتي ... وقد ذَهَبَتْ عنا فضولُ أبي عَمرو

وقالت:

أبي الله إلا أن تكوني غريبة ... بثيربَ لا تَلْقَيْنَ أباً ولا أماً

وبعد موت عثمان رضي الله عنه خطبها معاوية فأبَتْ عليه/5) (ولم تجبه/7):
(فلم تنكح بعد عثمان أحدٌ حتى ماتت/8) رحمها الله تعالى.
وتزوج معاوية مَيْسُون بنت بَحْدَل الكلبية، فولدت له يزيد.

خرجته في المستخرج، وهو من طرق شتى في ترجمتها من تاريخ دمشق،وأسانيده لا تقوم، ولكنها قصة طريفة فيها فوائد.

الفصل السادس عشر

خالد بن الوليد

قال رضي الله تعالى عنه- عند موته:

ما كان في الأرض من ليلة:

أُبَشَّرُ فيها بغلام ، أو تُهْدَى إلى بيتي فيها عروسٌ أنا لها محبٌّ أحبُّ إليَّ من ليلةٍ شديدة البرد كثيرة الجليد في سَرِيَّةٍ من المهاجرين أُصَبِّحُ بهم العدو .

رواه ابن المبارك في الجهاد وغيره، وقد خرَّجته في المستخرج.

الفصل السابع عشر

سلمان رضي الله عنه

ذُكر أنه تزوَّج بالعراق من موالي أبي قرة الكِنْدي، فلما كان ليلة البناء بها مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته، فلما بلغ البيت قال: (ارجعوا آجركم الله) ولم يُدخلهم عليه كما فَعَلَ السفهاء .

فلما جاء يدخل وقف بباب البيت فنظر إلى البيت وهو مُنَجَّدٌ:

فقال: أمحمومٌ بيتكم، أم تحولت الكعبة في داركم [لأنه لا يُستر إلا الكعبة]؟!

فقالت: لا يا صاحب رسول الله، ولكن العروس تُزَيِّنُ بيتَها.

قال: والله لا أدخله حتى تُهْتَك أستاره .

فلما هتكوها دَخَلَ .

فلما دخل رأى متاعًا كثيراً فقال: لِمَن هذا المتاع؟

قالوا: متاعك ومتاع امرأتك .

قال: ما بهذا أوصاني خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصاني إذا تَزَوَّج أحدُنا ألا يتخذ من المتاع إلا أثاثًا كزاد الراكب (كأثاث المسافر).

فقالت: يا صاحب رسول الله ρ، أما ما في البيت ففي سبيل الله تعالى .

فقمن، فهتكن ما في البيت.
ورأى خدماً وإماءً، فقال: لمن هذا الخدم؟
فقالوا: خدمك وخدم امرأتك!
فقال: ما بهذا أوصاني خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !.
ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته:
هل أنتن مُخْرَجاتٌ عني مُخَلِّياتٌ بيني وبين امرأتي؟!.
قلن :نعم .
فخرجن، فذهب إلى الباب حتى أجافه، وأرخَى الستر.
ثم جاء حتى جلس عند امرأته، فوضع يده على رأسها، فمَسح بناصيتها، ودعا بالبركة.
ثم قال لها: هل أنتِ مطيعتي في شيءٍ آمُرُكِ به- رحمكِ الله؟!
قالت: قد جلستَ مجلسَ من أوجب الله طاعته.
قال : فإن خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ليكن أول ما تلتقيان عليه على طاعة الله- عز وجل:
لِيَمْسَحْ ناصيتها وليدْعُ بالبركة وتصلي خلفه، ويحمد الله- عز وجل- وليسأله البركة وتؤمِّن [على دعائه] .
فقاما، فصليا ركعتين، فلما فرغا ألمَّ بها، فبات عندها.
فلما أصبح جلس في مجلس القوم
فانتجاه رجلٌ: كيف وجدتَ أهلك الليلة ؟!
فأعرض عنه- ثلاث مرات، ثم قال:
ما بالُ أحدِكم يَسألُ عما وارته الحيطان والأبواب.. المتحدث عن ذلك كالحمارَيْن يتسافدان في الطريق.

رواه البخاري في تاريخه وسعيد بن منصور والطبراني وغيرهم من طرق، وقد خرَّجته في (المستخرج)، وفي أسانيده مقال.

الفصل الثامن عشر
هند بنت معاوية رضي الله عنه

رُوي أنه زَوَّجها عبد الله بن عامر،وهي بنت تسع سنين .

فلما كان ليلة البناء امتنعت منه امتناعًا شديدًا حتي لم يقدر يصل منها إلى شيء، فضربها، فبكت، فلما سمع جواريها بكاءها صِحْنَ فسمع معاوية الصوتَ، فقام حافيًا، فسمع مقالة الجواري، فدخل على عبد الله البيت، وأرْخَتْ هند قُبَّتَها.

فقال له: مِثْلَ هذه تُضْرَبُ ؟! قَبَّحَ الله رأيَك.

اخْرُجْ عن هذا البيت [يعني هذه الغرفة] إلى غيره.

فلما خَرَجَ قال لابنته:

السلامُ عليك يابنية، لا تفعلي، فإنما هو زوجك الذي أحله الله لك.

أو ما سمعتِ يا بنية قولَ الشاعر:

مِن الخَفِراتِ البِيض: أمَّا حرامُها فصعبٌ، وأما حِلُّها فذَلُولُ

ثم نهض وفهمتْ منه ما أراد، فخرج رجع إلى مجلسه، فمَرَّ به ابنُ عامر رجع إليها فلانت له.

رواه الخرائطي والمعافى وغيرهما، وقد خرَّجته في (المستخرج).

ويماثله قول الشاعر في الخفر أي الحياء:

يَأنَسْنَ عند بعولهن إذا خَلَوْا ... واذا هم خرجوا فهُنَّ خِفَارُ

وهذه صفة نساء الجنة (قاصرات الطرف) (عُرُبا) فالعَرُوب هي المتحببة إلى زوجها المتعشقة له.

وروي هذا المعني عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسنادٍ لا يصحُّ ومعناه صحيح:

(خير النساء العفيفة الغَلِمة المتبذلة لزوجها الخَفِرة في قومها.

وشر النساء الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها،الحَصان معه إذا خلا بها تَمَنَّعَتْ).

الفصل التاسع عشر

عائشة بنت طلحة رضي الله عنه

كانت من الحُسْن مَضْرِب مَثَلٍ .
ا- وهي بنت طلحة بن عُبيد الله من أم كلثوم بنت الصديق، فعائشة أم المؤمنين خالتها- رضى الله عنها.
وزَوَّجتها أمُّ المؤمنين من عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق ابن أخيها
وهو ابن خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عذرتها، فلم تلد مِن أحدٍ مِن أزواجها سواه: وَلَدَتْ له عمران- وبه تكنى- وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة.
فصارَمَتْ [أي هَجَرَتْ] زَوْجَها، فآلى منها أربعة أشهر، فأرسلتْ أمُّ المؤمنين إليه:(إني أخاف عليك الإيلاء) فضَمَّها إليه، وقيل له: طلقها، فقال:
يقولون: طَلِّقْها، لأصبح ثاويا ... مقيمًا على الهَمّ أحلام نائم
وإن فراقي أهل بيت أحبهم ...لهم زلفة عندي لإحدى العظائم
فتُوُفِّي عبدُ الله بعد ذلك وهي عنده، فما فتحتْ فاها عليه [يعني لم تَنُحْ عليه].
ثم تزوَّجها بعدَه مصعبُ بنُ الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم، وأهدى لها مِثْلَ ذلك، وبلغ ذلك أخاه (عبد الله بن الزبير)، فقال: إن مصعبًا قَدَّم أيره وأَخَّر خيره، وكتب عبد الله إلى مصعب يؤنبه على ذلك ويقسم عليه أن يلحق به بمكة، ولا ينزل المدينة، ولا ينزل إلا بالبيداء، وقال له (عبد الله):
إني لأرجو أن تكون الذي يخسف به بالبيداء، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا (إشارة إلى حديث رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَؤُمُّ جيشٌ الكعبة، فتخسف بهم بالبيداء).
وصار مصعب إلى عبد الله، وأرضاه من نفسه، فأمسك عنه.
2- وكان مصعب لا يقدر عليها إلا بتلاحٍ ينالها منه ويضربها فشكا ذلك إلى (عبد الله) ابن أبي فروة كاتبه:

فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذنتَ لي !
قال مصعب: نعم، افعلْ ما شئت، فإنها أفضل شيء نلته من الدنيا !
فأتاها ابن أبي فروة ليلاً ومعه أسودان، فاستأذن عليها:
فقالت: أفي مثل هذه الساعة؟!   قال: نعم!
فأدخلته، فقال للأسودين: احفرا هاهنا بئرًا!
فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟!
قال: شؤم مولاتك، أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حية، وهو أسفك خلق الله لدمٍ حرام !
فقالت عائشة: فأَنْظِرْني (أي أمْهِلْني) أذهب إليه.
قال: هيهاتَ، لا سبيلَ إلى ذلك.
وقال للأسودين: احفرا.
فلما رأت الجِدَّ منه بكت:
ثم قالت: يا ابنَ أبي فروة، إنك لقاتلي ما منه بُدٌّ؟!
قال: نعم، وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدك، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب.
قالت: وفي أي شيء غَضَبُه؟
قال: في امتناعك عنه، وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين إلى غيره، فقد جُنَّ .
فقالت: أنشدك الله ألا عاودته.
قال: إني أخاف أن يقتلني.
فبكت، وبكي جواريها: فقال: قد رققت لك! وحلف أنه يُغَرِّرُ بنفسه! ، ثم قال لها: فما أقول؟
قالت: تضمن عني أن لا أعود أبداً (إلى مغاضبته والامتناع عنه).
قال: فما لي عندك؟   قالت: قيامٌ بحقك ما عشتَ.
قال: فأعطيني المواثيق.

فأعطته المواثيق، فقال للأسودين: مكانَكما !
وأتى مصعباً، فأخبرَه، فقال له: استوثقْ منها بالأَيْمان، ففعلتْ، وصلحتْ بعد ذلك لمصعب.
3- فلما قُتِلَ مصعب عنها، خطبها بِشْرُ بن مروان، وقَدِمَ عُمر بن عُبيد الله بن معمر التيمي من الشام، فبلغه ذلك، فأرسل إليها جارية له، وقال: قولي لابنة عمي: يُقرئك السلامَ ابنُ عَمّك، ويقول لك: أنا خيرٌ مِن هذا.. وأنا ابنُ عمك وأحقُّ بك، وإن تزوجتُ بك ملأتُ بيتَك خيراً وحِرَك أيرا!
فتزوجته، فبنى بها بالحيرة، ومهدتْ له سبعة أفرشة عرضها أربع أذرع.
فقال لها: لأقتلنك الليلة (يعني من كثرة الجماع).
4- لما قدم عُمر هذا الكوفة تزوج عائشة بنت طلحة، فحمل إليها ألف ألف درهم: خمسمائة ألف درهم مهرًا، وخمسمائة ألف هدية !
وقال لمولاتها: لك عليَّ ألف دينار إن دخلتُ بها الليلة!
وأَمَرَ بالمال، فحُمِلَ، فأُلْقِيَ في الدار، وغُطِّيَ بالثياب، وخرجتْ عائشة:
فقالت لمولاتها: أهذا فرشٌ أم ثياب؟!
قالت: انظري إليه
فنظرتْ، فإذا مالٌ، فتبسمتْ:
فقالت(مولاتها): أجزاءُ مَن حَمَلَ هذا أن يبيت عَزَبًا؟
قالت (عائشة): لا والله ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزين له وأستعد .
قالت (مولاتها): فبِمَ ذا:
فوجْهُك والله أحسن مِن كلِّ زينة !
وما تَمُدّين يدك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك!

وقد عزمتُ عليك أن تأذني له.
قالت (عائشة): افعلي.
فذهبتْ (مولاتها) إليه، فقالت له: بِت الليلة.
فجاءهم عند العشاء الآخرة:
فأُدْنِيَ إليه طعامٌ، فأكل الطعامَ كله حتى أعْرَى الخوان!،
وغسل يده.
وسأل عن المتوضَّأ، فأُخْبِرَ به، فتوضأ، وقام يصلي حتى ضاق صدرها (أي مولاتها) ونامت.
ثم قال لها: أعليكم إذن؟ قالت (مولاتها): نعم، فادخلْ .
فأدخلته،، وأسبلت الستر عليهما (وعانقها وضَمَّها إليه وما زال يفتح فاها ويترشفه ويقبلها، ثم قام فوطئها، وتحدث معها ساعة ومدَّ يده إليها وهكذا/ 1)
فعددتُ له في بقية الليلة على قلتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها [فأصبح ليلة بنى بهاعن تسع،.
فلما أصبحنا وقفت على رأسه، فقال: أتقولين شيئا؟!
قلت: نعم والله ما رأيتُ مِثلك أكملت في كل شيء حتى في هذا :
أكلت أكْلَ سبعة، وصليتَ صلاة سبعة، وفعلتَ فعل سبعة!
فضحك، وضرب بيده على منكب عائشة، فضحكتْ وغطتْ وجهها، وقالت:
قد رأيناك فلم تَحْلُ لنا ... وبلوناك فلم نرض الخَبَرْ!
5- وذات ليلة:
قالت امرأة: كنتُ عندها، فقيل لها: قد جاء الأمير، فتنحيتُ، ودخل وكنتُ بحيث أسمع كلامهما، فوقع عليها (فشخرت ونخرت/1) فجاءت بالعجائب (من الرهز/1) ثم خرج (فسمعت من النخير والشهيق أمراً عجيبا/2) (لم يسمع مثله قط/ 2) (وخرجتْ وجبينُها يتفصَّدُ عرقا/2).

فقلتُ لها: أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا؟! (ما ظننتُ أن حُرَّةً تفعل هذا/2).
فقالت: إنَّا نَتَشَهَّى لهذه الفحول بكل ماحرَّكها وكل ما قدرنا عليه، (فما الذي أنكرتيه مِن ذلك؟).
قلت: أحبُّ أن يكون ذلك ليلاً !
قالت: إنه يكون ليلاً هذا وأعظم منه! ولكنه حين يراني تتحرك شهوته ويهيج، فيمد يده إليَّ، فأطاوعه، فيكون ما ترين !
فقلت: لقد أوتي منكِ ما لم يؤته أحدٌ من أزواجك/1).

وفي ترجمة فاختة بنت قَرَظة امرأة معاوية رضي الله عنها من تاريخ دمشق من طريق الصُولي (له تصانيف) : حدثني عون عن أبيه عن الهيثم عن عبد الله بن محمد قال:(ص268) (الدر المنثور 8/ 18)

راود معاوية ابنة قَرَظة، فنخرتْ نخرة شهوة، ثم وضعتْ يدها على وجهها (حياءً مما انفلتَ منها) فقال (لها): لا سوأة عليك، خيركن النخَّارات الشخَّارات (أيْ لأزواجهن).

والروايات للأصبهاني في أغانيه (5 1/ 53- 6 5) وتحفة التجاني 977 و1000):
الأولى من طريق الزبير بن بكار عن عمه مصعب ح والمدائني.
والثانية من طريق المدائني عن سُحيم بن حفص.
والثالثة من طريق المدائني والقحذمي.
والرابعة من طريق القحذمي، وما بين [ ]، فعن المدائني.
والخامسة للمدائني. وبعض ذلك عنده (1/ 133- 135).
وما بين ( ) فمني تفسيرًا، و (1) من التحفة للتجاني نقلاً عن الأغاني!
وفي العقد الفريد (7/ 211- 212) من طريق الصُولي عن ابن عياش عن أبيه عن الهيثم بن عدي (وللصُولي والهيثم تصانيف) عن ابن عياش نحو الرواية الرابعة والخامسة.
والخامسة عند الجاحظ المعتزلي- لعنه الله- في جواريه (ص 129) ونثر الدر (التحفة/1001) والعقد الفريد (7/ 133)، وما بين (2) فمنها.

الفصل العشرون

ليلة زينب التميمية وَشُرَيْح رحمه الله

هو شُرَيَح بن الحارث النخعي من كبار التابعين.
قاضي الكوفة زمن عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم .
وهاك قصته بروايته- رحمه الله تعالى:

1- سبب اختياره المرأة .

أ- (قال الشعبي: قال لي شُرَيح القاضي:

ما غلبني في الجواب أحدٌ قطُّ كرجلٍ أتاني يوماً في مجلس القضاء حين صليتُ الغداة ومعه خصمٌ له، وعلى الفتى جُمَّة له أنها قتادة قد رطلها [الجمة: الشعر، والقتادة الشجرة الصُّلبة، والترطيل: دهن الشعر] فتكاد تقطر، فلما رأيتُ ذلك غاظني:
فقلت: أما كان لك هِمَّة منذ أصبحتَ إلا شعرك هذا ترطله؟!
فقال لي الفتى: ليس لهذا جلسنا بين يديك، إنما جلسنا لنتخاصم إليك، فأما أن تكون محتسباً [آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر]، على الشعر فلا !
فأغضبني، فقلت له: أراك معجباً بنفسك !
قال: إذا أنا زهدتُ في نفسي، فمن يُعجب بها؟!
فقلت له: أراك تكثر الكلام !
فقال الفتى: فمن يُعَبِّر حُجَّتي إذا لم أتكلم؟!
قلت له: إني أُراك ظالمًا !
قال الفتى: ليس على ظنك تقضي بيننا، إنما ينبغي أن تقضي بالحق الواضح، وتدع الظن/5).
(بَيْنا شريح في مجلس قضائه إذْ أقبل فتى وشيخ يختصمان إليه.
فكلما تكلم الشيخ بكلمة أفلج عليه الفتى في حجته، فأغاظ ذلك شريحًا.
فقال للفتى: اسكت.
قال: لا والله يا قاضي مالك أن تُسكتني !
قال: لا تكُ فتى وهذا شيخ .
قال: يا قاضي، وما تنقم على قوم أثنى الله عليهم في القرآن:
فقال: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ [الكهف/13]
وقال: قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ [الأنبياء/60]

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ [الكهف/60]) لولا أنه فتى صدق ما صحبه موسى/10).
(فأقبلت عليه أمازحه بعد هذا الكلام/5).
(فقلت له/5) (يافتى، أنت قاضي، تعال اقعد اقض.
قال: لا والله مالي دون أن أطعم قصعتك وأستوفي مالك/ 10)
(فقلت له: أيَسُرُّك أنك في مجلسي هذا على القضاء؟
فقال: أما وأنا آخذ عليه الكراء مثلك فلا، ولكن محتسباً للمسلمين!
فأخجلني والله/5).
(ثم استنطقه فإذا بفتى كامل العقل وَضِيء الوجه.
يقول شُرَيْح في نفسه: والله لوددتُ لو أن لهذا الفتى أختًا فأتزوجها.
قال: لو تمنيت الجنة كان أفضل/ 10).
(فقلت له: أعَزَبٌ أنت، أم مُزوجها؟
فقال: أطلب.
قال: مِن مظانّه- يعني مِن قَبيل النساء.
فتركتُ مجلسي ذلك، وقمتُ حتى انتهيتُ إلى باب دارهم/5).
ب- قال شُرَيح لأخ له في الله: أتدلني على امرأة؟ أتزوِّجها؟
قال:نعم،أخت لي في الله،فإن كان لها بنت فقد رضيتها لك/4).
ت- (قال الشعبي: قال لي [رواية: لنا] شُرَيْح:
ياشعبي، عليكم بنساء بني تميم، فإنهن النساء.
قلت: فكيف ذاك (يا أبا أمية)؟
قال: [والله إني لأقبلتُ/10]، انصرفتُ مِن جنازة ذات يوم مظهراً [يعني وقت الظهر] [فأصابني الحَرُّ/10]، (فمررتُ بدُور بني تميم) [فمررتُ بخِباءٍ] فإذا امرأة [عجوز]، (جالسة في سَقيفة على وسادة) [فقلت: لو عدلتَ إلي هذه السقيفة،فاستظللتُ واستسقيتُ ماءً/10]، وتجاهها جارية رَؤد

(يعني التي قد بلغت7/) [رَؤد: أي في اقتبال شبابها6/] (ولها ذؤابة على ظهرها7/) (قد تسترت بها10/) (جالسة على وسادة7/) فاستسقيتُ (قلت: اسقوني ماء10/).
فقالت (لي) (يا عبد الله10/) أي الشراب أعجب إليك: النبيذ أم اللبن أم الماء؟
قلت: (أي ذلك تيسر عليكم) (اللبن أعجب إليَّ).
قالت: (اسقوا الرجل) (يابنية، اسقيه) لبنا، فإني أخاله (أعرابيًا10/) غريبا.
(فسقتني) فلما (أن10/) شربتُ (حمدتُ الله10/) (نظرتُ إلى الجارية، فأعجبتني6/و7).

2- خِطْبة المرأة:

أ- (قال شُريح: انتهيتُ إلى باب دارهم، فناديتُ، فخرجت إليَّ الجارية،فكلمتني مِن وراء الباب:
فقالت: من أنت؟ قلت: أنا شريح.
فقالت: القاضي؟ فقلت: نعم.
قالت: حياك الله يا أبا أمية، حاجتك؟
قلت: أردتُ فلانة- أعني أمها.
قالت: هي غائبة، وأنا خليفتها في المنزل.
قلت: أتيتها خاطبًا فلانة ابنتها.
فاسْتَحْيَتْ مني، وتستَّرَتْ مني.
فبعثتْ إلى أمها وأهلها، فجَمَعَتْهُم، وتزوَّجْتُها، وبعثتُ المال، ونَقَدتُهم من ساعتي.
وقلت لهم: أقسمتُ عليكم إن باتت إلا عندي !
فقالوا: اللهم اغفر، أنصنعها لك [أي نزينها]؟
قلت: حسبي ما رأيتُ5/).
ب- (قال: فانطلق. فانطلقنا حتي دخلنا عليها.
قالت: مرحبًا بأخي.

قال: رَحُبَتْ عليك- ثم قال لها: هل لك بنتٌ؟ قالت: نعم.
قال: أما والله لا أبالي أيَّ بنتٍ كانتْ إذا ربيتِها أنتِ !
قالت: هي بنتي خَرَجَتْ من بطني، وأدَّبْتُها.
فقال شريح: أنكحنيها. وقال صاحبه: أنكحيه.
فأرسلتْ مكانَها إلى الناس، فجاءوا، فأنكحتَه4/)،
[المرأة لا تنكح نفسها ولا ابنتها، إنما ذلك إلى الأولياء، فإن لم يكونوا فالقاضي، والمراد هاهنا رضاها].
ت- (قال شريح: نظرتُ إلي الجارية، فأعجبتني.
فقلت: مَن هذه (الجارية خلفك10/)؟ قالت: ابنتي.
قلت: ومَن هي؟ قالت: زينب بنت حُدَيْر؟
قلت: وممن؟ قالت: إحدى نساء بني تميم.
فقلت: ومِن أيّها؟ قالت: من بني حنظلة ثم من بني طِهية.
قلت لها: فارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة.
قلت: أتزوجنيها؟ قالت: نعم، إن كنت كفؤا.
فانصرفتُ (إلى منزلي) فامتنعتُ من القائلة [يعني لم يستطع نوم القيلولة] (فلما صليت الظهر) فأرسلتُ إلى إخواني (من القراء الأشراف) (الثقات): مسروق بن الأجدع (والمسيب بن نَجَبَة، وسُليمان بن صُرَد الخزاعي، وخالد أو الحجاج بن عرفطة العذري، وعروة بن المغيرة بن شعبة وأبي بردة بن أبي موسى) والأسود بن يزيد).
(فوافيتُ معهم صلاة العصر) (فصليتُ العصر، ثم رحتُ إلى عَمّها، وهو في مسجده) (فإذا عَمُّها جالسٌ) (فلما رآني تنحَّى لي عن مجلسه).
(فقلت: أنت أحق بمجلسك، ونحن طالبوا حاجة).
فقال: (مرحبًا بك) يا أبا أمية، (ما) حاجتك؟
(قلت: إليك عمدتُ؟
قال: وما هي؟) (وفيم ذاك؟!).

قلت: (جئت خاطبًا
قال: مَن؟
قلت: (إني) ذكرت (لي) بنت أخيك: زينب (بنت حُدَيْر).
قال: (والله) ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مَقْصَر (وإنك لنُهْزة) [يعني فرصة]
فتكلمت (فحمدت الله- جل ذِكْرَه، وصليت على رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكرتُ حاجتي.
فردَّ الرجل عليَّ (فحَمِدَ الله وصلى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وزَوَّجني ، (وبارك القوم لي) (ثم نهضتُ) (ثم انصرفتُ) (فأرسلتُ إليها بصداقها وكرامتها) (فأقمتُ أيامًا).

3- ندمه على ذلك.

أ- (قال شريح: تزوجتُ امرأة من بني تميم يقال لها: زينب: فلما تزوجتُها أُسقط في يدي، فقلت: جفاء بني تميم وأكباد الحُمُر/2) [يعني أن أكبادهم غليظة من الجفاء].
ب- قال شُرَيْح : (ثم نهضنا) [انصرفتُ]، فما بلغتُ منزلي حتى ندمتُ.
فقلت: (ماذا صنعتُ بنفسي) (تزوجتُ إلى أغلظ العرب- وأجفاها) فهممتُ(أن أرسلَ إليها)بطلاقها(أردتُ أن أفارقها)!
ثم قلت: لا أجمع بين حَمْقَتَيْن (سقطتين) (في يومٍ واحدٍ، لا والله)، ولكني أجمعها إليَّ :
فإن رأيتَ ما أحبُّ (حَمِدتُ الله تعالى).
و (إلا) (إن تكن الأخرى) طلقتُها.

4- الزفاف :

أ- قال شُرَيْح: (فلما كانت ليلة البناء قالت [الأمُّ] لابنها : سِرْ مع أختك حيث تراها، وحيث بلغت الدار فلا ترجع عودك على بدئك، ولكن استقم كأنك عابر سبيل، فإنه قبيح بالرجل أن يُهدي أخته/4).

ب- (فلما أُهْدِيَتْ إليَّ) [فيه لغتان: هُديت هداءً وأُهديت إهداء، وطرح الألف أكثر، فكأنه من الهداية لا من الهدية، وهو أشبه وأليق بالمعنى، ومن الهداء قول زهير:
فإن تكن النساء مخبآتٍ ... فحُقَّ لكل محصنة هِداءُ /6)
(أقبل نساؤها يهادينها) (نساء أتراب لها/10) (وقام النساء عنها)/6و7)
(ثم زَفُّوها إليَّ من ليلتهم، فأقبلت تهديها النساء، فلما وقفتْ بباب الحجرة سلمتْ! (قالت: السلام عليكم ورحمة الله/10)
(فاستجفى ذلك النساءُ منها) (وأقبلن النساء يستخفنها وقلن: هذا منك جفاءٌ
قالت: سبحان الله السلام والبركة فيه/10).

5- صلاة الركعتين:

(لما دخل على امرأته دعا بالبركة/9).
قال: (فلما أُهْدِيَتْ إليّ، وقام النساء عنها) (فلما أُجْلِسَتْ في البيت) (أخذتُ بناصيتها) (فدعوتُ/5) (فبرّكتُ، وأُخْلي لي البيت).
(فلما أن توسطتِ البيتَ قالت: يا قاضي، موضع مسجد البيت، فإن من السنة إذا دخلتِ المرأة على الرجل أن يقوم فيصلي ركعتين، وتصلي خلفه ركعتين، ويسألان الله خير ليلتهما، ويتعوذان بالله من شرها.
قلت: خيرٌ وربِّ الكعبة/10).
فقلت: يا هذه، إن من السنة إذا (أُهْدِيَتِ المرأة إلى زوجها) (دخلت المرأة على الرجل) (أن يصلي ركعتين) وتصلي ركعتين (خلفه/5 و6) (ويسألان الله/5 و7) (البركة) (خير ليلتهما، ويتعوذان بالله من شرها/5 و7).
فقمتُ (إلى المحراب) (فتقدمتُ للصلاة/5) (لأصلي ركعتين،

فنظرتُ في أقفاي فقلت: إحدى الدواهي/2) أصلي (ثم التفت (فإذا هي خلفي) (فصليتُ /2وه و7) (ركعتين/2).

6- خُطْبة العرس!

(قال شُرَيح: فلما سلَّمتُ استقبلني ولائدها [يعني جواريها] بمِلْحفة تكاد تقوم قيامًا من الصبغ، فلبستُها/2) (فلما ظننت أنه قد فرغ من ركوعها حتى جلستْ إلى جانبه/9) (فلما فرغتُ [يعني من الصلاة] (فلما أن سلَّمتُ وثبتْ وثبة فإذا هي في قبتها وسط فراشها قاعدة/10) (ثم التفتُّ فإذا هي) (رجعتْ إلى مكانها) (على فراشها) (فأخذتُ بناصيتها فدعوتُ وبَرَّكَتُ /5 و10) (ثم جلستُ إلى جنبها/2)

فمددتُ يدي إليها (فأردت ما يريد الرجل/10)

(قالت: نعم فبارك الله لك ولنا معك/10)

فقالت لي:(هِيه هِيه)على رِسْلِك!(على حاجتك ما قدرت/ 10).

فقلت: إحدى الدواهي (مُنيتُ بها) (وربِّ الكعبة) (والله/5)!

(فحمدتِ الله، وأثنتْ عليه، وشهدتْ بشهادة الحق/2).

فقالت: (إن) الحمد لله (أحمده وأستعينه/5و7) (وأؤمن به وأتوكل عليه/5) (وصلى الله على محمد/5 و6 و10) (وآله).

(أما بعد/2و6و10) (فإنه كان في قومك مناكح، وكان في قومي مِثْل ذلك/2) (قد كان في قومي لي أكْفاء، وكان لك في قومك أكْفاء، ولكن جمع بيننا القدر/9)

(وإنك نكحتني بأمانة الله يقول الله- عز وجل:

(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ [البقرة/229] /2).

(فإني امرأة غريبة لم أنشأ معك) ولا والله (ما سرتُ مسيرًا قطُّ أشدَّ عليَّ من هذا المسير/5) (ما ركبتُ مَرْكَبًا هو أصعب عليَّ من هذا).

وأنت رجلٌ (غريبٌ) لا أعرف أخلاقك :

(أحب أن/2) تحدثني (بكل شيء تحبه/2) فآتيَه (أكن معها)

(فأتبعه)
(وبكل شيء تكرهه/2) ما تكره فأنزجر عنه (فأجتنبه/2)
(فمُرْني بما شئتَ/9).
(أقول قولي هذا، وأستغفر الله لك ولي/2و6و10)
(فاستطرتُ فرحًا/1) (فحمدتُ الله، وأثنيتُ عليه، وشهدتُ شهادة الحق/2) فقلت: الحمد لله، وصلى الله على محمد (وآله) (أما بعد/2) (فقد) قدمتِ خيرَ مَقْدَمٍ : قدمتِ على أهل دارٍ: زوجك سيد رجالهم، وأنتِ (إن شاء الله/5و6و10) سيدة نسائهم.
(فإنكِ قد تكلمتِ بكلامٍ :
إن تتمي عليه يكن حظًا لك ونصيبًا.
وإلا تتمي عليه يكن عليك حجةً/2).
(نحن جميعا فلا نفترق: ما سمعتِ من حسنةٍ فأَفشيها، وما سمعتِ من سيئة فادفنيها/2)
(أنا) أحب كذا وكذا، وأكره من الأخلاق كذا وكذا.
(أقول قولي هذا، ويغفر الله لي ولكِ/2).
(ثم مددتُ يدي إليها:
فقالت: على رِسْلِك، أخرى لم تذكرها في خُطْبتك، ولم أسمعك ذكرتَها /2)
قالت: أخْبِرْنى عن أختانك [تعني أقاربها]، أتحب أن يزوروك (هل تحب زيارة الأهل/2)؟
(ثم قالت له: لعلك تكره أن تدخل عليَّ أمي في هذه الأيام؟/ 9).
فقلت: (نعم/9)إني رجل قاضي (وأكره)(وما أحب) أن يُمِلُّوني (وأكره أن ينقطعوا عني)! ولا يطيلوا فيهجروني/ 10).
(قالت: وفقك الله/10).

7- معيشة زوجين.

قال: فبِتُّ بأنعم (بأعيش/5) ليلة (باتها عروسٌ ثم الليلة الأخرى أنعم منها) (فليس من ليلة إلا وأنا أنعم من صاحبتها/10) (وأقمت عندها ثلاثا/5 و7) [رواية:سبعا/10] (ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء/5 و7).
([فأرسلتْ إلى أمها: عزمتُ عليك لا تأتيني إلى رأس الحَوْل من هذه الليلة/2) (أن لا تدخلي عليَّ سنتين/9)!
(قالت لأمها:يا أمتاه انصرفي إلى منزلك، ولا تأتيني إلى حَوْلٍ قابل في هذا الأوان، ولا تتركيني من الهدايا !
فكان الرسول يجيئ بالأطباق المَلْأى ويأخذ الفارغ شبه الطير/10).
(فلبثتُ حَوْلاً: لا أرى فيه يومًا إلا وهو أحب إليَّ من الذي قبله/5 و7) (أنا كل يوم أشدُّ مني سرورًا باليوم الذي مضى).
8- مقدم أمها وموعظتها.
(فلم تدخل عليها سنين، ثم جاءت بعد ذلك فعرفها بالشبه/9)
قال شُرَيح: فلما كان عند رأس الحَوْل (وقد ولدتْ غلامًا/10)
(وكان شريح رجلاً غيورا/10) (فبَيْنا أنا ذاتَ يوم راجعًا من عند الأمير/2)! انصرفتُ من مجلس القضاء إلى منزلي/5و 6)
(دخلتُ منزلي/7) فإذا (أنا بامرأة/2) عجوز (إلى جنبها/2) تأمر وتنهى (في منزلي/6) (في بيته/10)
(فقالت: كيف أنت يا أبا أمية/5)؟
قلت: من هذه المرأة يا زينب؟
فقالت: (هذه أمي/6و7) هذه ختنتك فلانة (تعني أمها/5).
(ما علمتُ أن لها أماً حتى قمتُ في مقامي هذا/2).
[قال قومٌ: الأختان مِن قِبَل الرجل، والأصهار مِن قِبَل المرأة. وذهب قوم إلى التداخل والاشتراك، وهذا أصح المذهبين عندي.
وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

محمدٌ النبيٌّ أخي وصهري ... أحسن الناس كلهم إليَّ
والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو زوجته- رضي الله عنها/6).
قلت: (سبحان الله قد والله آن لكِ/10) حياكِ اللهُ بالسلام! (كيف أنتِ يرحمكِ الله/5) (كيف حالكِ/6) ؟
قالت: (أبا أمية، كيف أنتَ وحالُكَ/6و7) ؟
(قلتُ: بخيرٍ أحمدُ الله/7).
قالت العجوز: كيف رأيتَ ([صاحبتك/2][أهلك/2][زوجتك/8])(يا أبا أمية/10)؟
قلت: كخير امرأة (قد أحسنتم الأدب وكَفَيْتُم الرياضة، فبارك الله عليكم /2)
(فحمدتِ العجوزُ الله وأثنتْ عليه ثم/4) (قالت/4)(لي/10):
(إنه ليس من امرأة إلا لها خناقان متى ما يَسترخي أحدهما يحدث خُلقًا غير خلقه /4) (إن المرأة لا تكون في حالٍ أسوأ خُلقًا منها في حالتين/5و6و7).
قلت: (بارك الله عليك، ما الخناقان ؟ /4)
قالت : (إذا حَظِيَتْ عند زوجها، وإذا ولدتْ له/4و10) غلاما .
(إذا مكثت عند زوجها سنة) (اعتادت خلقاً غير خلقها/4)
(وأنتَ/2) فإذا رابك من أهلك شيء (رَيْبٌ/6و7) (فعليك/2)
(فأوجع قرنيها/4) بالسوط (فالسوطَ السوطَ/6)
(فإن الرجال- والله- ما حازتْ إلى بيوتها شيئًا شراً من الوَرْهاء الحمقاء (المدللة /5و7) (فإن شرَّ من أَدْخَلَ الرجلُ الورهاء المُحَمَّقة/3) (يا أبا أمية، إن الرجال لم يُبْتَلَوْا بشيء مِثلَ الخَرِقة الورهاء/10)
(قلت: من أنت يرحمك الله)
قالت: أنا أمها.
قلت: بارك الله فيكِ وفي ابنتك/4) (أشهد أنها ابنتك، قد كفيتنا الرياضة وأحسنتِ الأدب/5و7و10) (ألا زرتينا/4).

(قالت: الشرط الأول؟/4).
(وقال: هذه ابنتك امرأة ابنك هي في يدك/9).
(قالت له العجوز: يا أبا أمية، أخوها بالباب يطلب الإذن عليها، تأذن له؟
قال شريح : إي والله فليدخل.
فلما أن دخل إذا بالفتى الذي كان يخاصم الشيخ.
قال شريح: وإنك لهو؟!   قال الفتى: نعم.
قال شريح: أما إني لو تمنيت الجنة كان أفضل! : تذكر يوم كنت تخاصم الشيخ؟!
قال: أذكره.
قال شريح: فإني تمنيتُ أن تكون أختٌ لك عندي!
قال: يا قاضي، فإن الذي أعطاك مناك قادر أن يعطيكها في الآخرة.
قال شريح: ثم إنه ضمَّ الصبي، وتَحَفَه [أي أهداه] ذهباً.
قال: أرشد الله أمركم، ووفقكم لحظّكم.
ومضى/10).
(قالت: وكانت تأتي في كل سنة توصيني بهذه الوصية، ثم تنصرف/5و6و7) (فذلك حين أقول:
إذا زينب زارها أهلُها... حشدتُ وأكرمتُ زوارَها
وإن هي زارتهم زرتها ... وإن لم يكن لي هوىً دارها /5)
(في عيون الأخبار:قال الهيثم [بن عَدِي]: خرج شريح [الصواب سريج المغني] إلى مكة، فغنى البيتين)

9- قصة لهما

قال شريح: (فأقامتْ عندي عشرين سنة/5) فما غضبتُ عليها (قط/7)يومًا ولا ليلة،إلا يومًا كنتُ لها ظالمًا(فيها/7)(أيضًا/10)!
(قال : وذاك أني/10) كنتُ (إمام قومي، فصليتُ ركعتي الفجر، فأبصرتُ عقربًا في المسجد الذي ركعتُ فيه، وأقام المؤذن، فعجلتُ عن قتلها، فأكفأتُ عليها إناء.

فلما كنتُ عند الباب قلت: يا زينبُ، إياكِ (لا تحرِّكي/7) الإناء حتى أرجع .
فعجلتْ، فحرَّكَتْه، فجئتُ وقد ضربتْها العقربُ (فجئتُ فإذا هي تلوي: فقلتُ : ما لكِ؟
قالت: لسعتني العقربُ.
قال شريح: أولم ننهك ؟!
قالت: هكذا من خالفَ، لي في ذا عظة وعبرة/10).
فلو رأيتني (يا شعبيُّ/7و10) (وأنا أمرس/5) !(رواية: أعرك/7) (أمص/6) (أمعث/10)، أصبعها (بالماء/7و10) و (الملح/10) وأقرأ عليها (بـ/10) فاتحة الكتاب والمعوذتين .
وكان لي (ياشعبي/7) جار (من كِنْدة/5و10) يقال له: ميسرة [رواية:قيس/6] (بن جرير [رواية: عَدِي] من الحي/25) (فكان/7) لا يزال يقرع امرأته .
فذلك حين أقول:
رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم... فشُلَّتْ يَميني يومَ أضربُ زينبا
وزينب شمسٌ والنساءُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم تُبقِ منهن كوكبا/6)
[قال المُعافَى: هذا في بعض ما رويناه، وقد أغار شريح في هذا البيت على قول النابغة في مدح النعمان بن المنذر:
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب/6)
(أأضربُها في غير جُرْمٍ أتتْ... به إليَّ فما عذري إذا كنتُ مذنبا
فتاةٌ تَزين الحلي إن هي زُيِّنَتْ... كأنَّ بفيها المسك خالط محلبا
فلو كنتَ ياشّعْبِيُّ صادفتَ مِثْلَها...لعشتَ زمانًا ناعمَ البال مُخْصبا/5)
(وكانت أقامت معي يا شعبي عشرين سنة لم أغضب عليها، فأفسدتْ عليَّ النساء لم أتزوجْ بعدَها !/3)
(ياشعبيُّ، فوددتُ أني قاسمتها عيشي/7).
(ووددتُ يا شعبيُّ أني تَبِعْتُها، فقد أبغضتُ العيشَ بعدَها/3)

10- نصيحة من شريح !

(قال شريح: فعليك ياشعبيُّ بنساء بني تميم/5و6) (فإنهن النساء/6) !
(قال شريح، وجاءته امرأةٌ برجلٍ تزوجها لها ولدٌ مِن غيره تطلب النفقة، فلما جلس الرجل بين يديه ضحك الرجل.
قال: أضحكُ مِن وصيةٍ أوصاني بها والدي، فخالفتُه إلى غيره.
قال شريح: ما أوصاك به أبوك؟
قال: أوصاني ألا أتزوج بذات الجلاوزة [الجلواز الشرطي].
قال شريح:
فإذا كان في العَشِيِّ فَـرُح إليَّ حتى أوصيك بوصايا تصلها إلى وصية أبيك.
قال: أوصني ها هنا !
قال شريح: إني لم أجلسْ ها هنا للحديث.
فلما كان العَشِيُّ راح إليه، فقال له شريح:
إياك والحَنّانة،وهي المرأة التي كان لها زوجٌ،فهي تَحِنُّ إليه.
إياك والمَنّانة، وهي التي تَمُنُّ على زوجها بمالها.
إياك والأنّانة،وهي التي تئن عند الجماع [من الألم].
إياك والنقَّارة،وهي التي إذا رآها زوجها تكون فوق سطحها.
إياك والرقراقة، وهي الصغيرة التي تفشي سِرّ زوجها.
إياك والرتق والرنوق وهي الرَّسْحاء [النحيفة].
إياك وذات الجلاوزة، وهي التي لها أولادٌ مِن غيره.
(إياك والحدّاقة التي تحدق إلى كل شيء، فتقول: ليته لي!
إياك وذات الدايات التي عندها عجوز تقول: هي دايتي.
إياك والرَّقوب القَطوب العلياء الرقباء) [التي ترقب موت زوجها لترثه) [رواية محاضرات الأدباء]**.**
قال: فأشِرْ عليَّ.
قال: عليك بالزُّرْق، فإن لهن يُمناً/8) [وذِكْر الزرقة منكر، ولي فيه جزء].
وفي غريب الخطابي (3/217) عن ابن الأعرابي اللغوي:

أوصى بعض الأعراب ابن عم له أراد التزويج:
(إياك والحنانة والمنانة والمتسَوِّفة واللَفوت والمثفاة:
فالمُسَوِّفة التي إذا أراد زوجها منها الخلوة تقول: سوف سوف حتى يكسل وينام.
واللفوت التى لها ولد مِن غيرك تلتفت إليه.
والمُثفاة التي دفنت لها ثلاثة أزواج).
ورُوي: (لا تتزوجن خمساً:
الشَّهبرة:العجور الفانية، واللهبرة: القصيرة الدميمة، والنهبرة:الطويلة المهزولة،والهيذرة :كثيرة الهذر ، واللفوت : ذات الولد من غيرك [فتلتفتُ إليه وتدعك].) .

رواه الديلمي ، ولا يصح رفعه ، ومن ذلك ما رواه صاحب الرأي (تحفة العروس للتجاني/ 115 ونقله صاحب كتاب بحار الأنوار231/103 نقلاً عن معاني الأخبار (ص 318) عن حماد عن إبراهيم عن عبد الله أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لزيد بن حارثة رضي الله عنه : تزوَّجْ تستعف، ولا تتزوج خمسة- فذكرها وفي اللغة (لسان العرب، وتاج العروس):

في بعض الوصيات: يابني لا تتخذها حنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا .
وعشبة الدار التي تنبت في غير محل صالح مثل خضراء الدِّمَن المرأة الحسناء في المنبت السوء.

الأسانيد:
روى ابن سعد (6/ 142- 43 1) : أخبرنا عارم بن الفضل : ثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي أن شريحًا قال: رأيت رجالاً يضربون نساءهم ... فشُلَّتْ يميني يومَ أضرب زينبا
وهذا رواه محمد بن خلف الملقب بوكيع في أخبار القضاة (2/ 205) ثنا عبد الله بن عَمرو وإسحاق بن إبراهيم (بن سُنَين الختلي له كتاب الديباج ولم أقف عليه في مخطوطة الناقصة) قالا: ثنا محمد بن حسان السَّمتي ح ورواه في الأغاني (16/36-37): أخبرني الحسن بن علي الخفاف ثنا أحمد بن زهير بن حرب (ابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير) ثنا أبو همام الوليد بن شجاع.
قال محمد والوليد: ثنا (يحيى بن زكريا) ابن أبي زائدة (زاد في الأغاني: وأبو محمد رجل ثقة) عن (في الأغاني: ثنا) مجالد عن الشعبي- اقتصر السمتي على البيت، وساق الوليد القصة بطولها.
2 ح ورواه وكيع (2/205- 206) ثني عُمر بن محمد بن عبد الحكم:ثنا صلت بن مسعود :ثنا سفيان بن موسى الحرمي ح و (2/206- 207) ثنا أبو بكر الرمادي (أحمد بن منصور) :ثنا يزيد بن هارون :ثنا عبد الله بن يونس الثقفي.
كلاهما عن (قال سفيان: ثني) سيار (تصحفت عند الثقفي إلى سنان) أبي الحكم عن الشعبي.
قال وكيع: (لم يذكر الرمادي الشعبي في حديثه) والحديث عندهما بطوله.
ح 3 ورواه الزبير بن بكار في الموفقيات (11): حدثني بعض أصحابناح ورواه صاحب الجليس والأنيس (3/ 301- 305 ومن طريقه في تاريخ دمشق 8/57- 59/ ق) : ثنا أبو النضر العقيلي :ثنا الغِلابي (له التاريخ) ثنا عبد الله بن الضحاك.
كلاهما عن (قال عبد الله: ثنا) الهيثم بن عَدِي (له تصانيف) (زاد في المُوَفَّقيات:عن السَّرِيّ بن إسماعيل) عن الشعبي.
ح 4 ورواه في تاريخ دمشق (15/ 855/ ل محمد بن فضا):

قرأت على نصر الله بن محمد عن نصر بن إبراهيم المقدسي (له تصانيف) :أني عُبيد بن محمد بن يوسف :ثنا عيسى بن عبيد الله المصاحفي :ثنا علي بن جعفر بن محمد الرازي :ثنا الفضل بن مهاجر :ثنا جنيد بن خلف السمرقندي :ثنا إبراهيم بن هانئ النيسابوري ببغداد :ثنا محمد بن فضا الدمشقي :ثنا موسى بن سعيد الراسبي عن الشعبي- القصة بطولها.
فهذه كلها عن الشعبي- رحمه الله تعالى.
وعلقه في العقد الفريد (86/7) عن الهيثم قال: حدثنا مجالد عن الشعبي- به.
ح 2 ورواه في الحلية (113/6) :ثنا سليمان بن أحمد (هو الطبراني وله تصانيف منها عشرة النساء): ثنا أحمد بن مسعود الدمشقي (ترجمته في تاريخ دمشق) :ثنا عَمرو بن أبي سلمة :ثنا الأوزاعي عن عبدة (بن أبي لبابة) أن شريحًا لما دخل على امرأته- فذكر الدعاء والصلاة وعدم دخول أمها عليها سنتين.
وهذا إسناد صحيح لو سلم من الدمشقي ولم أجد من عدله ولا جرحه، ومن الانقطاع بين عبدة وشريح.
ح 3 ورواه القاضي وكيع (207/2) :ثنا أحمد بن منصور:ثنا أبو سلمة (موسى بن إسماعيل) :ثنا أبو عَوَانة: ثنا أبو بَلْج: حدثني رجل من أشجع عن شريح- القصة بطولها.
وهذا إسناد صحيح لو كان الأشجعي ثقة سمع من شريح ولم أقف في مشيخة أبي بلج ولا الرواة عن شريح عند المزي على أشجعي .
قال في الجليس والأنيس (3/ 303): (روينا خبر شريح هذا من غير طريق).
فهذه أسانيد يشدُّ بعضُها بعضًا تَقْوى بها القصة لاشك.
وعزى في عيون الأخبار (3/ 11) إلى شريح دون سند بيتين مشهورين لغيره، وهما:
خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرَتي حين أغضبُ
فإني رأيتُ الحبَّ في الصدر والأذى...إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ
وأما نصيحة شريح بتجنب الحنانة وأمثالها:
فقد رواها القاضي وكيع (2/ 222- 223):
حدثني عُمر بن محمد بن عبد الحكم : ثني أحمد بن محمد النسائي عن عُمر بن حفص الأيلي : ثنا يزيد بن إبراهيم الحوزي أن شريحًا- الحديث ، وهذا إسناد فيه نظر.
وهاك رموز المتون:
ا/ السمتي2/الحَرَمي3/ الثقفي4/ الأشجعي5/ السري6/الغلابي7/ أبو همام8/ الحوزي9/عبدة10/الراسبي.

وممن مدح امرأته شعراً ذاك الجهمي المتأخر المكني بأبي شامة في ذيله على روضتيه (96 1-198) في وفيات سنة (655) سنة مات أبوها، فمدحها بقصيدة:

ومع طولها وركاكتها وسوء خاتمتها وكونها لجهمي فقد أوردتها لما فيها من صفات الزوجة الصالحة مع أنه ترك أعلى صفة في المرأة الصالحة وهي العلم النافع الذي تنصح به زوجها، فلو كان فيها ذلك العلم والصلاح لخلعته لتجهمه، والله المستعان.

1 تزوجتُ مِن أولاد دَنْو عقيلة ... بها من خصال الخير ما حَيَّرَ العَقْلا
2 مُكَمَّلة الأوصاف خُلْقًا وخِلْقة... فأهلاً بها أهلاً وسهلاً بها سَهْلا
3 ولودٌ ودودٌ حَرَّةٌ قرشيةٌ... مُخَدَّرةٌ مع حُسْنها تُكْرِمُ البعلا
4 وباذلةٌ نظيفةٌ ولطيفةٌ ...من أظرف إنسانٍ وأحسنهم شكلا
5 صبورٌ شكورٌ حلوةٌ وفصيحةٌ ... ومُتْقِنةٌ أي تتقنُ القولَ والفِعلا
6 تغارُ مِن أسباب النقائص كلها ... وتحفظ مالَ الزوج والنفسَ والأهلا
7 حَصانٌ رَزانٌ ليس فيها تَكَبُّرٌ ... قنوعٌ فلا شُرْبٌ يدومُ ولا أكلا

8 مطاوعةٌ للبَعلِ يَقْظَى أديبةٌ... موافقةٌ قولاً وفعلاً فما أعلى
9 صغيرةُ سِنٍّ في الكلام كبيرةٌ ... نُهاها يَرى بالُها الحلم والجهلا
10 يُشِرْنَ عليها بالتفرُّجِ مَرَّةً ... فتأبى وقَعرُ البيت في عينها أحلى
11 مُدارِيةٌ للأهل إن عَتِبَتْ وإن ... أحَبَّتْ فلا عَقْدٌ لديها ولا غِلّا
12 رقيقةُ قلبٍ معْ سلامةِ ريقها ... فلستَ ترى شِبْهًا لها في النسا أصلا
13 خدومٌ بقلبٍ في جميع أمورها ... مباشرةٌ للكلِّ ما دَقَّ أو جَلّا
14 ملازمةٌ للشُّغْلِ في البيت دائمًا ...على صغَرٍ مِن سِنّها لا تني فعلا
15 مطرِّزةٌ خيَّاطةٌ ذهبيةٌ ... مُفَصِّلَةٌ خَطَّاطةٌ تُحْكِمُ الغزلا
16 تَنَقَّلُ في الأشغال مِن ذا وذا وذا ... وتفعلُ حتى الكنسَ والطبخَ والغسلا
17 وما ذاك مِن عَدَمٍ فلم يَخْلُ بيتُها ... من امرأةٍ تكفي ما شاءت الفعلا
18 ولكنها اعتادتْ نظافةَ شغلها ... فعافت فعالَ الكلِّ واحتملتْ فعلا
19 خفيفةُ رُوحٍ معْ وقارٍ ذكيةٌ ... فتفهم ما يُلْقَى لديها وما يُتلى
20 وإن نَظَرَتْ ما لم تعرفه صَمَّمَتْ ...عليه إلى أن تحتويه وما اختلا
21 لها هِمَّةٌ عليا تطوِّلُ رُوحها ... على صعب الأشغال تتركه سهلا
22 مُرَبِّيَةٌ حنَّانةٌ ذاتُ رحمةٍ... فكلُّ يتيمٍ واجدٌ عندها فضلا
23 نَفُورٌ إذا ارتابت، أَلوفٌ لأهلها ... فمَهْلاً إذا قِيسَ النساءُ بها مَهلا
24 كذلك كان الحظُّ لما تَعَرَّضَتْ ... له حاصلاً فيها صحيحًا وما اعْتَلّا
25 سريعةُ دَمْعِ العين من رِقَّةٍ ... بها فيا بُعْدَ أن تَلْقَى في النساء لها مِثْلا
26 عديمةُ لفظٍ والتفاتٍ إذا مَشَتْ ... صَمُوتٌ فلا قطعًا تَرُدُّ ولا وصلا
27 ولم ينكشفْ منها بَنانٌ يَحارُ مَن ... مَشى معها في حِفْظها يدها قبلا
28 يَعِزُّ على مَن يَطرقُ البابَ لفظُها ... جوابًا فلا عَقْدٌ تراه ولا حَلَّا
29 يُطيلُ وُقوفًا لا يُجابُ مُحَرَّمٌ ...عليها كلامُ الأجنبيِّ وإن قَلَّا
30 تُمَيِّزُ حتى في الكلامِ فلا ترى ... لها لفظةً إلا وقد وقعت فصلا
31 ولستَ ترى مِن لثغةٍ في كلامها .... فألفاظُها دُرٌّ يُنَضَّدُ أو أغلى
32 إذا ما أبصرتْ ما فيه عيبٌ لها أبتْ... وتفعل ما تَهْوَى طريقتها المثلى
33 وحافظةٌ للغيبِ صالحةٌ أتتْ ... لحقٍّ إذا كانت مناقبها تُتْلَى
34 وقانتةٌ صوَّامةٌ ومُدِلَّةٌ ... بعقل وتدبير تراه العِدا بُخْلا
35 يُقِرُّ لها بالفضل في العقل كلُّ مَن... يراها من النسوان ما تعرفُ الهزلا
36 مِن المُحْصَنات الغافلاتِ فمَن رَمَى ... حصانَتَها يُلْعَنُ وذاك به أوْلى
37 تَجَمَّعَ فيها عِفَّةٌ ونزاهةٌ... وعِزَّةُ نفسٍ فهي تُكْلا ولا تُقْلَى
38 وأحسنُ مِن ذا كلِّه أن هذه ... الخصائلَ طَبْعٌ لم تُكْلَفْ لها حَمْلا
39 تَقِلُّ نظيرًا في نساء زماننا ... فلا تعذلوني في محبتها عذلا
40 بَنَيْتُ بها بنتًا لأربع عشرةٍ ... وهذه الخصالُ الغُرُّ في ذاتها تَحْلا

41 وأوصافُها في كلِّ عامٍ تزايدت ... ولم تتغيرْ قطُّ سيرتُها الأوْلى
42 وحَسْبُكَ مِن سنينَ لها انقضتْ ... معي لم أقل: أفٍّ لديها ولا كَلّا
43 لقد جَمَّلَتْ لا غَيَّرَاللهُ ما بها ...عشيرتَها والأمرُ مِن بَعدِ ذا أعلى
44 فلله حمدٌ دائمٌ ونُسائِلُهْ... مزيدَ الذي أسْدَى وتتميم ما أوْلى
45 ولكنَّ فيها نفرةً وتغيظًا ... وسرعة غيظ عند لفظٍ لها يعلى
46 فوالله ما أدري أذلك مُسْقِطٌ ... مناقبَها عند الجحود لها أم لا؟!

ولي قصيدة طويلةٌ خيرٌ منها في هذا المعنى فانظرها في ديواني إن شاء الله تعالى .

ومما يَقْرُبُ مِن هذه النصيحة:

أن رجلاً حلف ألا يتزوج حتى يستشير مائة رجل، فاستشار تسعة وتسعين،وقال له الأخير:

صاحب الواحدة

إذا حاضت حاض معها، وإذا مرضت مرض معها، وإن غابت غاب معها.

وصاحب اثنتين قاض.

وصاحب الثلاث مَلِكٌ، وصاحب الأربع مسافر.

وفي رواية: النساء ثلاث:

واحدة لك.

فهي البكر لك ولا عليك، شابة طرية لم تَمَسَّ الرجال، إن رأتْ خيرًا حَمِدَتْ،و إن رأت شَرًّا قالت: الرجالُ على مِثْلِ هذا.

وواحدة لا لك ولا عليك

فهي الحَنَّانة: الثيب التي قد كان لها زوج:

إن رأتْ خيرًا قالت: هكذا يجب !

وإن رأت شَرًّا حَنَّتْ إلى زوجها الأول !

وواحدة عليك ولا لك

فهي المَنَّانة: الثيب التي لها ولد من غيرك تسلخ الرجل وتجمع لولدها !

رواه المعافى في الجليس (4/179-180) وصاحب عقلاء المجانين (0 12) من طريقين
وفي العقد الفريد (7/94):

استشار رجلٌ في الزواج أولَ من يطلع عليه فكان هبنقة العبسي، فقال له:
البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تَقْرَبْها !
لكن
إن احتسب في ذات الولد عفتها ومعونتها على ولدها، وفي الولد حُسْن تربيته فلعل له الأجر الذي ذكر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الساعي على الأرملة واليتيم كالصائم القائم.
وباب صفات النساء والرجال الممدوح منها والمذموم طويل، ولعلّي أجمعه فى موضع آخر- يَسَّرَه الله تعالى.

الفصل الحادي والعشرون

محمد بن سيرين- رحمه الله تعالى

تزوجتُ امرأة من بني تميم
فلما كانتْ ليلة البناء دخلتُ عليها، فإذا هي جالسة على باب خِدْرها، فأهْوَيْتُ إليها بيدي:
فقالت: مَهْلاً، على رِسْلك!
فحَمِدَتِ الله، وأثنتْ عليه، ثم قالت:
إن الله- عز وجل- يضع العلمَ حيث يشاء.
وإنه بلغني أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلي ركعتين، وتصلي امرأته خلفه.
فإذا فرغ قال:
اللهم باركْ لي في أهلي، وباركْ لأهلي فيَّ.
اللهم ارزقني ألفتهم ومودتهم، وارزقهم ألفتي، ومودتي.
وحَبِّبْ بعضَنا إلى بعض.
قال: فقمتُ، ففعلتُ ذلك، فلما فرغتُ أهْوَيْتُ إليها، فقالت:
مَهْلاً، على رِسْلك!
إن الرجل يؤمر إذا أراد غشيان أهله أن يدعو قبل ذلك.

فيقول: اللهم جَنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّبه ما رزقتَنا، ولا تجعلْ له فينا نصيبا.
قال: ففعلتُ ذلك، فلم أزل أعرف بعد ذلك الألفة واللطف والخير.
ذكره عبد الملك بن حبيب في كتابه الغاية والنهاية (ص158ح 38) قال: حدثني بعض أشياخنا أن محمد بن سيرين قال- فذكره.
وهي تشبه قصة شريح، فما أدري أهما واحدٌ أم لا.

الفصل الثاني والعشرون

بنت سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى

1/ تربيتها صغيرة

(قال عمران بن محمد بن سعيد بن المسيب: حدثتني غُنَيْمة جارية سعيد قالت:
كان سعيد لا يأذن لابنته في اللعب ببنات العاج.
وكان يُرَخِّص لها في الكُبْر- يعني الطبل/4).
كذا، والصواب عدم الترخيص في أي تماثيل من عاج أو غيره لتحريم الصور
وعدم الترخيص في الطبل لصغيرة ولا لكبيرة إنما هو الدف للبنات الصغيرات فقط وفي الأعياد والأعراس فقط .

2/ عنايتها بأبيها

(قال أسلم المخزومي: صَنَعَت ابنة سعيد بن المسيب طعامًا كثيرًا حين حُبِسَ، فبعثتْ به إليه، فلما جاء الطعامُ دعاني سعيد، فقال:اذهب إلى ابنتي، فقل لها: لا تعودي لمِثْلِ هذا أبدًا، فهذه حاجة هشام بن إسماعيل [يعني والي المدينة] يريد أن يذهب مالي فأحتاج إلى ما في أيديهم، وأنا لا أدري ما أُحْبَسُ، فانظري إلى القوت الذي كنتُ آكلُ في بيتي فابعثي إلي به.
فكانت تبعث إليه بذلك، وكان يصوم الدهر/5)
قال أبو عبد الله : يعني إلا العيدين وأيام التشريق .

3/ خِطبتها لابن عبد الملك:

(قال عبد الله بن سُليمان [ابن أبي داود]: كانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان [أمير المؤمنين] لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوِّجه، فلم يزلْ عبد الملك يحتال على سعيد: حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصبَّ عليه جَرَّة ماء، وألبسه جبة صوف/ 1) أي فعل ذلك به أميره على المدينة .

4/ جليس سعيد وموت امرأته:

(كان لسعيد بن المسيب جليسٌ يقال له: ابن أبي وداعة/3) (شابٌّ من قريش/2) (فأبطأ عليه أيامًا/3).

قال ابن أبي وداعة:

كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أيامًا، (قال يحيى بن سعيد: فسأل عنه، فقيل له: إن سعيد بن المسيب سأل عنك، فأتاه، فسلَّم عليه، ثم جلس/3)

قال: فلما جئتُه:

قال: أين كنتَ (كانت غَيْبَتُك/3) (يا أبا محمد/3)؟

قلت: (إن أهلي كانت مريضة، فمَرَّضْتُها ثم/3) تُوُفِّيَتْ أهلي، فاشتغلتُ (فدفنتُها/3).

فقال سعيد: (يا عبد الله/3) أ(فـ/3) لا ([أخبرتَنا] [أعلمتنا]) (بمرضها، فنعودها، أو بموتها/3) (فنشهد جنازتها/3) ؟!

(ثم عَزَّاه عنها، ودعا له ولها/3).

5/ الحث على الزواج، وعرض ابنته.

قال ابن أبي وداعة: ثم أردتُ أن أقوم:

فقال سعيد: هل استحدثتَ امرأة؟! (تَزَوَّجْ يا عبدَ الله ولا تلقَ الله وأنت عَزَبٌ/3).

فقلت: يرحمك الله، ومن يزوِّجني (فوالله/3) ما أملك إلا درهمين أو ثلاثة (غير أربعة دراهم/3)؟

فقال سعيد: (سبحان الله، أو ليس في أربعة دراهم ما يستعفُّ به الرجل المسلم؟!3/).
(يا عبدَ الله/ 3) أنا (أزوِّجك ابنتي إن رضيتَ3/)!
(فسكتُّ استحياءً منه وإعظاماً لمكانه3/).
(فقال: ما لكَ سكتَّ، سخطتَ ما عرضنا عليك؟! 3/).
فقلت: يرحمك الله، وأين المذهب عنك، لأعلم أنك لو شئت زوَّجْتَها بأربعة آلاف وأربعة آلاف3/) أوَ تفعلُ ؟! [يعني تزوجنيها بأربعة دراهم؟].
قال: نعم.
6/ تزويجه في الحال دون قصد إلى إيقاع ذلك في المسجد أو غيره:
(قال سعيد: فقم يا عبد الله، فادعُ هؤلاء النفرَ من الأنصار. فقمتُ، فدعوتُ له حلقة من الأنصار3/)
ثم حمد الله تعالى، وصلى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وزوَّجني على درهمين- أو قال:ثلاثة (فاستشهدهم على النكاح بأربعة دراهم3/).
(ثم انقلبنا3/) [أي رجعنا إلى مجالسنا]، فقمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرتُ إلى منزلي، وجعلت أتفكر: ممن آخذ، وممن أستدين؟!
7/ تعجيل الزفاف:
(قال عمران: فلما أمْسَتْ قال لها [أبوها]،: شُدّي عليك ثيابك واتبعيني !
فشَدَّتْ عليها ثيابها، ثم قال لها: صلي ركعتين، فصلت ركعتين وصلى هو ركعتين/2).
قال : فصليتُ المغرب (فلما انقلبنا صلينا العشاء الآخرة3/)
وانصرفتُ إلى منزلي (سِرْتُ إليه3/) واسترحتُ، وكنت وحدي صائمًا، فقدَّمْتُ عَشائي أفطر: كان خبزاً وزيتًا،

فإذا بـ (رجلٍ/3) آتٍ يقرعُ (الباب/3):
فقلت: من هذا؟ قال: سعيد !
فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد (عرفته بالمدينة/3) إلا سعيد بن المسيب، (وذلك /3) فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد (قطُّ ما رُؤي خارجًا من داره إلا إلى المسجد أو إلى جنازة/3).
(فقلت: مَن سعيد؟! قال: سعيد بن المسيب!
فارتعدتْ فرائصي، فقلت: لعلَّ الشيخ ندم، فجاء يستقيلني/3) فقمتُ، فخرجتُ (إليه أجرُّ رِجْلي، وفتحتُ الباب/3) فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له: (فسلَّمَ عليَّ/3).
فقلت: يا أبا محمد، ألا أرسلتَ إليَّ فآتيَك!
قال: لا ، أنت أحق أن تؤتى.
قلت: فما تأمرُ ؟
قال: إنك كنتَ رجلاً عَزَبًا، فتزوجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلة وحدك، وهذه امرأتك!
فاذا هي قائمة من خلفه في طوله.
(فإذا أنا بشابة/3) (ملتفة بساج، ودواب عليها متاع وخادم بيضاء/3).
(فقال: يا عبد الله، هذه زوجتك .
فقلت مستحييًا منه: يرحمك الله، كنت أحب أن يتأخر ذلك أيامًا !
فقال لي: لِمَ، أولستَ أخبرتني أن عندك أربعة دراهم؟!
قلت: هو كما ذكرتُ لك، ولكني كنت أحبُّ أن يتأخر ذلك!
قال: إنها إذًا عليك لغير ميمونة! ما كنتُ لأريد أن يسألني الله عن عزوبتك الليلة وعندي لك أهل! هذه زوجتك، وهذا متاعكم، وهذه خادمٌ تخدمكم معها ألف درهم نفقة لكم، فخذها يا عبد الله بأمانة الله، فوالله إنك لتأخذها صوامة عارفة

بكتاب الله وسنة بكتاب الله وسنة رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاتق الله فيها ولا يمنعك مكانها مني إن رأيتَ منها ما تكره أن تُحْسِنَ أدبها /3).
ثم أخذها بيدها(فوضع يدها في يد زوجها،وقال:انطلقْ بها/2)
(ثم أسلمها إليَّ ومضى/3) فدفعها بالباب، و رَدَّ الباب،
فسقطت المرأة من الحياء!
8/ تهيئة العروس.
فاستوثقتُ من إغلاق الباب، ثم قَدَّمْتُها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز، فوضعتُها في ظل السراج لكيلا تراه !
ثم صعدتُ إلى السطح، فرميتُ الجيران، فجاءوني:
فقالوا: ما شأنك؟!
قلت: ويحكم! زَوَّجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة!
فقالوا: سعيد بن المسيب زَوَّجك؟!
قلت: نعم، وها هي في الدار!
فنزلوا هم إليها، وبلغ أمي فجاءتْ (فلما رأتها أمه:
قالت: من هذه؟
قال: امرأتي ابنة سعيد بن المسيب دفعها إليَّ/2).
قالت: (فإن/2) وجهي من وجهك حرام [تعني أنها تهجره ولا تكلمه]، إن مسستَها (أفضيتَ إليها/2) قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام (حتى أصنع بها صالح ما نصنع بنساء قريش/2).
(قال عمران: فدفعها إلى أمه، فأصلحت إليها/2).
فأقمتُ ثلاثة أيام، ثم دخلتُ بها.
9/ مدحه إياها ، وأيامهما معا.
فإذا هي مِن أجمل الناس.
وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ρ، وأعرفهم بحق الزوج .

(قالت: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أنتم أمراءكم: أصلحك الله عافاك الله/6).

(فوالله ما رأيتُ امرأة أقرأ لكتاب الله تعالى، ولا أعرف بسنة بكتاب الله وسنة رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أخوف لله- عز وجل [منها].

لقد كانت المسألة المعضلة تُعيي الفقهاء، فأسألها عنها، فأجدُ عندها منها علما/3).

(فلما أصبح أخذ رداءه:

قالت: إلى أين؟! قال: إلى مجلس سعيد أتعلم.

قالت: اجلس أعلمك علم سعيد/7)!

(فمكثت شهرًا: لا يأتيني سعيد، ولا آتيه!

10/ مجيئه حلقة سعيد.

فلما كان قُرْبَ الشهر أتيتُ سعيداً وهو في حلقته، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، ولم يكلمني حتى تقوَّض أهلُ المجلس، فلما لم يبقَ غيري:

قال: ما حالُ ذلك الإنسان؟!

قلت: خيراً يا أبا محمد، على ما يحب الصديق ويكره العدو!

قال: إن رابك شيء فالعصا !

فانصرفتُ إلى منزلي، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم.

11/ مجيء أبيها وأمها إليها.

(قال سعيد: ما أظلني بيتٌ بالمدينة بعد منزلي إلا أني آتي (بيت) ابنة لي، فأسلم عليها أحياناً (وأغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح/2).

(قال ابن أبي وداعة: فأقمت معها ما شاء الله، ثم رزقني الله منها حملاً، وكان سعيد كثيراً ما يسألني عنها:

فيقول: ما فعلت تلك الإنسانة؟!

فأقول: بخير .

فيقول: يا عبدَ الله، إن خفَّ عليك أن تُزيرناها [تجعلها تزورنا] فافعلْ !
فلما حضر وِلادها خرجتُ لأنظر فيما ينظرُ الرجلُ فِيه لأهله، ورجعتُ إلى الدار فإذا بها شخصٌ قائمٌ ما رأيتُه قطُّ:
فنادتني مِن ورائي: يا عبدَ الله، كيف رأيتَ أهلك؟
قلت: جزاكم الله من أهل بيت خيراً، فقد ربيتم فأحسنتم، وأدَّبتم فأحكمتم.
فقالت: يا عبدَ الله، لا يمنعك مكانها مني أن ترى بعض ما تكره فتُحْسِن أدبها، لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة رَيْحانة وليست بقهرمانة، ولا تكثر التبسم فى وجهها فتستخفَّ بك.
يا عبدَ الله، بارك الله لكما في المولود، وجعله مباركاً خائفاً لله، وقاه الله، وجعله شبيهاً بجده سعيد، فوالله إني تزوجته منذ أربعين سنة ما رأيته عصى الله قطُّ معصية.
وهذه نفقة بعث بها إليكم.
قال: فأخذتُها منها، فإذا هى خمسة دنانير .
ثم خَرَجَتْ، فلم أر لها وجهاً ثمانى عشرة سنة حتى قضى الله عليها بالموت(3/).

الرموز كما تأتي، و [] مني بياناً وتفسيراً.
الأسانيد برموزها:
أ/ برواية ابن أبي وداعة
رواه صاحب المنتظم (6/ 325- 327/ سنة 94) من طريق أبي نعيم في الحلية (2/167- 168/ سعيد): ثنا عمر بن أحمد بن عثمان (ابن شاهين صاحب التصانيف) ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث (هو ابن أبى داود، وله تصانيف،
وعلقه عنه فى السير 4/233- 234 وإنما نقله من الحلية، وكذلك صنع الغزالي في إحيائه ولم يستطع شارحه الزَّبيدى تخريجه (7/348-349)! ولا فهم أن عبد الله هذا هو ابن أبي داود!) حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ثنا عمي عبد الله بن وهب (له الجامع) عن عطاف بن خالد عن (عبد الرحمن) بن حرملة عن ابن أبي وداعة- به.
قال عبد الله: وابن أبي وداعة هذا هو كثير بن أبي وداعة.
ووقع في نشرة المنتظم (دراسة وتحقيق محمد ومصطفى ابني عبد القادر عطا) قالا في الحاشية: (فى الأصل: عطاف بن خالد عن ابن حرملة- كذا وهو خطأ، وما أوردناه عن ت: عن عطاء وابن خالد) يعنيان أنه الصواب! فجمعا جهالة مركبة بمخالفة الأصل وعلى غير أصل ولا تحقيق ولا رجوع للحلية وهو يروي من طريقها، ولا الرجوع إلى كتب الرجال- فهذا مثال للتحقيق والدراسة!
وقال صاحب السير (4/233- 234):
(تفرد بالحكاية أحمد، وعلى ضعفه قد احتج به مسلم)!

فهاتان جهالتان: فالتفرد لم يتفرد كما سترى، واحتجاج مسلم به وضعفه لهما قصص مشهورة فى ترجمته، فلا ينبغي إطلاق الضعف والإنكار على مسلم هكذا!
وهذا إسناد جيد: فابن أبي داود إمامٌ يَنتقي، وأحمد له خصوصية من عمه وإنما أنكروا عليه أشياء رجع عنها وليس هذا منها، ولعبد الرحمن خصوصية بالرواية عن سعيد بن المسيب.
وكان فى المتن كلمة (قال) قبل هذه الكلمات: (ثم أردت/ فقمت/ فأفكرت/قلت: فما تأمر/ فنزلوا/ فأقمت/ فمكثت) فحذفتها لسياقة المتن.
2/ رواية عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي.
رواه ابن سعد (5/138 و131): أخبرنا عَمرو بن عاصم أنا سلام بن مسكين
أنا عمران بن عبد الله الخزاعي قال: زَوَّج سعيد بن المسيب- فذكر قصة الزفاف، وقول سعيد: (ما أظلني بيت..) فذكر مجيئه لابنته.
وهذا إسناد حسن صحيح، وقد روى به وبغيره عن سلام عن عمران كثيراً من حال سعيد.
وذكر في إحيائه (7/ 430/ الإتحاف) رواية مجيئه بلفظ أطول من هذا دون عزوٍ كعادته ولا عزاها شارحه!
3/ رواية يحيى بن سعيد الأنصاري.
ذكره التجاني في تحفة العروس (235) قال: (يرويه مالك عن يحيى بن سعيد:قال: كان لسعيدٍ جليسٌ- فذكر القصة بطولها)، فالله أعلم بها، فإني لم أقف على هذه الرواية فى مظانها من المدونة والمستخرجة وليست هي في الموطأ.
4/ رواية في تربيته ابنته
عن ابن سعد (5/134): أخبرنا موسى بن إسماعيل : ثنا عمران بن محمد بن سعيد بن المسيب قال: حدثتني غنيمة جارية سعيد قالت: (كان سعيد لا يأذن لابنته فى اللعب ببنات العاج، وكان يرخص لها في الكبر- يعنى الطبل) وبنات العاج أي التماثيل المصنوعة من العاج لكونها تماثيل ولكونها من العاج، وأما الطبل فهذا غريب فإن الرخصة في الدف وفي بعضى الأوقات كالعرس والعيد، ولا رخصة في الطبل.
٥/ رواية في رفقها به يوم حبسه عند ابن سعد (5/127): أخبرنا محمد بن عُمر (الواقدي له تصانيف) : ثني أسلم أبو أمية مولى بنى مخزوم- وكان ثقة- قال: صنعت ابنة سعيد طعاماً- فساقه.
7/ رواية في خلقها مع زوجها- إن صَحَّتْ.
فقد روى ابن أبي الدنيا في العيال (546) : ثنا إبراهيم بن سعيد : ثنا موسى بن أيوب : ثنا ضمرة (بن ربيعة) عن عثمان بن عطاء (الخراساني) عن أبيه قال:
قالت ابنة سعيد بن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أنتم أمراءكم .
رواه في الحلية (5/198) ثنا محمد بن علي : ثنا عبد الله بن أبان بن شداد : ثنا بكير بن نصر ثنا ضمرة- به قال: قالت امرأة سعيد بن المسيب:
ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم: أصلحك الله عافاك الله.
والأول إسناده صحيح إلى ضمرة، والثانى فيه من من لم أعرفه وبكير بن نصر إما مصحفة عن (بكر بن مضر) أو تستفاد فى هذا الباب.
7/ رواية في علمها بأبيها
ذكر ابن الحاج المخبط فى مدخله أنها لما أصبح زوجها أخذ رداءه:
قالت: إلى أين؟! قال: إلى مجلس سعيد أتعلم. قالت: اجلس أعلمك علم سعيد !
1 /المتن
ا/ اسم الزوج، وَرَدَ على وجوه:
أ- شاب من قريش- كذا قال عمران، وقد أصاب في الصفتين.
ب- ابن أخي سعيد- كذا في رواية يسار- وتأتى، وفي إسنادها ضعف، ولعله ابن أخيه لأمه أو من الرضاع- إن صح- جمعاً للروايات.
وذكر الزبير بن بكار (الإصابة 8/ 239): (أم سعيد بنت صخر السلمية زوج المسيب بن حزن وأم أولاده سعيد والسائب وعبد الرحمن).
ج- ابن أبي وداعة- كذا في رواية ابن حرملة عنه، وهو الصواب، وأبو وداعة الحارث بن صُبيرة بن سعيد السهمي القرشي المكي، ومن أولاده المطلب أسلم يوم الفتح كذلك- وأبو سفيان ذكر الزبير بن بكار أن اسمه عبد الله- وأمهما أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابنة عم رسول الله p. وكلهم: المطلب وعبد الله وأبوهما- كلهم له صحبة من رسول اللهp.
فهذا خلاصة ما في كتاب مصعب (406 و 407)، ومعجم المرزباني (24) والمنتظم (6/ 325- 326)، والإصابة في مواضع، والتهذيب.
ولم أقف في ترجمة أيهم على مجالسته لسعيد بن المسيب.
واختلفوا في تسميته على أني لم أقف في تراجم أحد من آل أبى وداعة على هذه القصة مع أهميتها :

كثير بن المطلب بن أبي وداعة:
قاله ابن أبي داود
ولا أظنه يصح فإن كثيراً مكي، والرجل المذكور مدني يجالس سعيدًا ويعيش هو وأمه بالمدينة .
ولكثير من الأولاد: كثير وسعيد وعبد الله وجعفر.
وكنيته أبو سعيد ، ولم أقف إلا على تسمية أم ابنه: كثير بن كثير وهي عائشة بنت عمرو بن أبي عقرب.
عبد الله بن أبي وداعة:
كذا في الرواية المذكورة عن مالك عن يحى بن سعيد، وفيها تكنيته بأبي محمد.
ولا أظنه الكبير ابن أبي وداعة بل حفيده: عبد الله بن كثير بن المطلب.

2/ ترك تزويج أهل الدنيا، فمِن ذلك:

أ- ما ذُكِر عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- في تركه تزويج ابنته الدرداء من ابن عبد الملك بن مروان

ب- ترك هانئ بن كلثوم تزويج ابنته من أيوب بن سليمان بن عبد الملك- وهو ولى عهد، وزوجها من ابن عم له فقال سليمان : أما لو أراد الدنيا لزوجنا [ابن أبي الدنيا في العيال 126]

3/ المهر
فروى صاحب الحلية (167/2ومن طريقه فى السير 4/ 233) : ثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل (في الزهد -) : ثنا حسن بن عبد العزيز قال: كتب إلينا ضمرة بن ربيعة عن إبراهيم بن عبد الله الكناني أن سعيد بن المسيب زَوَّج ابنته بدرهمين- وهذا إسناد جيد.
ح وفي الورع للمَرُّوذي عن أحمد بن حنبل قال: زَوَّج سعيد- فذكره.
ح وروى ابن سعد (5/ 138) : أنا سعيد بن منصور (في سننه/ النكاح 620) : أنا مسلم بن خالد عن يسار بن عبد الرحمن (وعلقه عنه في السير 4/ 233) عن سعيد بن المسيب أنه زوَّج ابنة له على درهمين من ابن أخيه.
وإسناده فيه نظر من جهة يسار، وهو محتمل على نظر سبق بيانه في قوله (ابن أخيه).

وقد سبق في (أم سُليم- رضى الله عنها) صداقها الإسلام بلا مال .

وقد صحَّ واشْتُهر قول رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل: زَوَّجتكها بما معك من القرآن.

وأما أن إبراهيم النخعي- رحمه الله كان يحب أن يكون الصداق أربعين درهمًا، وقال: كانوا يكرهون أن يكون مهور الحرائر كأجور البغايا: الدرهم والدرهمين .
[سعيد بن منصور في النكاح 605و606]

فهذا عند السعة، ولكن عند قلة ذات اليد فكما رأيتَ.

4/ اسم ابنة سعيد بن المسيب.
لم أقف على إسمها ولا على إسم أمها، ولا أعلم لسعيد من الولد غيرها وغير ابنه محمد- وبه يكنى سعيد، ولمحمد من الولد طلحة وعمران، وعمران يروي عن أبيه عن جده.

5/ الرجل يزفُّ ابنته إلى زوجها.

فَعَله سعيد بن جبير- رحمه الله تعالى [رواه ابن أبي شيبة (406/4)]

وأرسل الفرافصة أبو نائلة معها أخاها ليزفها إلى عثمان- رضى الله عنه.

وذكر ابن الحاج المخبط في مدخله أن بنت سعيد لما أصبح زوجها أخذ رداءه:
فقالت: إلى أين؟ قال: إلى مجلس سعيد أتعلم .

قالت: أجلسْ أعلمْك علم سعيد!

إن صحَّ ففيه لطيفة تبين العلم الواسع للبنت الصالحة بأبيها- رحمهما الله تعالى.

ولكنَّ طلبَ العلم بعلوٍّ مع إمكانه هو السنة.

6/ قول سعيد رحمه الله : لا يبيتُ عَزباً

في الحلية (166/2) عن الصواف عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة (في تاريخه) عن أبيه (له التاريخ) ح وابن سعد (136/5) قالا: ثنا عفان (زاد ابن سعد: وعارم ابن الفضل) :ثنا حماد بن سلمة.
2 ح ومن طريق السرَّاج في تاريخه (-) :ثنا هارون بن عبد الله ح ورواه في شُعَب الإيمان (10 ح 2069) من طريق أبى شعيب الحَرَّاني (له الفوائد) :ثنا علي بن المديني
(له تصانيف) ح وأيضًا (10ح 2070) عن الحاكم (له التاريخ) من طريق علي بن الحَسن- كلهم (هارون وسفيان) عن سفيان بن عيينة.
كلاهما (حماد و سفيان) عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب (وفي رواية ابن المديني سمع سفيان سمع عليًا سمع سعيداً) قال:

ما أيسَ الشيطانُ مِن شيء إلا أتاه من قِبَلِ النساء

وأخبرنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنةً وقد ذهبت إحدى عينيه ويعشو بالأخرى:

قد بلغتُ ثمانين سنة، وما شيءٌ أخوفُ عندي من النساء.

ح ورواه ابن سعد (2/ 136) : أنا عَمرو بن عاصم : ثنا سلَّام بن مسكين (علقه عنه في السير241/4) : ثنا عمران بن عبد الله قال : قال سعيد بن المسيب:

ما خفتُ على نفسي شيئًا مخافة النساء .

قال: فقال: يا أبا محمد، إن مِثلك لا يريد النساء، ولا تريده النساء !

قال: هو ما أقول لكم.

قال: وكان شيخا كبيراً أعمش.

7/ حاله مع بني مروان

في الحلية (166/1-167) من طريق عبد الله بن أحمد في الزهد (-) ح وابن سعد (5/ 128)- بسنديهما:

دُعي سعيد إلى نيف وثلاثين ألفا ليأخذها، فقال:

لا حاجة لي فيها ولا بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم.

ومن طريق السرَّاج في تاريخه ح وابن سعد (128/5) بسنديهما عنه:

ما أصلي لله عز وجل في صلاة إلا دعوتُ عليهم.

ومن طريقه أيضًا عن ابن حرملة قال:

ما سمعت سعيداً سبَّ أحداً من الأئمة قط.

قال أبو عبد الله : الأئمة يعني الأمراء .

8/ تأخره عن ابنته شهرا لكيلا يثقل على زوجها .

وهذا الشهر ليس بشهر العسل! فهذه بدعة لا أصل لها.

الفصل الثالث والعشرون

ليلةٌ خائفةٍ

ذُكرَ عن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم خرجوا يمشون يرتادون لأهليهم [أي يطلبون المرعى]

إذْ أصابهم مطرٌ حتى أواهم المبيت، فدخلوا غاراً، فانحدرتْ صخرة من الجبل مما يهبط من خشية الله، فانطبق عليهم حتى سدَّ فم الغار حتى ما يَرَوْن منه خصاصة.

فقال بعضُهم لبعض: عفا الأثر، ووقع الحَجَر، ولا يعلم بمكانكم إلا الله عز وجل، إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق: أن تدعوا الله بصالح أعمالكم:انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فليدعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، لعلَّ الله يفرِّجُ عنكم برحمته [فـ] يرحمنا.

فقال واحدٌ منهم: اللهم إن كنتَ تعلم أنه كانت لى ابنة عمٍّ حسناء جملاء من أحب الناس إليَّ كأشد ما يحب الرجال النساء، وإنى راودتها عن نفسها لحُسْنها وجمالها فامتنعت مني، حتى ألَمَّتْ بها سنةـ أي قحط، فجاءتني ثلاث مرات تطلب مني شيئًا من المعروف، فأبيتُ عليها إلا أن تمكنني مِن نفسها، فناشدتنى بالله، فأبيتُ عليها والله ما هو دون نفسك!، فقالت: لا ينال ذلك منها إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتُها [أي المائة] حتى قدرتُ عليها، فأتيتُها بها،

فأعطيتها عشرين ومائة دينار فدفعتُها إليها على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففعلتْ، فأمكنتني مِن نفسها.
حتى إذا قدرتُ عليها وهي أحبُّ الناس إليَّ وكشفتُها وجلستُ منها مجلس الرجل من المرأة بين رِجْلَيْها بكت وارتعدت من تحتي:
فقلت: مايُبكيكِ ؟
فقالت: فعلتُ هذا من الحاجة، أُذَكِّرُك الله أن تركب مني ما حرَّم الله عليك، اتق الله إنه لا يحلُّ لك أن تفض خاتمي إلا بحقه، وإني أخاف الله رب العالمين.
فأُذكرتُ النار، فقلت: خفتيه في الشدة، ولم أخفه فى الرجاء أنا أحق أن أخاف ربى .
فقمت عنها وهي أحب الناس إليَّ، فقلت: انطلقي ولك المائة، وتركتُ الذهب الذى أعطيتها : المائة الدينار [لها] الحق عليَّ بما كشفتُها.
اللهم إن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك مِن خشيتك ابتغاءَ وجهك رجاءَ رحمتك ومخافةَ عذابك، ففَرِّجْ عنا.
فقال الحجر: قِضْ، فانفرجت منه فرجة عظيمة لا يستطيعون الخروج منها،ففرَّج الله عنهم [وذكر الثاني برَّه بوالديه، والثالث أداءه للأمانة].
الحديث أصله فى الصحيحين (شرح البخارى 511-505/6 والطوال للطبرانى/41 والدعاء له/201-187). وما بين [] فهو لي.
وفي قصة الكِفْل عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو هذه القصة ، وفيها :
فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرْعَدتْ وبكتْ.
فقال: ما يُبكيك ؟ [هل] أكْرَهْتُكِ ؟!!

قالت: لا ولكن هذا عملٌ لم أعمله قطُّ ، وإنما حملني عليه الحاجة.
قال: أفتفعلين هذا ولم تفعليه قط!؟
ثم نزل، فقال: اذهبي والدنانير لك.
ثم قال: والله لا يعصي الله الكفلُ أبداً.
فمات من ليلته، فأصبح مكتوباًعلى بابه: قد غفر الله للكفل.

رواه أحمد والترمذي ، وانظر شعب الإيمان12/417-419 واعتلال القلوب104ومعجم الإسماعيلي ص365 وابن الأعرابي 460/ ل) .

ويشبهه قصة لحَّام أو قصَّاب بني إسرائيل:
كان لا يتورع عن شيء، فجهد أهلُ بيت، فأرسلوا جارية منهم تسأله، فقال: لا أو تمكنيني من نفسك، فلما اشتد الجهد قالت: دونَك.
فلا خلا بها جعلت تنتفض كما تنتفض السَّعْفَةُ إذا خرجتْ من الماء.
قال لها: ما لكِ؟
قالت: أخاف الله، هذا شيءٌ لم أصنعه قطُّ .
قال: فأنت تخافين الله ولم تصنعيه، وأفعله أنا ! أعاهد الله أني لا أرجع في شيء مما كنتُ فيه.
قال: فأوحى الله، عز وجل، إلى نبي بني إسرائيل: أن كتاب لحام بني إسرائيل أصبح في كتاب أهل الجنة، فأتاه النبي، عليه السلام، فقال: يا لحام، أما علمتَ بأن كتابك أصبح في كتاب أهل الجنة؟

رواه في ذم الهوى (ص 249- 250) من طريق السراج فى مصارع العشاق (ص253-254) بسنده عن ابن المرزبان (-) من حديث أبى عِمْران الجَوْني.

قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّه، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:
... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العالمين .
فهذه قصة نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم:

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم- صلى الله على نبينا وعليهم وسلم:

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)[يوسف/23-26]

(فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [يوسف/31-33]

وكان شابٌّ في بنى إسرائيل لم يُرَ شابٌّ قطُّ أحسنَ منه، وكان يبيع القِفاف، فبينا هو ذاتَ يوم يطوف بقِفافه خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل، فلما رأتْه رجعتْ مبادرة فذكرتْه لابنة الملك، فقالت لها: أدخليه نشترِ منه! فدخل، فأغلقتِ الجارية الباب دونه باباً بعد باب، ثم استقبلتْه بنتُ الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فدعته إلى نفسها فامتنع. فقالت له : إنك إن لم تطاوعني أخبرتُ الملك أنك إنما دخلتَ عليَّ تكابرنى عن نفسي!

فأبى ووعظها، فأبت.

فقال: ضعوا لي وَضوءًا !

فوضعوه له في أعلى القصر، فلما صار في أعلاه قال:

اللهم إنى دُعيثُ إلى معصيتك، فإني أختار أن أصبر نفسي فألقيها من هذا القصر ولا أركب المعصية.
ثم قال: بسم الله، فأهبط الله إليه مَلكاً فأخذ بضَبْعَيْه فوقع قائماً.
فلما صار في الأرض قال: اللهم إنك إن شئتَ رزقتني رزقاً يُغنيني عن بيع هذه القفاف.
قال: فأرسل الله عزَّ وجلَّ، إليه جراداً من ذهب، فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه قال: اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه في الدنيا فبارِكْ لي فيه
وإن كان يُنقصني مما لي عندك في الآخرة فلا حاجة لي به.
فنودي: إن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً لصبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق .
فقال: اللهم لا حاجة لي في ما ينقصني مما لي عندك في الآخرة.
قال: فرُفِعَ.

رواه ابن المرزبان (ومن طريقه في مصارع العشاق (139/1) وفى ذم الهوى ص 251- 252) بسنده، وذكره السمرقندى فى تنبيه الغافلين (680/2- 681)، ورواه أبو سعيد النقاش فى فنون العجائب (67) بسنده فى قصة طويلة لطيفة!، ورواه أبو نعيم (ـ ومن طريقه ابن بلبان في الرابع من الأحاديث الإلهية ص 237) قال: (بلغنا أنه ورد عن النبي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فذكره مطوَّلا .

والمراد بيان الخوف المانع من الزنا، وإلا فما صنعه لا يجوز في شرعنا لأنه قتل للنفس بالنفس، لكن لو صبر نفسه حتى لو دَعَوا الملك لكان الصواب.
وأسانيد مثل هذه القصص كثيرًا ما لا يقوم، إنما المراد الفائدة .

ويشبه ذلك ما يذكرونه بالشام من قصة رجلٍ أدخلته امرأة بيتها وأغلقت الأبواب، وراودته، فاستأذنها إلى الخلاء ليقضي حاجته، فلما دخل الخلاء لطخ نفسه بالبراز

وخرج إليها، فطردته، فأبدله الله تعالى ريح المسك حتى كان يعرف بها حتى قيل للشارع الذي فيه (درب المسكى)!.

ومن القصص في الباب :
قال رجلٌ: أحببتُ جارية من العرب، وكانت ذات عقل وأدب، فما زلت أحتال في أمرها حتى اجتمعتُ معها في ليلة مظلمة شديدة السواد في موضع خالي، فحادثتها ساعة، ثم دعتني نفسي إليها !
فقلت: يا هذه، قد طال شوقي إليك!
قالت: وأنا كذلك
قلت: هذا الليل قد ذَهَبَ، والصبح قد قَرُبَ!
قلت: هكذا تفنَى الشهوات وتنقطع اللذات !
قلت لها: لو أدنيتِني منك!
قالت : هيهاتَ هيهاتَ ، إني أخاف العقوبة من الله تعالى.
قلت لها: فما الذى دعاك إلى الحضور معي في هذا المكان؟!
قالت: شِقوتي وبلائي !
قلت: فمتى أراك ؟
قالت: ما يكون (فهذه توبةٌ نصوحٌ أن تخلو برجل) .
ثم قامت، فاستحييت مما سمعتُ منها، فرجعتُ وقد خرج من قلبي ما كنت أجدُ

تَوَقّتْ عَذاباً لا يُطاقُ انتَقامُهُ ... وَلم تَأتِ ما تَخشَى بهِ أن تُعَذَّبَا
وَقالت مقالاً كِدتُ من شدّةِ الحيا ... أهِيمُ على وَجهي حَياً وَتَعَجّبَا
ألا أُفِّ للحُبّ الذي يُورِثُ العَمى ... وَيُورِدُ ناراً لا تَمَلّ التّوَثّبَا
فأقبَلُ عَوْدي فَوْقَ بَدءٍ مُفكّراً ... وَقد زَالَ عن قَلبي العَمى فتسرّبَا

رواه محمد بن خلف ومن طريقه في مصارع العشاق (2/281-282) وذم الهوى (ص 272) .

وآخرُ أراد امرأة على نفسها، فأغلق الأبواب:
فقالت: بقي بابٌ لم يُغلق! **قال: أيُّ باب؟**
قالت: الباب الذى بيننا وبين الله تعالى.

فبكى، وانصرف.

رواه في ذم الهوى(ص273– 274) من طريق ابن المرزبان والخرائطي في اعتلال القلوب .

- و (ص 277) أن بعض المتعبدات البصريات وقعت في نفس رجلٍ ، فبلغه أنـها تريد الحج، فاحتال حتى استأجرتْ منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً:

فقال: والله ما أنا بجَمَّال ولا خرجتُ إلا من أجلك.

فلما خافت على نفسها قالت: ويحك أبقي في الرَّحال أحدٌ لم ينم؟ قال: لا. قالت: عُدْ ، فانظر.

فمضى وجاء فقال: ما بقي أحدٌ إلا وقد نام.

فقالت: ويحك أنام ربُّ العالمين؟!

فخرج هارباً.

رواه في ذم الهوى(ص277)

وقال أعرابي: خرجتُ في ليلة ظلماء، فإذا أنا بجارية كأنـها عَلَمٌ، فأردتُها:

فقالت: ويحك، أما لك زاجرٌ من عقل، إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟!

فقلت: إيهاً والله ما يرانا إلا الكواكب !

فقالت: وأين مُكَوْكِبُها؟

رواه في صفة الصفوة (356/4) من طريق ابن النقور عن المخلص في فوائده (-) من حديث الأصمعي ح ورواه في ذم الهوى (ص272).

عَلِقَ أعرابيٌّ امرأة، فطال به وبها الأمر، فلما التقيا وتمكن منها وصار بين شُعْبَتَيْها ذكر الدار الآخرة وجاءته العصمة، فقال:

والله إن امرءً باع جنة عرضها السموات والأرض بفترٍ بين رجليك لقليل البصر بالمساحة!

رواه ابن المرزبان ([]وذم الهوى 596)،وذكره صاعد (ت 417) في الفصوص (تحفة التجانى/ 49).

وكان في بنى إسرائيل بغي فتنت الناس بجمالها، وكان باب دارها مفتوحاً ، فكل من مَرَّ رآها على سريرها، فافتتن بها، فإذا أراد الدخول إليها لم يدخل إلا بدنانير .

فمَرَّ بها ذات يومٍ عابدٌ، فوقع بصرُه عليها، فافتتن، فجعل يجاهد نفسه، فغلبته نفسه، فباع شيئاً كان له، وأتى بالدنانير، فلما دخل عليها ومدَّ يده إليها وقع في قلبه أن الله يراه وهو على هذه الحال من الحرام، فارتعد واصفرَّ:
فقالت له: أيُّ شيءٍ أصابك؟
قال: إني أخاف الله، فائذني لى بالخروج، والمالُ حلالٌ لك.
قالت: كأنك لم تعملْ هذا العمل قطُّ .
قال: لا.
فخرج وهو يبكي.
فقالت في نفسها:إن هذا الرجل أول ذنب أذنبه، وقد دخل عليه من الخوف ما دخل.
وأنا قد أذنبتُ منذ سنوات، وربُّه ربي، فخوفي ينبغي أن يكون أشد، فتابت.
ذكره السمرقندى فى تنبيه الغافلين (130-129/1).
وذكر بَكْرُ الْمُزَنِيُّ التابعي أَنَّ قَصَّابًا، وَلِعَ بِجَارِيَةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِهِ، فَأَرْسَلَهَا أَهْلُهَا إِلَى حَاجَةٍ لَهُمْ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَتَبِعَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا
فَقَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، لَأَنَا أَشَدُّ حُبًّا لَكَ مِنْكَ لِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.
قَالَ: فَأَنْتِ تَخَافِينَهُ، وَأَنَا لَا أَخَافُهُ؟!
فَرَجَعَ تَائِبًا، فَأَصَابَهُ الْعَطَشُ حَتَّى كَادَ يَنْقَطِعُ عُنُقُهُ، فَإِذَا هُوَ بِرَسُولٍ لِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسَأَلَهُ، قَالَ: مَا لَكَ؟
قَالَ: الْعَطَشُ
قَالَ: تَعَالَ حَتَّى نَدْعُوَ اللَّهَ حَتَّى تُظِلَّنَا سَحَابَةٌ حَتَّى نَدْخُلَ الْقَرْيَةَ
قَالَ: مَا لِي مِنْ عَمَلٍ فَأَدْعُو
قَالَ: فَأَنَا أَدْعُو وَأَمِّنْ أَنْتَ
قَالَ: فَدَعَا الرَّسُولُ وَأَمَّنَ هُوَ

قَالَ: فَأَظَلَّتْهُمْ سَحَابَةٌ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ فَأَخَذَ الْقَصَّابُ إِلَى مَكَانِهِ، وَمَالَتِ السَّحَابَةُ فَمَالَتْ عَلَيْهِ فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَقَالَ لَهُ: زَعَمْتَ أَنْ لَيْسَ لَكَ عَمَلٌ وَأَنَا الَّذِي دَعَوْتُ وَأَنْتَ الَّذِي أَمَّنْتَ فَأَظَلَّتْنَا سَحَابَةٌ، ثُمَّ تَبِعَتْكَ، لَتُخْبِرَنِّي مَا أَمْرُكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ: التَّائِبُ إِلَى اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَكَانِهِ.

رواه ابن أبي الدنيا في التوبة (44]ومن طريقه ابن قدامة في التوابين وابن الجوزي في ذم الهوى .

وهذا رجلٌ خرج حاجاً، فإذا هو بامرأة في الليل ناشرة شعرها .

قال: فأعرضتُ عنها

فقالت: هلمَّ إليَّ، لِمَ تُعْرِضُ عني؟

قال: قلت: إني أخاف الله رب العالمين.

فتجلببتْ، ثم قالت: هِبْتَ مُهاباً، إن أوْلى مَن شَرَكك في الهيبة لمن أراد أن يشركك في المعصية.

قال: ثم وَلَّتْ، فتبعتُها، فدخلتْ بعضَ خيام الأعراب.

فلما أصبحتُ أتيتُ رجلاً من القوم، فوصفتها:

فقلت: فتاة كذا وكذا مِن حُسْنها من مَنطقها.

فقال شيخٌ منهم: ابنتي والله.   قلت: هل أنت مُزَوِّجي؟

قال: على الأَكْفاء.   قلت: رجلٌ من تيم الله [قبيلة]

قال: كفؤ كريم.

فما رُمْتُ حتى تزوجتها، ودخلتُ بها.

ثم قلت: فجَهِّزوها إلي قدومي من الحج.

فلما قدمتُ حملتُها إلى الكوفة، فها هي عندي لي منها بنين وبنات.

قال: قلت لها: ويحك؟ ما كان تَعَرُّضُكِ لي حينئذ؟!

قالت: يا هذا لا تُكْذَبَنَّ، ليس للنساء خير من الأكْفاء، فلا تعجبن بامرأة تقول:هَوَيْتُ! فو الله لو عجّل لها بعضُ السودان ما تريده من هواها لكان هو الهوى عندها

دون هواها !

رواه ابن أبي الدنيا (وله كتاب الخائفين- ومن طريقه في ذم الهوى ص 264-265)

الفصل الرابع والعشرون

ليلة محاسَبة !

قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ التابعي العابد رحمه الله تعالى :
مِنْ صِدْقِ الإِيمَانِ وَبِرِّه أَنْ يَخْلُوَ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ الْحَسْنَاءِ فَيَدَعَهَا ، لاَ يَدَعُهَا إِلاَّ لِلَّهِ.

رواه في ذم الهوى (ص254) من طريق الحلية (268/3) من مصنف ابن أبي شيبة (13/ 439)

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا .
أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ
وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا [ابن ماجه/ 4245].

وروى العجلي في الثقات [1082 ومن طريقه في ذم الهوى (ص 265- 266)] قال:

كَانَت امْرَأَة جميلَة بِمَكَّة، وَكَانَ لَهَا زوجٌ، فَنَظَرتْ يَوْمًا إِلَى وَجههَا فِي الْمرْآة
فَقَالَت لزَوجهَا: أَتَرَى يرى أحدٌ هَذَا الْوَجْه وَلَا يفتتن بِهِ؟!
قَالَ: نعم! قَالَت: مَن؟! قَالَ: عُبيد بن عُمَيْر!
قَالَت: فَائْذَنْ لي فِيهِ فلأفتننه! قَالَ: قد أَذِنتُ لَك!
قَالَ: فَأَتَتْهُ كالمستفتية، فَخَلا مَعهَا فِي نَاحيَة من الْمَسْجِد الْحَرَام.
قَالَ: فأسفرتْ عَن مِثل فلقَة الْقَمَر
فَقَالَ لَهَا: يَا أمةَ الله!
فَقَالَت: إني قد فُتنتُ بك، فَانْظُر فِي أَمْرِي!
قَالَ: إني سَائِلُك عَن شَيْءٍ فَإِن أَنْتِ صدقتِ نظرتُ فِي أَمرك!
قَالَت: لَا تسألني عَن شَيْء إلا صدقْتُك.

قَالَ: أخبريني لَو أن مَلَكَ الْمَوْت أتاك يقبض روحك أَكَانَ يَسُرُّكِ أني قضيتُ لَك هَذِه الْحَاجة؟

قَالَت: اللَّهُمَّ لَا.   قَالَ : صدقتِ .

قَالَ : فَلَو أُدْخِلْتِ فِي قبرك فأُجلستِ للمساءلة أَكَانَ يَسُرك أني قضيت لَك هَذِه الْحَاجة ؟!

قَالَت : اللَّهُمَّ لَا   قَالَ : صدقتِ .

قَالَ : فَلَو أَن النَّاسَ أُعْطوا كتبهمْ وَلَا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أَكَانَ يَسُرك أَني قضيتُ لَك هَذِه الْحَاجة ؟!

قَالَت : اللَّهُمَّ لَا   قَالَ : صدقتِ .

قَالَ : فَلَو أردْتِ الْمُرُورَ على الصِّرَاط وَلَا تدرين تنجين أم لَا تنجين كَانَ يَسُرك أَني قضيتُ لَك هَذِه الْحَاجة ؟!

قَالَت : اللَّهُمَّ لَا .   قَالَ : صدقتِ .

قَالَ : فَلَو جِيء بِالْمَوَازِينِ وجِيء بك لَا تدرين تخفين أم تثقلين كَانَ يَسُرك أني قضيتُ لَك هَذِه الْحَاجة ؟!

قَالَت : اللَّهُمَّ لَا .   قَالَ : صدقتِ .

قَالَ : فَلَو وقفتِ بَين يَدي الله للمساءلة كَانَ يَسُرك أني قضيتُ لَك هَذِه الْحَاجة ؟!

قَالَت : اللَّهُمَّ لَا .   قَالَ : صدقتِ .

قَالَ : اتقِي الله يَا أمة الله فقد أنعم الله عَلَيْك وَأحسن إِلَيْك .

قَالَ : فَرَجَعتْ إِلَى زَوجهَا

فَقَالَ : مَا صنعتِ ؟!

قَالَت : أَنْت بطالٌ وَنحن بطالون .

فَأَقْبَلت على الصَّلَاة وَالصَّوْم وَالْعِبَادَة .

قَالَ وَكَانَ زَوجهَا يَقُول : مَا لي ولعُبيد بن عُمَيْر أفسد عَليّ زَوْجَتي كانت كلَّ لَيْلَة عروسًا فصيَّرها راهبة.

قال ابن حزم- وهو جهميٌّ ظاهريٌّ- في طَوْق الحمامة- وفيه طوامٌّ- في فضل التعفف (ص 187):
وحدثني ابن مضاء عن رجال ثقات عن الوليد بن غانم أنه

ذكر عبد الرحمن الأموي من ملوك الأندلس، غاب شهوراً، وثقف القصر بابنه محمد، ورتبه في السطح ليلاً ونهاراً، ورتب معه في كل ليلة وزيراً وفتى يبيتان معه في السطح، وهو سن العشرين أو نحوها إلى أن وافق مبيتي في ليلتي نوبة فتى صغيراً في سنه غاية في حُسْن وجهه فقلت في نفسي: إني أخشى الليلة على محمد الهلاك بمواقعة المعصية وتزيين إبليس وأتباعه له... وهو يظن أني قد نمتُ [قال أبو عبد الله : يا لفرط تضييعك وسوء صنيعك كيف لم تُشعره أنك أَرِقٌ لتصدَّ عنه إبليس وتعينه على سلطانه، فبئس الرفيق والصاحب أنت، ونعم العون لإبليس مِن مِثلك!!].

فلما مضى هزيعٌ من الليل رأيته قد قام ثم تعوَّذ من الشيطان، ورجع إلى منامه، ثم قام بعد حين ولبس قميصه، واستوفز، ثم نزعه عن نفسه وعاد إلى منامه، ثم قام الثالثة ولبس قميصه، ودلى رجليه من السرير وبقي كذلك ساعة، ثم نادى الفتى فقال له : انزل عن السطح، فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله ، وعاد إلى سريره .

الفصل الخامس والعشرون

نار الدنيا ولا نار الآخرة!

قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ

روي عبد الرزاق في مصنفه (- ومن طريق ابن بشكوال في المستغيثين بالله/15)عمن ذكرهم ح ورواه ابن المرزبان (- ومن طريقه في ذم الهوى ص 250- 251) بسنده عن إبراهيم بن خالد عن أمية بن شبل عن عبد الله بن وهب- قال إبراهيم: لا أراه إلا عن أبيه

اجتمع فتيانٌ وجالسَتْهم امرأة جميلة (بَغِيٌّ) ، وكان قريباً منهم راهبٌ في صومعة له، فبينا هم يتحدثون:

قالت لهم المرأة: أرأيتم إن فتنتُ هذا الراهب ؟!

قال لها الفتيان: لا تستطيعين ذلك ! (لعلك أن تزيليه!)
قالت: بلى، أنا أستطيع.   قالوا: وكيف ذلك؟
فقامت إلى طيب، فتطيبت ولبست من أحسن ثيابها، ثم أتت باب الصومعة ليلاً (في ليلة مَطيرة مظلمة) ،فنادت الراهب، وقالت: يا عبد الله، افتح لي الباب آوي إلى جنبه، فإني أتخوف !
(فتركها ، وأقبل على صلاته ، ومصباحه ثاقب)
فلم تزل به حتى نزل، ففتح لها الباب، فدخلتْ، فقعدتْ إلى جنب الباب، وصعد هو، ثم صعدتْ بعده، ونزعتْ جميع ما عليها، ثم استلقت بين يديه عريانة (فجعلتْ تُريه محاسنَ خَلْقِها) ، فنظر إلى أمر عظيم، وفكر، (فدعته نفسُه إليها ، فقال : لا والله حتى انظر كيف صبرُك [يا نفسي] على النار!)
ثم قدم يده إلى المصباح، فجعل عليه أصبعه الصغرى، وهو يحترق حتى سقطت لم يحسَّ ذلك من الشهوة، ثم وضع أصبعه الأخرى حتى نفدت أصابعه، فلما رأت ذلك انفض فؤادها، (فصعقت) فماتت.
فلما أصبح الفتيان غَدَوْا إليه، فوجدوها عنده ميتة.
قالوا له: يا عدوَّ الله، كنتَ تَغُرُّنا والناسَ،وقتلتَ هذه المرأة ! فأخذوه،فأوثقوه, وغسلوا المرأة وكفنوها، وقَدَّموه ليضربوا عنقه، فطلب إليهم أن يتركوه حتى يصلي ركعتين، ففعل، فتوضأ، وصلى ركعتين، ورفع يديه، فدعا إلى الله.
فإذا المرأة قد اضطربتْ في أكفانها، واستوتْ قاعدة، فأخبرتْهم بالذي رأتْ منه، وردَّ الله إليها نفسها، وعاشتْ بعد ذلك، وخُلِّي الراهب، فعاد إلى صومعته، وابتنت إلى جنبه صومعة، وتعبدتْ معه).
ومِن هذا نتعلم:
1- الحذر من مكايد إبليس وأعوانه من الجن والإنس.

2- المعصوم من عصم الله، ولا ينبغي التعرض لأسباب الفتن من الخلوة وغيرها.
3- شدة الشهوة حتى لم يحسَّ كما حدث ذلك للنساء حين رأين يوسف عليه السلام : (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)[يوسف/31] فلم يشعرن !
4- تحريق المرء نفسه أو غيره لا يجوز، وقد نهى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التعذيب بالنار لايعذب بها إلا الله عز وجل .

وآخر

قال ابن حزم- وهو جهميٌّ ظاهريٌّ- في كتابه طَوْق الحمامة- وفيه طوامٌّ- في باب فضل التعفف (ص 185): (حدثني أبو هارون ابن موسى الطبيب قال:

رأيت شاباً حسن الوجه من أهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا، وكان له أخ في الله قد سقطتْ بينهما مؤونة التحفظ، فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده.
فعَرَضَتْ لصاحب المنزل حاجة إلى بعض معارفه بالبُعد عن منزله، فنهض لها على أن ينصرف مسرعاً.
ونزل الشاب في داره مع امرأته، وكانت غاية في الحُسْن، وترباً للضيف في الصبا [والشباب]
[قال أبو عبد الله : وكان ينبغي للشاب أن يمضي بمضي صاحبه، وينبغي لرب البيت أن لا يدعه]
فأطال رب المنزل المقام إلى أن مشى العسس [الشرطة يمشون في الليل لأخذ المُريب] ولم يمكنه الانصراف إلى منزله.
فلما علمتِ المرأة بفوات الوقت وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة [لعب الشيطان لعبته] تاقت نفسها إلى ذلك الفتى، فبرزت اليه، ودعته إلى نفسها ولا ثالث لهما إلا الله- عز وجل.

فهمَّ بها، ثم ثاب اليه عقله، وفكَّر في الله- عز وجل، فوضع إصبعه على السراج، فتَفقَّع، ثم قال:
يا نفس ذوقي هذا، وأين هذا من نار جهنم ؟!.
فهال المرأةَ ما رأتْ، ثم عاودته، فعاودته الشهوة المركبة في الإنسان، فعاد إلى الفعلة الأولى، فانبلج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار.
أفتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ إلا لفرط شهوة قد كَلِبت عليه؟).
ووقعت هذه القصة لامرأة عفيفة أيضاً:
فقد روى ابن المرزبان (- ومن طريقه في ذم الهوي ص 276- 277) ثنا أبو بكر القرشي (ابن أبي الدنيا وله كتاب الخائفين) : ثني أحمد بن العباس النميري : ثني أبو عثمان التيمي قال:
مَرَّ رجلٌ براهبة من أجمل النساء، فافتتن بها، فتلطف في الصعود إليها، فأرادها على نفسها، فأبت عليه:
وقالت: لا تغترَّ بما ترى، فليس قطُّ شيءٌ !
فأبى حتى غلبها على نفسها، وكان إلى جنبها مِجْمَرة لبان، فوضعت يدها فيها حتى احترقت!
فقال لها بعد أن قضى حاجته منها: ما دعاكِ إلى ما صنعتِ؟!
قالت: إنك لما قهرتني على نفسي خفتُ أن أَشركك في اللذة فأشاركك في المعصية، ففعلتُ ذاك لذلك.
فقال الرجل: والله لا أعصي الله أبداً
وتاب مما كان عليه.
ويستفاد من هذه القصة أيضاً في:
ا- منع ترهُّب النساء ومنع ترك المرأة بدون مَحْرم رشيد.
2- استحضار الكراهة عند الوقوع في الضرورة.
3- ما سبق من المنع من التعذيب بالنار.

الفصل السادس والعشرون
المفاضلة بين العلم والنساء!

مضى أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (271- 328) يوماً في النخاسين وجاريةٌ تُعْرَضُ حسنة كاملة الوصف.
قال: فوقعتْ في قلبي، ثم مضيتُ إلى دار أمير المؤمنين
فقال لي: أين كنتَ إلى الساعة؟
فعرَّفتُه، فأمرَ بعضَ أسبابه، فمضى، فاشتراها، وحملها إلى منزلي، فجئتُ ، فوجدتُها، فعلمتُ الأمرَ كيف جرى.
فقلت لها: كوني فوق إلى أن أستبرئك [أي أتأكد من براءة رحمك من الحمل بأن تحيضي].
وكنت أطلب مسألة قد اختلتْ عليَّ، فاشتغل قلبي بالجارية عن المسألة.
فقلت للخادم: خذها وامض بها إلى النخاس، فليس قدرها أن تشغل قلبي عن علمي !
فأخذها الغلام، فقالت: دعني أكلمه بحرفين .
فقالت: أنت رجلٌ لك محلٌّ وعقلٌ، وإذا أخرجتني ولم تبين لي ذنبي لم آمن أن يظن الناس بي ظناً قبيحاً فعَرِّفنيه قبل أن تُخرجني .
فقلت لها: ما لكِ عندي عيبٌ غير أنك شغلتِني عن علمي !
فقالت: هذا أسهلُ عندي.
قال: فبلغ أميرَ المؤمنين الراضي أمْرُه، فقال:
لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحدٍ أحلى منه في صدر هذا الرجل.

رواه الخطيب ([183/3- 185] ومن طريقه ابن الجوزي الجهمي في ذم الهوى [958]): أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال: قال محمد بن جعفر التميمي: حُدِّثت عن أبي بكر- فذكره.

وقد وقعت مثل هذه القصة لغير واحد في عدة أزمان .
وجَمَعَ بعض المتأخرين الهالكين في البدع يقال له (عبد الفتاح أبو غدة) جزءً في (العلماء العُزَّاب الذين آثروا العلم على الزواج)! وقد جعل (من العلماء) طائفة من أهل البدع!

فردَّه عليه بعض معاصريه بجزء (الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك والرد على من وَحَّدَ السبب)!
وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(إذا وُضع الطعام وحَضَرَتِ الصلاةُ فابدأ بالطعام)
فهذا هو الفقه والدين يقضي حاجته ليفرغ لصلاته.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا
نعم قد تكون مسألة تشغل المرء كما وقع لأبي ريحانة رضي الله عنه قام يصلي من الليل ركعتين فقرأ فأنساه الأنس النساء، ولكن ليست كل ليلة.

الفصل السابع والعشرون
ليلة الزوج والعشيق!

قيل في امرأة كان لها صديق، فتزوجتْ، فلما كانت ليلة البناء أدخلتْ صديقها الحجلة (الغرفة) سراً، فلما راود الرجل المرأة ثار الصديق، فاقتتلا، فقتل الزوجُ الصديقَ، فقامت المرأةُ إلى الزوج فقتلته.
فقال علي رضي الله عنه: يؤخذ من المرأة دية الصديق، وتُقتل بالزوج.
رواه محمد بن علي بن إبراهيم في كتابه عجائب أحكام علي رضي الله عنه (ص 72) بسنده عن الأصبغ ، وهذا إسنادٌ واهٍ .
قال صاحب الحاشية: (هكذا جاءت الرواية، والمطابق لقواعد الشرع أن الصديق لا دية له لأن الزوج قتله دفاعاً عن نفسه، والصديق قد طاوع الزوجة وأقدم على ما أقدم عليه ولم تَغُرَّه) لكن دفعه إن أمكن بدون القتل وإلا فلا.

الفصل الثامن والعشرون
صريع الغواني !

لقبُ شاعرٍ مات على بطن امرأته.

وفي كتاب عجائب أحكام علي τ- لمحمد بن علي بن إبراهيم (ص 61- 62) عن محمد بن فضيل عن أبي إلصباح الكناني عن أبي عبد الله (جعفر بن محمد) قال :

أُتِيَ عمر رضي الله عنه بامرأةٍ تزوجها شيخ، فلما واقعها مات على بطنها ، فجاءتْ بولدٍ، فادَّعى إخوته من أبيه أنها فَجَرَتْ، وشهدوا عليها، فأمر عمر رضي الله عنه أن تُرْجَمَ .

فمَرَّ بها علي رضي الله عنه فقال: هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها الشيخ، ويوم واقعها، وكيف كان جماعه لها، رُدُّوا المرأة.

فلما كان من الغد دعا بصبيان أترابٍ [للولد]، فقال لهم: العبوا، حتى ألهاهم اللعب- قال لهم: اجلسوا، حتى إذا تمكنوا صاح بهم أن قوموا، فقام الغلام فاتكأ على راحتيه!

فدعاه علي رضي الله عنه ، فورَّثه من أبيه، وجلد إخوته حد المفترين حَدًّا حدًّا .

فقال له عمر: يا أبا الحسن، كيف صنعتَ؟

قال: عرفتُ ضعف الشيخ في تكأة الغلام على راحتيه !

قال صاحب الحاشية: (الظاهر أن المراد بالمواقعة هنا مجرد إرادة الدخول بها لا المجامعة، فالمراد أنه بعد أن مات على بطنها وُجِدَتْ بِكْراً، فلذلك ادَّعى إخوته أنها فَجَرَتْ، وشهدوا بذلك.

ولما كان الحكم في مثلها أنها فراش، وأن الولد وُلِدَ على فراش الشيخ فهو ملحقٌ به، لأنه من أمنى على فرج امرأته فحملتْ أُلْحِقَ به الولد وإن لم يفتضها لجواز تسرب المني إلى الرحم وحصول الحمل بذلك مع بقائها بكراً.

ولعل إظهار أن الدليل هو الاتكاء كان احتشاماً).

وذكر في الحاشية (ص 67- 69): (روى نقلة الآثار

أن امرأة نكحها شيخ كبير فلم يصلْ إليها، فحَمَلَتْ، وأنكر حملها، وأقرت بأنه لم يفتضَّها وكانت بكراً.

فقال عليٌّ: لعلَّ الشيخ سال ماؤه، فحملت منه، فاسألوه.
فسألوه، فقال: قد كنتُ أُنزل الماء مِن غير افتضاض.
فقال عليٌّ رضي الله عنه :
الحمل له، والولد ولده، وأرى عقوبته على الإنكار!
قال أبو عبد الله : وكذلك قيل : إذا صنع الرجل ذلك فسال المنيُّ فدخل الفرج اغتسلتْ غسل الجنابة .

الفصل التاسع والعشرون

ليلة كاذبة!

قيل: أُتِيَ عمر رضي الله عنه بامرأة وقد تعلقت برجل من الأنصار وكانت تهواه، فلم تقدر على حيلة، فأخذت بيضة، وأخرجتْ منها الصُّفرة، وصَبَّت البياض على ثيابها وبين فخذيها، ثم جاءت إلي عمر:
فقالت: يا أمير المؤمنين إن هذا الرجل أخذني في موضع كذا وكذا ففضحني !
فهَمَّ عمر أن يعاقب الأنصاري،وعليٌّ جالسٌ رضي الله عنهما فجعل الأنصاري يقول: يا أمير المؤمنين، تثبتْ في أمري.
فنظر عليٌّ رضي الله عنه إلى بياض على ثوب المرأة، فاتهمها أن تكون قد احتالت في ذلك !
فقال: ائتوني بماءٍ حارٍ مَغلي قد غلي غلياً شديداً.
فأُتي به، فأمَرَهم أن يصبوه على ذلك البياض، فصبوه على موضعه، فاستوى ذلك البياض، فأخذه عليٌّ رضي الله عنه فألقاه في فيه، فلما عرف طَعمه ألقاه مِن فيه، ثم أقبل على المرأة حتى أقَرَّتْ بذلك، ودفع الله- عز وجل- عن الأنصاري عقوبة عمر بعلي رضي الله عنهما .

رواه محمد بن علي بن إبراهيم في عجائب أحكام علي τ (ص 56- 57):حدثني أبي محمد عن محمد بن أبي عمير عن عمر بن يزيد عن أبي المعلى عن أبي عبد الله (جعفر بن محمد) به.

الفصل الثلاثون

ليلة المحلل !

إن رجلاً (من قريش) من أهل المدينة طلَّق امرأته ثلاثاً (فبتّها) وندم، وبلغ منه ذلك ما شاء الله.
فقيل له: انظرْ رجلاً يُحِلُّها لك!
وكان في المدينة رجلٌ من أهل البادية له حَسَبٌ أُقْحِمَ إلى المدينة وكان (مسكيناً) محتاجاً ليس له شيء يتوارى به إلا رقعتين: رقعة يواري بها فرجه، ورقعة يواري بها دبره (وكان يُدْعَى ذا الرقعتين)، (قدم، ومعه إخوة له صغار ، وعليه إزار ، من بين يديه رقعة ، ومن خلفه رقعة ، فسأل عمر ، فلم يعطه شيئا) (وكان بالسوق قَدِمَ وأبوه لتجارةٍ لهما) ، فأرسلوا إليه (فقال للفتى: هل فيك خير ؟! ثم مضى عنه، ثم كرَّ عليه وكلمه)، قال : نعم ، فأرني يدك، فانطلق به، فأخبره الخبر).
فقالوا له: هل لك أن نزوِّجك امرأة، فتدخل عليها، فتكشف عنها خمارها ثم تصبح تطلقها، ونجعل لك على ذلك جَعْلاً!
قال: نعم !
فزوَّجوه، فدخل عليها وهو شاب صحيح الحَسَب (فبات معها)، فلما دخل على المرأة، وأصابها، فأعجبها:
قالت له: أعندك خير ؟!
قال: نعم، هو حيث تحبين، جعله الله فداءها !
قالت: فانظرْ لا تطلقني بشيء، فإن عمر لن يُكْرِهك على طلاقي !
فلما أصبح لم يَكَدْ أن يفتح الباب حتى كادوا أن يكسروه!
فلما دخلوا عليه (وإذا هو قد ولاها الدبر)
قالوا: طَلِّقْ. قال: الأمرُ إلى فلانة.
فقالوا لها: قولي له أن يطلقك.
قالت: إني أكره أن لا يزال يدخل عليَّ [والله لئن هو طلقني لا أنكحك أبداً) !

فارتفعوا إلى عمر رضي الله عنه ، فأخبروه
(فقال : يا أميرَ المؤمنين ، غُلِبْتُ على امرأتي . قال : مَن غلبك ؟ قال : ذو الرقعتين . قال : أرْسِلوا إليه .
فلما جاء الرسول،قالت له المرأة : كيف موضعك من قومك ؟ قال : ليس بموضعي بأس . قالت : إن أمير المؤمنين يقول لك : طَلِّق امرأتك . فقل : لا ، والله لا أطلقها . فإنه لا يُكْرِهك . وألبسته حلة) فدعاه (فلما رآه عمر من بعيدٍ قال : الحمد لله الذي رزق ذا الرقعتين ، فدخل عليه)
فقال [لزوجها الأول]: لو نكحتَها لفعلتُ بك- فتوعَّده).
(فدعا زوجها) فقال له: (أتطلق امرأتك ؟ قال : لا ، والله لا أطلقها) . قال عمر : (الزم امرأتك، فإن رابك رجلٌ فائتني)، إن طلقتها لأفعلن بك (لأوجعت رأسك بالسوط) .
(وقال: والله لئن قامت لي بينة) [يعني لجعلتُهم نكالا].
ورفع الرجل يديه وقال: (الحمد لله) اللهم أنت رزقتَ ذا الرقعتين (ذا النَّمِرَتَيْن) إذْ بَخِلَ عليه عمر !

رواه سعيد بن منصور (1999) وعبد الرزاق (6/ 267- 268) و الشافعي ومن طريقه البيهقي (7/ 209) وهو صحيح عن محمد بن سيرين، ورواه أبو حفص العكبري عن محمد (المغني لابن قدامة) ، وله شاهد عن غيره، والسياق لسعيد و ( ) لغيره و [] لي.
وقد وقع في مجلة بحوث اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية (عدد 15 سنة 1406) عزو هذا عن طريق المغني فقط ، ورتبوا عليه الحكم : (ما رُوي من قصة ذي الرقعتين فهذا لا سند له فلا حكم له) !
وهذا الأمر من صاحب المغني قديمًا ومن الحنابلة عامة عجيب في العزو إلى كتب أصحابهم دون غيرها مما هو أشهر وأعلى !

الفصل الحادي والثلاثون
ليلة ملك من الجبابرة

قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاَ تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ

إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ارْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا هاجَرَ ، فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً ؟!"

والقرية هي مصر ، وهاجر من صعيد مصر .

وحدث بعد ذلك بزمن

كان في بني إسرائيل امرأة ذات جمال، وكانت عند رجلٍ يعمل بالمسحاة، وكان إذا جاء بالليل قَدَّمَتْ طعامَه، وفَرَشَتْ له فراشه.

فبلغ خبرُها ملكَ ذلك العصر، فأرسل إليها عجوزاً، فقالت لها:ما تصنعين بهذا الذي يعمل بالمسحاة؟

لو كنت عند الملك لكساك الحرير وحلاك بالذهب وأخدمك الخدم !

فلما وقع الكلام في مسامعها جاء زوجها بالليل، فلم تقدم له طعامه، ولم تفرش له فراشه، وتغيرت عليه، فطلقها.

فتزوجها ذلك الجبار، فلما زُفَّتْ إليه ودَخَلَتْ عليه وأُرْخِيَتِ الستور:

نظر إليها: فعَمِيَ وعَمِيَتْ.

فأهوى بيده وأهوت بيدها ليتلامسا: فجَفَّتْ أيديهما.

وصُمَّا، وخَرِسا، ونُزِعَتْ منهما الشهوة.

فلما أصبحا رُفِعَتِ الستور فإذا هما صُمٌّ عُمْيٌ خُرْسٌ.

فرُفِعَ خبرُهما إلى نبي بني إسرائيل، فأوحى الله اليه:

أعْلِمْهما أني غير غافر لهما.

أما علما أن بعيني ما عَمِلا بصاحب المسحاة.

رواه في ذم الهوى (ص 286- 287): من طَريق ابن شاهين (-) : حدثنا إسماعيل بن علي : أنبأنا يونس ح ومن طريق السرَّاج في المصارع (- ومن طريقه أيضاً في السير557/1 ترجمة سلمان) بسنده عن محمد بن موسى- كلاهما عن روح بن أسلم : نا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب.
في الإسناد الأول به عن عطاء عن ميسرة قوله.
ح والثاني به عن عطاء عن أبي البَخْتري عن سلمان رضي الله عنه قوله.
والأول أصح ، وروح فيه مقال، وهي قصة وعبرة.

واحتاج عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، فما زال به الحجاج لعنه الله حتى زَوَّجه ابنته، فلقنها عبد الله أن تدعو إذا دخلتْ عليه بكلمات الفرج:

لا إله إلا الله الحليم الكريم.

لا إله إلا الله رب العرش العظيم.

لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين.

فقالتْها فلم يَصِلْ إليها.

خَرَّجْتُه في جزء (كلمات الفرج).

وفي زماننا قصص ذات أهوال مما حدث ممن سَمَّى نفسه ملك ملوك إفريقية الذي كان يتخذ حرسه من النساء فقط ! ، وأي بنتٍ أعجبتْه هو اصطفاها لنفسه بلا عددٍ دون تزويج وليها ولا رضاها !

الفصل الثاني والثلاثون

ليلة أمراء وأُمَناء السوء

حاميها حراميها ! وديعة مَضيعة !

قيل: استعمل الحجاج رجلاً على قضاء قندابيل وكرمان ، فقَدِمها، وكان في كرمان علجة يقال لها: أرذك، و كانت من أجمل النساء، وكانت بَغِيّاً يبيت عندها الرجال على مال.

فبلغ القاضيَ خبرها، فأرسل إليها، فجِيء بها، فلما رآها: قال: يا عدوة الله، أفتنت فتيان البلد وأفسدتهم .

ثم قال: اكشفي عن رأسك! ثم قال: ألقي درعك!

ثم قال: يا عدوة الله، أدبري! ، ثم قال: أقبلي !
فوثب إليها فما فارقها حتى فعل.
فبلغ الحجاج فعله ، فقال:
بعض ما يعتري الجاني من الشبق.
وصَرَفَهُ (أي خلعه من وظيفته فقط!).

رواه الخرائطي في اعتلال القلوب (- ق ومن طريقه ابن الجوزي الجهمي في ذم الهوى 367) : حدثنا العباس بن الفضل الراجي ثنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب قال: - فذكره، وفيه طول اختصرته، وفي إسناده نظر، والمراد الفائدة لا الأسماء ، وهذه القصص كثيرة في كل زمن ووطن ! وانظر الفصل الثامن والخمسين !

ومن أخبار المغفلين

أن رجلاً اشترى جارية على أنها بكر وحملها إلى منزله، فذكر له نساؤه أنها ثيب، فاختصم فيها البائع مع المشتري عند القاضي، فقضى بأن تودع عند رجل أمين إلى أن تكشف القوابل أمرها، فاختاروا معاً أن تودع عند إمام مسجد هناك.
فلما أصبح الإمام وَصَلَ إلى القاضي وهو يتأوَّه!
قال: ذهبتِ الأمانة من الناس !
فقال له القاضي: ما قصتك ؟!
قال: إن مشتري الجارية قد اطمأن إلى بائعها، فأخذها منه على أنها بكر، فخدعه فيها وخانه، وإني قد جَرَّبْتُها البارحة فوجدتها ثيباً، فمن ذا الذي يوثق به بعد ذلك ؟!
ولأجل هذا وغيره:
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .
وقال جماعة من السلف الصالح رحمهم الله تعالى:
إياك أن تخلوَ بامرأة ولو قلتَ: أعلمها القرآن !
وقال غيرُ واحد من الصالحين: لا يؤتمن الرجل على ظفر امرأة - يعني أنه مهما كان أميناً لا يخون من المال شيئاً فإنك لو أعطيته ظفر امرأة في درجة (علبة) لفتحها- ليراه!

وفي الباب ! ذكر صاحب التلبيس أن رجلاً زنا بامرأة وهو يغطي وجهه، فقيل له في ذلك، فقال: أغض بصري عن وجهها لأن النظر إلى وجه الأجنبية حرام!
وهذا النوع من الورع هو بالزندقة أشبه، والتلاعب بالدين ألصق، وقد جرى عليه كثير من الجهال حين يصفون المبتدع جهمياً أو خارجياً أو قبورياً بالورع والتقوى والعلم! لأنه تورع عن مطعم أو مشرب أو منكح! بينما هو لم يتورع عن هذه العقائد الضالة ! فأي ورع وتقوى؟!
ولأنه علم بعض أمور الشرع، بينما هو قد جهل أو رد أصول الشرع في اتباع السنة! فأي علم هذا؟!

الفصل الثالث والثلاثون

ليلة يهودي!
كان شابان متآخيين على عهد عمر رضي الله عنه ، فأغزى أحدهما، فأوصى أخاه بأهله، فانطلق في ليلة ذات ريح وظلمة إلى أهل أخيه يتعهدهم:
فإذا سراجٌ في البيت يُزْهِر،وإذا يهودى في البيت وهو يقول:
وأشعثُ غَرَّه الإسلامُ مني ... خلوتُ بعرسه ليلَ التمامِ
فرجع الشاب إلى أهله، فاشتمل السيف حتى دخل على أهل أخيه، فقتله، ثم جَرَّه، وألقاه على الطريق.
فأصبح اليهود وصاحبهم قتيل لا يدرون من قتله.
فأتوا عمر رضي الله عنه ، فدخلوا عليه، وذكروا ذلك له.
فنادى عمر في الناس: الصلاة جامعة، ثم قال:
أُنْشِدُ الله رجلاً عَلِمَ مِن هذا القتيل عِلماً إلا أخبرني به.
فقام، فأخبره ، فقال عمر: لا يقطع الله يدك، وهدر دم القتيل.
ذكره في عيون الأخبار (2/ 116- 117).
أراد الستر على المرأة ،وإلا فينبغي أن يقبض عليه ويُشهد عليه ويرفع الأمر إلى الأمير .

الفصل الرابع والثلاثون

ليلة ضيف سوء !

بات أعرابيٌّ ضيفاً لبعض الحضر، فرأى امرأة منهم، فهمَّ أن يخالف إليها:
في أول الليل فمنعه الكلب!
وفي نصف الليل فمنعه ضوء القمر!
وفي آخر الليل فإذا عجوزٌ قائمة تصلي!
فقال:
لم يخلق الله شيئاً كنت أكرهه ... غيرعجوزٍ وغير الكلب والقمرِ !
هذا ينوحُ ، وهذا يُستضاءُ به ... وهذه شيخةٌ قوَّامة السَّحَر!

ذكره في العقد الفريد (4/ 60) وعيون الأخبار (108/2-109).
وفي كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لابن المرزبان (- 310) قصصًا (ص 42-45) منها ما ذكر المدائني بسنده

أن الحارث بن صعصعة كان له أصحابٌ لا يفارقهم محبة لهم، وكان له كلب (صيد)، فخرج الحارث يتنزه ومعه نُدَماؤه، وتخلف أحدهم، فلما بَعُدَ الحارث عن منزله جاء ذلك المتخلف إلى زوجة الحارث، فلما سكرا واضطجعا رأى الكلب أنه قد ثار على بطنها وثب الكلب عليهما فقتلهما ، فلما رجع الحارث إلى منزله ونظر إليهما عرف القصة فقال:
فواعجباً للخِلِّ يهتك حرمتي...ويا عجباً للكلب كيف يصونُ؟!
وذكر قصصًا مثلها لغير واحد
لكن الكلب لا يؤتمن على المرأة في زماننا ! ولا تؤتمن في خلوتها مع كلبٍ لما شاع من فاحشة وفجور بسبب (إبداع فن الفجور) وعبودية الديمقراطية !

ونزل رجلٌ ضيفاً، فأكرمه الأعرابيٌّ وأطعمه لحماً حتى شبع، فلما نام الأعرابيٌّ مدَّ الضيف يده إلى قدم بنت الأعرابي ، فصرختْ، فانتبه أبوها، فسألها، فقالت: الكلب !
فقال لها : نامي ، فكرر الضيف ، فصرخت وقالت : الضيف!

فما نام الأعرابي ليلته ليحرس ابنته، ثم ودَّع ذاك الضيف عند الصباح موبخاً.

روى في كتاب العفو والاعتذار (1/ 81- 83) حدثنا الغلابي (له التاريخ) حدثنا عبد الله بن الضحاك: حدثنا هشام بن محمد (الكلبي) عن أبي مسكين به ، وذكره في بحوث اجتماعية (4/ 79 نقلا عن طهارة العرب)

استضاف بعض الناس فاطمة الأنمارية، فأحسنت قراه، فراودها، فزجرته، فلم ينته، فأمرتْ عبيدها فكتفوه، وبَعَثَتْ به إلى ابنها الأكبر، وأخبرتْه، فأشاروا بقتله .

فقال: إذا قتلناه قال الناس: فَعَلَ بأمهم، فأكرمه وشَيَّعه وقال لما انفصلا عن الناس:

قُبِّحْتَ مِن ضيف !

روى الخرائطي في اعتلال القلوب (-/ ق ومن طريقه في ذم الهوى وروضة المحبين وتاريخ دُنيسرص 136) بسند صحيح :

أضاف رجلٌ أعرابيًّا ، فذهبتْ جارية لهم تحتطب، فأرادها على نفسها، فرمته بفِهْرٍ (أي بحجر) فقتلته،فقال عمر رضي الله عنه : ذاك قتيل الله لا يُودَى أبداً(لا دية له) .

الفصل الخامس والثلاثون

ليلة العقرب !

قال إسحاق بن الفضل الهاشمي:

كانت لي جارية، وكنتُ شديد الوَجْد بها، وكنت أهابُ (امرأتي) ابنة عمي فيها .

فبينما أنا ذاتَ ليلة على السرير إذْ عَرَضَ لي ذِكْرُها، فنزلتُ مِن أعلى السرير أريدها،إذْ لدغتني في طريقي عقرب، فرجعتُ إلى السرير مسرعاً وأنا أتأوه، فانتبهت ابنة عمي، وسألتني عن حالي، فعرَّفتُها أن عقرباً لدغني:

فقالت: أعلى السرير لدغتك العقرب؟ فقلت: لا.

قالت: اصدقني الخبر.

فأعلمتُها، فضحكتْ، وأنشدتْ:

وداري إذا نام سكانها ... تقيمُ الحدودَ بها العقربُ !

إذا رام ذو حاجة غفلة ... فإن عقاربَها ترقب !

ثم قالت لجواريها:عزمتُ عليكن أن تقتلن عقرباً هذه السنة!
رواه المبرّد عنه (تحفة العروس/ 388).
كذا وليس هذا من الحدود !
ولا يجوز لها ولعل الله تعالى أن يسلط العقرب عليها!
وقد أمر رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل العقرب وسماه من الفواسق .
وفي رواية أخرى أن رجلاً من الضيوف قام إلى فاحشة في الليل وظلامه، فمسح ذَكَرَه بالحائط، فكان على الحائط عقرب، فلدغت العقرب ذَكَرَه، فصاح، فسمع صاحبُ البيت فقال ذلك البيت السابق.

الفصل السادس والثلاثون

ليلة متصارعَيْن في اختبار القوى!

حينما تتمنع وتبالغ في التمنع لا دلالاً ، ولا حياءً !
ولكن سوء خلق كالبغل الحَرُون!
وحينما يشتد هو ويصرُّ على استيفاء حقه كاملاً كأنه في محكمة !
وحينما تعمل بوصية أمها- كما سبق في الوصايا:
ابدئي زَوْجَك ِ فانزعي زج رمحه !
فإن سكتَ فقَطِّعي اللحم على ترسه!
فإن سكت فاكسري العظام بسيفه !
فإن صبر فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك !
وحينما يَعمل بوصية أهله ليصير رجلاً من أول ليلة.
فيدخل عليها بالعصا والسكين والقطة المذبوحة!!
وحينما تَعمد أمها إلى الساحر ليربط الزوج عن عروسه، ليذل لها !
والأمر أهون مِن هذا كله:

إنما هي عشرة بالمعروف، وصحبة بالخير، وسَكَنٌ وإلف.
وقد سبق في ليلة عائشة بنت طلحة مسألة الدلال والتمنُّع .

الفصل السابع والثلاثون
ليلة متغاضبيْن أو متباغضيْن!

تغاضب زوجان، فلما جاء الليل أويا إلى فراشهما، فدنت منه المرأةُ ، فتحرك ذاك منه ، وأعرض هو هو لغضبه
فقالت: هَبْ أننا متغاضبان، فهل بين هذين غَضَبٌ؟
قال: لا- وأقبل عليها .
وقيل: إنه كان بين معاوية- رضي الله عنه- وامرأته شيء، فكلم امرأة عاقلة من محارمه لتُصلح بينهما:
قالت له: هل عندك من شيء- تعني الجماع؟ ! قال: نعم.
قالت: لا حاجة إلى أحدٍ يدخل بينكما، فذلك يُرضيها عنك.
وذكر فى الكشكول (1/ 446) عن قصة للحجاج- لعنه الله.
ومِن هذا الباب:
ا- كان الهجر في البيت لا في خارجه
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ تُهْجَرَ إِلَّا فِي البَيْتِ .
قال الله تعالى : وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ [النساء/34]
2- وكانت عِدَّة الطلاقِ في البيت لا في خارجه لقول الله تعالى: لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً[الطلاق/1] .
3- كان الطلاق في الحيض أو في طُهرٍ مَسَّها فيه طلاق بدعة ومع ذلك يقع تنكيلاً بمن طلق .
وكانت امرأة تقول لزوجها: كلما أغضبتني جئتني بشفيع لا يُرَدُّ !
وهذا لأن الجماع مودة ورحمة، ولهذا فقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ، فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ!
وقال ابن حزم وهو جهمي ظاهري- في طوق الحمامة- وفيه طوام- في باب من لا يحب إلا مع المطاولة (ص 46):

(إني لأعرف فتى كان يبتاع الجارية وهي كارهة له:
لقلة حلاوة شمائل كانت فيه، وقطوب دائم كان لا يفارقه ولا سيما مع النساء.
فكان لا يلبث إلا يسيراً ريثما يصل إليها بالجماع، ويعود ذلك الكُرْه حباً مفرطاً،ويتحول الضجر لصحبته ضجراً لفراقه!.
صحبه هذا الأمر في عِدَّة منهن .
فسأله بعضهم عن ذلك، فتبسم وقال: إذاً والله أخبرك:
أنا أبطأ الناس إنزالاً: تقضي المرأة شهوتها، وربما ثنّتْ، وإنزالي وشهوتي لم ينقضيا بعد، وما فترتُ بعدها قطُّ، وإني لأبقي بمُنَّتي – يعني قوتي- بعد انقضائها الحين الصالح.
وما لاقى صدري صدر امرأة قط عند الخلوة إلا عند تعمدي المعانقة.
وبحسب ارتفاع صدري نزول مؤخرتي.
وعكس هذا كان سبباً للتباغض بين امرئ القيس وامرأته:
قالت: ريحه كريح الكلب، ثقيل الصدر خفيف العجز، سريع الإراقة بطيء الأفاقة.
ومن ذلك الباب
وهو أن إصلاح ما بين الزوجين قد يكون بخلوة لهما:
أَن عَبْد الْملك بْن مَرْوَان كَانَ من أَشد النّاس حُبًّا لامْرَأَته عَاتِكَة بِنْت يَزِيد بْن مُعَاوِيَة ، فَغَضِبَتْ عَلَيْه ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا بَابٌ ، فحجبتْه وأغلقَتْ ذَلِكَ الْبَاب، فشقَّ عَلَى عَبْد الْملك فَشَكا إِلَى خاصته، فَقَالَ لَهُ عُمَر بْن بِلَال الْأَسدي: مَالِي عندَك إِن رَضِيَتْ؟ قَالَ: حُكْمُك ! فَأتى عمر بَابَها باكيًا، فخرجتْ إِلَيْهِ حاضنتها ومواليها وجواريها، فَقُلْنَ: مَا لَك؟ فَقَالَ: فزعتُ إِلَى عَاتِكَة ورجوتُها، فقد عَلمَتْ مَكَاني من أَمِير الْمُؤْمِنِين مُعَاوِيَة وَمن يَزِيد بعده، فَقُلْنَ: مَا لكَ؟ قَالَ: كَانَ لي ابْنَانِ لَمْ

يكن لي غَيرهمَا فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحبه، فَقَالَ أَمِير الْمُؤْمِنِين: أَنَا قاتلُ الآخر، فَقلت: أَنَا الْوَلِيّ وَقَدْ عفوتُ.

فَقَالَ: لَا أَعُوِّد النّاسَ هَذِهِ الْعَادة.

ورجوتُ اللَّه تَعَالَى أَن يحيا ابْنِي هَذَا، فدخلْنَ عَلَيْهَا فذكرن لَهَا ذَلِك، فَقَالَت: فَمَا أصنع مَعَ غَضَبي عَلَيْه، وَمَا أظهرت لَهُ؟

فَقُلْنَ: إِذنْ واللَّه يَقتل ابْنه.

فَلم يزلن بهَا حَتَّى دَعَتْ بثيابها فلبستْها، ثُمّ خرجتْ إِلَيْهِ من الْبَاب، فَأَقْبلَ خَدِيج الْخَادِم، فَقَالَ: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِين! عَاتِكَة قَدْ أقبلتْ، فَقَالَ: وَيلك! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قَدْ - وَالله - طَلَعَتْ.

قَالَ: فأقبلتْ فسلَّمتْ فَلم يَرُدَّ، فَقَالَت: أمَا - واللَّه لَوْلَا عُمَرُ بْن بلَال مَا جئتُ قطُّ، فَلَا بدَّ أَن تَهَبَ لي ابنَه، فَإِنَّهُ الوليُّ وَقَدْ عَفَا.

قَالَ: إِنِّي أكرهُ أَن أُعَوِّدَ النّاس هَذِهِ الْعَادة.

فَقَالَت: نَشَدْتُك اللَّه يَا أَمِير الْمُؤْمِنِين، فقد عرفتَ مَكَانَهُ من أَمِير الْمُؤْمِنِين مُعَاوِيَة وَمن يَزِيد.

فَلم تزل بِهِ حَتَّى أخذت رِجْله فقبّلتها، فَقَالَ: هُوَ لَكِ، فَلم يبرحا حَتَّى اصطلحا.

قَالَ: ثُمّ رَاح عُمَر بْن بِلَال إِلَى عَبْد الْملك، فَقَالَ لَهُ: رَأينَا ذَلِكَ الْأَمر، حاجتُكَ؟ قَالَ: مزرعةً بعَبيدِها وَمَا فِيهَا، وأَلْفَ دينارٍ، وفَرَائضَ لوَلَدي وأهلِ بَيْتِي، وإِلْحاقَ عُمَّالِي.

قَالَ: ذَلكَ لَك !

رواه المعافَى في الجليس المجلس ([27]ومن طريقه في تاريخ دمشق [698/12 ق] من طريق محمد بن زكريا (الغلابي له التاريخ) : نا عبد الله بن الضحاك : حدثني الهيثم بن عَدِيّ (له التاريخ) : حدثني أبي- به.

وفي ذلك المعنى قال الشاعر (الخطيب 350/11):

قم نُهَنِّي صاحبيْن ... أصبحا مصطلحيْنِ

جُمِعا بعد فراقٍ ... فُجِعا منه وبَيْنِ

ثم عادا في سرورٍ ... مِن صدودٍ آمنيْنِ

فهما رُوحٌ ولكن .. رُكِّبَتْ في جسديْنِ

فالفراق يُذَكِّر الموت وزوال النعمة.
والصلح يُذَكِّرُ النعمة ويجددها.
فهذا المعنى يصلح أي تخاصم من ذلك النوع:
اشْترى عَبْد اللَّه بْن طَاهِر جَارِيَة بخمسةٍ وَعشْرين ألفًا عَلَى ابْنة عَمِّه، فوجِدَتْ عَلَيْه، وقعدتْ فِي بعض المقاصير، فمكثتْ شَهْرَيْن لَا تُكَلِّمه، فَعمل هذَيْن الْبَيْتَيْنِ:
إِلَى كَمْ يكونُ العَتْبُ فِي كل ساعةٍ ... وَكم لَا تَمَلّين القطيعة والهَجْرَا
رُويدَكِ إنّ الدَّهْر فِيهِ كفايةٌ ... لِتَفْرِيقِ ذاتِ البَيْنِ فانتظري الدهرا
وقَالَ لِلْجَارِيَةِ: اجلسي عَلَى بَاب المقصَورة فَغَنِّي بِه !
فَلَمَّا غنت الْبَيْت لأوّل لَمْ تَرَ شَيْئا، فَلَمَّا غَنَّت الثَّانِي فَإِذا هِيَ قَدْ خرجتْ مشقوقة الثَّوْب حَتَّى أكبَّتْ عَليّ رِجْلِه فقَبَّلَتْها.
رواه المعافى في الجليس (المجلس 31 في2/ 96 ومن طريقه في مصارع العشاق 167/1)

الفصل الثامن والثلاثون
مع العجلة الندامة !

قال ابن حزم- وهو جهمي ظاهري- في كتابه طوق الحمامة- وفيه طوام- في باب الضَّنَى (ص 138):
حدثني أبو بكر محمد بن بقي الحجري وكان حكيم الطبع عاقلاً فهيماً- عن رجل من شيوخنا لا يمكن ذِكْره أنه

كان ببغداد في خان من خاناتها (الخان الفندق)،
فرأى ابنة لوكيلة الخان، فأحبها وتزوجها.
فلما خلا بها نظرتْ إليه- وكانت بكراً- وهو قد تكشف لبعض حاجته، فراعها كبر أيره، ففَرَّتْ إلى أمها.
وتقادت منه، فرام بها كل مَن حواليْها أن تُرَدَّ إليه، فأبتْ وكادت أن تموت ، ففارقها، ثم ندم، ورام أن يراجعها، فلم يمكنه... فلم يقدر أحد منهم على حيلة في أمره، فاختلط عقله، وأقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد، ولقد كان إذا ذكرها يتنفس الصعداء .
ففي هذا عبرة من أمور:
- أثر الليلة الأولى على كل منهما.
- التستر في العورة الكبرى لكل منهما حتى يتآلفا.

- التستر حال قضاء الحاجة قدر المستطاع فإنه لا ينبغي أن يرى كلٌّ منهما من الآخر إلا كل طيب، وقد قالت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق- رضى الله عنهما:
ما كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبول إلا جالساً.
- ليس كل النساء- خاصة الأبكار- يعجبهن رؤية عورة زوجها .
ومن هذا الباب قصة عروس
لما خلا بها زوجها ما هي إلا لحظاتٌ حتى وجدها عارية تمامًا على الفراش ! فشكَّ فيها ، واستهجن ذلك منها ، ولم تطب نفسُه إلا بالطلاق !
كل شيء في موضعه حسن ، فالعجلة والأناة لكلٍ وقته
قد يدرك المتأني بعضَ حاجتهِ...وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ
وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل حديث عهد بزواجٍ : الكيْسَ الكَيْسَ .
ومن الباب قصص من الطب الحديث
تزوجا، وفي الليلة الأولى لم يستطع الزوج إتيان زوجته.
في اليوم التالي ذهب للطبيب، فأعطاه حقنة موضعية بطريقة عشوائية، والحقن الموضعية إذا ما أدت إلى نشاط لا ينبغي أن يستمر ذلك أكثر من 4- 6 ساعات، بعدها يتدخل الطبيب لإفراغ المكان من الدم خوفاً من تجلطه وإحداث تليف في المكان .
والذي حدث أن النشاط دام طويلا، وكان الشاب سعيداً !
ولكن بعد يومين كاملين من النشاط المستمر حدث تليف أدى إلى الفقدان التام للقوة لهذا الشاب البائس الذى لم ينصحه طبيبه، فلم يجد وسيلة إلا زرع جهاز تعويضي.
وقصة أخرى

ذهب الرجل ليلة عرسه ، فاشترى مقويًا من العسل ونصحه البائع أن يضع عليه مقدارًا بعينه من غذاء الملكات ، فبات الرجل الليلة في المستشفى لا في بيته !
قال : مقدار كذا يقوّي ، فازيد المقدار !
وهذا يشبه قصة رُويت عن الملك العباسي الفاسق الملقب الواثق وصفوا له للقوة قطعة صغرة من جلد أسد – ولا تجوز ، فزاد ليزداد قوة ، فصار بجسمه حرارة عظيمة مات منها !
وهاك قصة مستعجل آخر
تزوجا، وفي الليلة الأولى لم يكن شيء، وما أكثر الأسباب النفسية في تلك الحالات:
فمنها ما يكون الرجل هو السبب: كأن يشكَّ في قدرته ، أو تمنعه كراهيته للمرأة .
ومنها ما تكون المرأة هي السبب: بتسلطها عليه وأنها لا تقبله حتى يعطيها من المال، أو سوء حالها من إهمال الزينة وانبعاث الروائح الكريهة من فمها وثيابها.
فثارت بينهما المشاكل.
في اليوم التالي ذهب الزوج للطبيب، فوصف له الحقن الموضعية.
وسرعان ما بريء، لأن ضعفه كان نفسياً لا عضوياً.
ومَرَّتْ شهور، والمرأة لم تحمل، فانزعجتْ، وعادتْ ذاكرتُها إلى الليلة الأولى، وطلبتْ من زوجها في لهجة حادّة أن يحلل فكانت النتيجة مما لا يُرضي ، فامتنعت المرأة عنه فلا فائدة طالما أنه لن يكون هناك أولاد! وأدى ذلك إلى انتكاسة جديدة للزوج في قوته.
وبزيارة للطبيب تم اكتشاف السبب سريعاً:

إنه تلك الحقن الهرمونية، فقد أدت إلى نقص حادٍّ في عدد الحيوانات ،ويظل تأثيرها لمدة ثلاثة أشهر،ثم يزول تدريجياً.
ولم تمض شهوراً قلائل حتى حملت المرأة، وولدت، وعاشا بعد ذلك سوياً.
وتلك أخرى
ذاك في الخامسة والخمسين من عمره، متزوج، وله ولدان وبنت تزوجوا جميعاً، وله حفيدان، أصيب بشلل نصفي.
ويفاجأ الجميع وهو على فراش المرض بزوجته التي تصغره بثلاثة أعوام وهي تطلب الطلاق لضعفه عنها وأصَرَّتْ رغم محاولات أولادها.
برئ الرجل من الشلل، ولم يزل على حاله من الضعف بسبب نفسي مما صنعته المرأة.
بعد علاج شهرين استعاد الرجل قدرته كاملة، وتزوج بأخرى!
فهذه قصص ذكرها في كتاب الضعف (ص112-119).

الفصل التاسع والثلاثون

ليلةٌ ولا كلُّ ليلة !

قال الهُذَيْل بن تَوْلَب التغلبي:
خرجت في طلب بعير لي شَرَدَ حتى تغولتُ البادية، فلما صرتُ إلى حيٍّ من (قبيلة) كلب (وهي من قبائل العرب المعروفة) إذا رجالٌ مجتمعون، وشيخ جالس في صدر المجلس:
فقام رجلٌ منهم، فقال: من يزيد؟!
فسلمتُ، فرَدُّوا السلام.
فقلت: على أي شيء تزايدون؟!
قال: على بنت سيدنا (سيد الحي) !
فقلت: أتقبلون غريباً يدخل في سَوْمكم هذا ؟!
فقال الشيخ: إن كنتَ كريماً فادخل.

فقلت: أنا الهذيل بن تولب التغلبي.
قال: كفؤٌ كريم.
فقال رجلٌ: عليَّ خمسون ناقة.
فقلت: عليَّ ستون.
فلم نزل نتزايد حتى قلت: عليَّ خمسون ومائة ناقة.
فرجعتُ إلى أهلي حتى جمعتُها، فجئتُه بها، فلما رآني: قال لغلمانه: اضربوا له قبة أَدَمٍ (يعني جِلْد) وافرشوا له فيها.
فلما كان الليل إذا النساء قد أقبلن كأنهن الكواكب، وفي وسطهن جارية كأنها البدر، فسلمن علي، وقعدن عندي، ثم قمن:
فقلن لها: استوصي به خيراً، فإنه نائي الوطن!
(فعجبت من وصاتهن (لها) بي، وأن لا يكن أوصينني بها.
فقمتُ، فصليتُ أربع ركعات.
ثم ضربتُ بيدي إليها، فغمزتْ يدي غمزةً ظننتُ أن قد وَقَعَتْ أصابعي، فصحتُ، فأطلقتني ساعة أقلبُ كفي!
ثم نظرتُ إلى شيءٍ راعني (من جمالها)، فضربتُ بيدي إليها، فغمزتْ ذراعي غمزة بأصبعها، فظننت أن الذراع قد انكسر، فصحتُ ، فأطلقتني!
ثم قلتُ في نفسي: ويلك يا هُذَيل، امرأةٌ تفعل بك هذا؟!
فقمتُ، فأخذتُ بعضديها، فأخذتْ هي بعضدي، ثم أخذتْ من رأسها خماراً كان عليها، ثم كتفتني به!، ثم رَمَتْ بي في مؤخر الفراش!، ونامت فلم أزل مكتوفاً حتى انفجر عمود الصبح!.
قلت: ويحك حُلِّيني، فقد أبلغتِ إليَّ !
فحَلّتني، وأقبل النسوة: فقلن كيف كان مبيتُك؟!
قلت: بشَرِّ مَبيتٍ: ما زلتُ مكتوفاً حتى أصبحتُ!

فعَذَلْنها (أي أقبلن لوماً عليها) على ذلك، فما التفتتْ لكلامهن!
فخرجتُ ، فأتيتُ أباها، فقلت: إني أريدُ أهلي (يعني الرجوع لبلدي)
قال: سبحان الله، أقم عندنا أسبوعاً
قلت: ما إلي ذلك سبيل .
فدخل إلى أمها، فقال: هَيِّيء ابنتَك، فإن الرجلَ راحلٌ ، فهُيِّء لها بعير، وصِير عليه مخمل وهودج، ثم دفع إليَّ خطام البعير.
فلم أزل أسير، حتى إذا صرتُ ببعض الطريق لم أشعر إلا بهراوة (أي عصا) بين كتفي ، فخررتُ لوجهي، وإذا أسْودٌ قد برك عليَّ، فكتفني.
ثم أهوى إليها، فقال: انزلي !
قالت: على رِسْلِك (أي تمهل).
فنزلتْ، ثم قالت: اتق الله، فإني امرأة من العرب (أي من الأحرار لستُ من العبيد) فلا تفضحني .
قال: اسكتي يا لخناء (أي يا لئيمة).
قالت: فإن كنتَ لا بُدَّ فاعلاً فائتني بماءٍ لأقضي حاجة به.
وكانت ركية (أي بئر) فمضى ليجيء بماء، فأخذت خمارها من رأسها، وشَمَّرَتْ ثيابها ، ولَفَّت كميها، وتعصبت على بطنها وبدنها بالخمار:
ثم قالت: (أيها) عني يا ابن اللخناء.
فجاء إليها فضابرها، وضابرته، فلم يزل يرفعها وترفعه حتى ضربتْ به الأرض، ثم إنها وضعتْ مرفقها على أضلاعه، ثم اتكأت عليه فلقد سمعتُ كأنها حَطَبٌ !
وجاءتْ فرفستني وقالت: لا تزال مكتوفاً أبداً! فحَلَّتْني، وقالت: شأنَك والمُدْية (تعني السكّين) والكلب.

فصعدتُ، فأخذتُ المُدْية، فذبحتُه.
ثم قالت: إني امرأتُك وأهلُك، فهأنذا بين يديك: فإن شئتَ (فالآن) وإلا فصِرْ إلى أهلك (فهناك)
قلت لها: عودي إلى مكانك.
فعادت، فأخذتُ بالخطام حتى جئتُ إلى أهلي.
قال محمد بن مُحاسن: فلقد رأيت له منها ابنين كأنهما النخل السَّحُوق (الطويلة جداً) يبيعون الإبل بالكُناسة (سوق الإبل).

رواه الخطيب في المؤتنف- في باب محاسن (139-140/ ق) : أخبرنا عبد الكريم ابن محمد بن أحمد المحاملي : أنا علي بن عمر الحافظ (هو الدارقطني صاحب التصانيف) : نا محمد بن مخلد (له تصانيف) : نا الفضل بن العباس بن الربيع نا (عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب) ابن أخي الأصمعي قال: حدثني محمد بن مُحاسن قال: حدثني الهُذَيل- به.

وامتناعها عليه أولاً يشبه أحد أمرين والأول أرجح:
إما بسبب مسٍّ انفكَّ عنها بقتل الأسْوَد.
وإما بسبب أن بعض العرب كانوا يكرهون أن يُعرس بالمرأة في منزل أهلها.
ومن ذلك:
قصة فتاة جَهِلَتْ ماذا يكون، فلما كانت ليلتها أصرَّ الزوج بالقوة على الجماع دون مقدمات، فأبتْ، وحطمت أثاث غرفتها بالفندق، فجاء رجال الفندق برجال الشرطة، فقيدوها وسلموها إلى مستشفى المجانين- فيما قيل.
ومن ذلك:
قصة فتاة دخل بها زوجها، ثم سافر، ثم أبلغته بنزول الحيض، ثم أبلغته بعد ذلك بظهور الحمل، فطلب الطلاق، وطعن في عفتها، وذهب أبوها بها إلى الطبيب ليعلم:
أ- أنها بكر مع دخول زوجها بها وحَمْلها !
2- أنها حامل مع نزول الدم الذي ليس هو بدم حيض ولكنه دم فساد.

وفي تشنيف الأسماع (170/ ق):

قيل: إن رجلاً ألمَّ بجاريته، فأنزل قبلها وقد استحكمتْ شهوتُها وقاربت الإنزال، فلما قام عنها اختلط عقلها وصارت كالمجنونة تهذي وتصيح صياح المجانين، فقالت له زوجته: عُدْ إليها وإلا ذهبَ عقلها !

فواقعها وهي لا تعقل، فلما أَنزلتْ رَجَعَ عقلها، فعوتبتْ على ما وقع منها

فقالت: ما علمتُ بشيء مِن هذا، ولم أدر في السماء أنا أم في الأرض، فلو تركني على ذلك حتى يستحكم لذهبَ عقلي، فما انتفعتم بي أبداً، ولا خير لكم فيَّ بعدها، فبيعوني !

وفي طوق الحمامة – وفيه طوام - في باب الضنى (ص 138):

(إني لأعرف جارية من ذوات المناصب والشرف بلغ بها حب فتى مبلغ هيجان المِرار الأسْوَد، وكادت تختلط إلى أن تدوركت بالعلاج، وهذا إنما يُولد عن إدمان الفكر إلى حدِّ الوله والجنون)!

وهذا الذي وقع للنسوة لما رأين يوسف وجماله وكانت بأيديهن السكاكين:(وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُن)[يوسف/31] .

الفصل الأربعون

ليلة كسلان !

قال الأصمعي: دخلتُ على هارون وبين يديه بَدْرة:

فقال: يا أصمعي، إن حدثتني بحديث في العجز، فأضحكتني وهبتك هذه البَدْرة!

فقال: نعم، يا أمير المؤمنين:

بَيْنا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح، وإذا بأعرابيٍّ قاعدٍ على أَجَمَةٍ (مكان مرتفع) وهو عريان، وقد احتملت الريحُ كساءه، فألقته على الأجمة:

فقلت له يا أعرابي: ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة؟ !

قال: جارية واعدتها يقال لها. سلمي، أنا منتظرٌ لها .

فقلت: وما يمنعك مِن أخذ كسائك ؟!
قال: العجز يوقفني عن أَخْذِه.
فقلت له: فهل قلت في سلمي شيئاً ؟
فقال: نعم .
فقلت: أسمعني، لله أبوك!
فقال: لا أُسْمِعُك حتى تأخذ كسائي وتلقيه عليَّ !
وأخذتُه، فألقيتُه عليه، فأنشأ يقول:
لعلَّ الله أن يأتي بسلمى ... فيبطحها ويلقيني عليها
ويأتي بعد ذاك سحابُ مُزْنٍ ... تطهرنا ولا نسعى إليها
فضحك هارون حتى استلقى على ظهره، وقال: أعطوه البَدْرة.

رواه في عيون الأخبار (300/3) ، وهي سُلْمى بنت سعيد بن خالد بن عَمرو بن عثمان بن عفان، والقصة للوليد بن سعيد بن يزيد وكان تزوَّجها:
فقد روى في تاريخ دمشق في ترجمتها (ص 176) من طريق الخطيب (-) : أنا أبو نعيم (-) : نا سليمان بن أحمد (الطبراني) : نا أحمد بن يحيى ثعلب (ولهم كلهم تصانيف): نا الزبير بن بكار (في نسب قريش): قال الوليد:

ألا ليتَ الإله يجي بسلمى ... كذاك اللهُ يفعل مايشاءُ
فيُخرجها فيَطرحها بأرضٍ ... فيُرقدها وقد سقط الرداء
ويأتي بي فيطرحني عليها ... فيوقظها وقد قُضِيَ القضاء
ويرسل دِيمةً سَحاًّ علينا ... فتغسلنا ولايبقى غثاء

وذكرها في العقد الفريد (5/217) بلفظ: لعل الله يجمعني بسلمى/ أليس الله يفعل ما يشاء). واليس بنا عناء)!
وفي أعلام النساء (2/245- 246) مثله و (دِيمة من بعد هذا)
قال ذاك الصفدي في شرح اللامية (2/ 45):

(ما سُمِعَ في الكسل أبلغ من قول القائل:
دعوتُ الله يجمعني بسلمى ... ويطرحها ويلقيني عليها)!
وإياك أن تستقلَّ بأعجزِ الناس في ذلك الأمر ولو كان من السن أو الضعف، فقد ذُكِر عن عُبادة بن الصامت رضي اله عنه قال: (وبلغت الثمانين وصاحبي (يعني ذَكَرَه) أصمُّ ولا أكل إلا ما لُوِّقَ لي ولا أخشى إلا النساء)، فإن الشيطان ينفخ فيه ليُهلكه !
ومن ذلك:ـ قصة المُقْعَد!

فقد مرض رجلٌ وضَعُفَ وأصابته زمانة، فأُقْعِدَ حتى صار جلدة على عظم، أحبن مصفرٌّ قد ظهرتْ عروقه، وكان بين أبيات سعد بن عُبادة رضي الله عنه .
فدخلتْ عليه جارية من الحي تعوده، فهشَّ لها، فوقع عليها!
فسُئلتْ: من أحبلكِ ؟ قالت: المُقْعَد!
فسُئِل، فقال: صَدَقَتْ ، سلوا لي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليُقِمْ عليَّ الحد وليُطَهِّرْني.
فرُفِعَ شأنه فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
اضربوه حَدَّه، اجلدوه مائة.
فقالوا: يانبيَّ الله، ما رأينا بأحدٍ من الناس الضرَّ مثل الذي هو به، والله لو حملناه إليك لتفسختْ عظامه، ما هو إلا جلد على عظم، لو ضربناه مائة سوط مات!
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:خذوا له عثكالاً فيه مائة شمراخ (يعني من النخل) فاضربوه بها ضربة واحدة.
رواه أحمد (5/ 222) وأبو داود (4472) والنسائي في الكبرى وابن ماجه (2574، 2575) وغيرهم وقد خرجته في (صلة المسند ح 15- 16 ص 69- 81).
ومن الباب قصة الغَريق!
انكسرتْ سفينة، فتعلق رجل وامرأة بخشبة، فراودها على هذه الحال !
فبعد هذا:
لا تأمن امرأةٌ على نفسها رجلاً مهما كان حاله.
ولا يأمن رجلٌ كذلك امرأة.
ولا تأمن امرأةً من نفسها ولا رجلٌ من نفسه.
وصدق رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما).
وتواصى السلف الصالح رحمهم الله تعالى :
(إياك أن تخلوَ بامرأة ولو قلتَ: أعلِّمها القرآن) !

الفصل الحادي والأربعون

الفرقُ بينـهما !

قال الأصمعي: كنت جالساً مع هارون، فأُصعد إليه الأسقف- وكان طبيباً عالماً (بالطب) وقد كُفَّ بصره، فجاءتْ جارية من جواري هارون، فأخذتْ بيده، فأجلستْه بين يدي هارون، وأبطأت عنه الجارية حيناً، فسأله عما أراد، ثم قال: يا جارية، خذي بيده، فأخذتِ الجارية بيده، ومَشَتْ به هُنَيْهَةً، ثم قال: رُدّيني- يعني إلى مولاك، فرَدَّتْه، فقال:

إن جاريتك أخذتْ بيدي حيث صعدتُ وهي بكر، وأخذت بيدي الساعة وهي ثيب!

فسأل عن ذلك، فأُخبر أن ابناً له افترَعها.

رواه في المجالسة (3130).

فذهبَ والله الحياءُ من البكر قبل الثيب حتى إن البكر لتمشي بين الرجال كالعارية بلا ثوب، بل عارية، وكلماتها وحركاتها كذلك، وما لها لا تكون كذلك

والحياء من الإيمان- كما قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أطلقتْ بصرها على ذلك الجهاز الخبيث وما تعلمتْ من أبويها الحياء، والله المستعان.

وأما البكر فلا حياء لها ولا مع أبيها وأخيها حتى إنها لتجلس كالعارية معهما فى جسمها وكلامها.

وأما الثيب التي كانت تستحيي، فإذا تزوجتْ لم تبال بما يتعرَّى من جسمها لحمًا أو وصفًا أو كلامًا !

وأما الجارية المذكورة ها هنا فهي المملوكة، ولا يجوز للمرأة ولو كانت مملوكة مس الرجل الأجنبي ولا مصافحته فقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لأن يُطْعَنَ أحدُكم في رأسه ولو بمِخْيَطٍ من حديدٍ له من أن يمسَّ امرأة لا تحلُّ له.

الفصل الثاني والأربعون

ليلة المدني!

كان بالمدينة مخنثٌ يدلُّ على النساء يقال له: أبو الحُرّ، وكان منقطعا إليَّ، فدلني على غير ما امرأه أتزوجها، فلم أرضَ عن واحدة منهن، فاستقصرته يوماً فقال: والله يا مولاي لأدلنك على امرأة لم تَرَ مِثلها قط، فإن لم ترها كما وصفتُ فاحلق لحيتي!

فتزوجتُها، فلما زُفَّتْ إليَّ وجدتُها أكثر مما وصف.

فلما كان في السَّحَر إذا إنسانٌ يدقُّ الباب:

فقلت: مَن هذا؟

قال: أبو الحُرّ، وهذا الحجام معه! (يعني ليحلق لحيته!).

فقلت: قد وَفَّرَ الله لحيتك يا أبا الحر، الأمرُ كما قلت!

(العقد الفريد 7/98) قال العتبي: حدثني رجل من أهل المدينة

ومن قصص هؤلاء الدلالين والدلالات:

قصة رجل قالت له الدلالة: لأزوجنك نرجسة (أي امرأة بيضاء كبياض النرجس)

فلما دخل بها وجدها قد شاب شعرها !

فعاتب الدلالة، فقالت: ما كذبت عليك: هي طاقة نرجس: الرأس بيضاء، والعين صفراء، والساق خضراء!

وآخر لما دخل بها وجدها عرجاء، فعاتب الدلالة، فقالت: زَوَّجْتُك امرأة، ولم أزوِّجْك حماراً تحج عليه!

ومن عجائب الجواري:

ما رُوي أن الفضل بن الربيع دخل على هارون يحدثه بعجيبة أن عنده جاريتين مكية ومدنية، فغمزته المدنية فهيجته، فقامت المكية به، فتخاصمتا:

قالت المدنية: من أحْيَى أرضاً ميتة فهي له.

فقالت المكية: ليس الصيد لمن أثاره ولكن لمن اصطاده

(الميزان/ الحسن بن محمد بن نصر).

ولا يعجبني أبداً ذِكْر نصوص الشرع في مثل هذا المجون، وقد قال الله تعالى:
ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج/32]
فهذا في الشعائر والشرائع فكيف بكلام الله تعالى وكلام رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!
(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) [التوبة/65]

الفصل الثالث والأربعون

ليالي الحجاج- لعنه الله

ذُكِرَ النساءُ عنده، فقال: عندي أربع نسوة:
فأما ليلتي عند هند: فليلة فتى بين فتيان يلعب ويلعبون.
وأما ليلتي عند أم الجلاس: فليلة أعرابي مع أعراب.
وأما ليلتي عند أمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله: فليلة عالم بين العلماء .

(العقد الفريد 7/ 98) وقد ذكرت في [الإتحاف بفضل حديث الإنصاف] قصة من ذلك المعنى)
وروي صاحب الأغاني (18/129-130 وتحفة التجاني 493و494و03 0 1) وغيره عن المدائني وغيره

لما خطب هند بنت أسماء فوصفت له بحُسْنٍ ، فأرسل إليها بثياب وعبيد:
فأرسل إليها إني أكره أن أبيت خلواً ولي زوجة !
فأرسلت إليه: وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها صداقها وكرامتها ؟!
ثم أصلحتْ شأنها، وأتته من ليلتها .
ووقفتْ ليلاً تتأمل حُسْنها أمام المرآة، وأنشدتْ تقول:
وماهند إلا مُهْرَةٌ عربية ... سليلة أفراس تجللها بغلُ!
فإن ولدتْ مُهْرًا فلله دَرُّها ... وإن ولدتْ بغلاً فجاء به بغل!
وكان الحجاج عندئذ آتياً من وراء حجاب، فصكَّ سَمْعَه ما قالته ! ، فقال غاضبًا: ياهند، لقد كنتِ فبِنْتِ!

وقال لخادمه : بَلِّغْها اني طلقتها في كلمتين فقط لو زدتَ ثالثة قطعت لسانك وأعطها هذه العشرين ألف دينار .
فقالت :خذها لك بالبشرى التي جئت بها !
لقد كنا فما فرحنا، وبِنَّا فما حَزِنَّا !
وبعد طلاقها من الحجاج لم يجرؤ أحدٌ علي خِطْبتها
فأغرت بعض الشعراء بالمال فامتدحوها وامتدحوا جمالها وفصاحتها عند عبد الملك بن مروان ، فأرسل من يصفها له
فقيل : إنها لاعيب فيها غير أنها عظيمة الثديين
فقال: وما عيب هذا : تُدفيءالضجيع, وتُشبع الرضيع .
فلما خطبها وافقت بشرط ان يسوق الدابة من مكاني هذا إليك في بغداد الحجاج نفسه فوافق
وما كاد الطريقُ ينتصف حتى ألقتْ أمام الحجاج بدينار.
وصاحت: يا جَمَّالُ، لقد سقط مني درهم!
فتناوله قائلاً: إنه ليس درهماً، إنه دينار!
فتجيبه في تَشَفٍّ : الحمد لله الذي أبدل بدرهمي ديناراً!
ففهمها الحجاج وأَسَرَّها في نفسه أي أنها تزوجت خيرًا منه
وعند وصولهم تأخر الحجاج والناس يتجهزون للوليمة
فأرسل إليه عبد الملك ، فردَّ عليه : نحن قوم لا نأكل فضلات بعضنا ، ففهم عبد الملك مقصد الحجاج أنه قصد بالفضلات هنا المرأة ، وأمر أن تدخل بأحد القصور ولم يقربها إلا أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر
فعلمتْ هي سبب عدم دخوله عليها, فاحتالتْ لذلك وأمرت الجواري أن يخبروها بقدومه ، فتعمدت قطع عِقْد اللؤلؤ عند دخوله ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآليء
فقالت وهي تنظم حبات اللؤلؤ:سبحان الله
فقال: عبد الملك مستفهما : لم تسبحين الله ؟!
فقالت: إن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك   قال: نعم

قالت: ولكن شاء ألا يستطيع ثقبه إلا الغجر !
فقال: صدقتِ, قبح الله من لامني فيك ، ودخل بها من يومه.

كذا ذكرها بعضهم ، وفي العقد الفريد (7/ 108) عن المدائني (له تصانيف) قال: كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بَشير، فعابت عليه قبيلته وجُبْنه وغَيْرته، فردَّ ذلك العيب فقالت وهل هند إلا مهرة ـ الشعر ونفسه عن عُمر بن شَبَّة في الأخبار (ـ وعنه بلاغات النساء136- 137) لحميدة بنت النعمان في نزاعها لزوجها روح .

الفصل الرابع والأربعون
ليلة سجاح مع مسيلمة لعنه الله تعالى

كان قد تسمى في الجاهلية بالرحمن، فلما أن بُعث رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل إليه يدعوه إلى الإسلام، فلم يرجع مسيلمة عن كذبه، وقال: كلانا نبي، فإن آمن بي آمنت به !!
فقيل: قامت سجاح تَدَّعي النبوة! وادَّعَتْ أن مما أُنزل عليها: يا معشر تميم، اقصدوا اليمامة !
فأرسل مسيلمة إلى وجوه قومه فقالوا: الرأي أن تسلِّمَ الأمر إليها وتنجو بنفسك، فإن لم تفعل فهذا البوار .
فأرسل إليها كتاباً: قد أُنزل عليَّ وحيٌ، وأنه نزل عليك وحيٌ، فهلمَّ نتدارس ما أُنزل علينا، فمن غلب صاحبه اتبعه الآخر، ونكون لُحْمة واحدة، ونأكل العرب بقومي وقومك!
فلما وصل الكتاب إليها أجابته إلى ما طلب.
فأمر، فضربت له قبة من أَدَمٍ [جلد] وأمر بالعود الهندي فأُحْرِقَ، وأَمَر أن يُستكثر لها من أنواع الطيب، فإن المرأة إذا شَمَّت الطيب تذكَّرَتِ الباه [يعني الجماع].
فأتته إلى القبة، وسألته عما أُنْزِلَ عليه!
فقال: ألم تَرَيْ إلى ربك كيف فعل بالحُبْلى!
فقالت: ثم ماذا؟
قال: ألم تري أن الله خلقنا أفواجاً. وجعل النساء لنا أزواجاً. نولج فيهن إن شئنا إيلاجاً، ونُخْرج منها إذا شئنا إخراجا !
فضحكتْ، فأنشأ يقول:

ألا قومي إلى [المِخْدَعْ] ... فقد هُيِّئَ لك المَضْجَعْ
وإن شئتِ ففي البيت ... وإن شئت ففي المخدع
فإن شئتِ فرشناك ... وإن شئتِ به أجمع
وإن شئتِ بثلثيه ... وإن شئتِ به أجمع
قالت: بل به أجمع! قال: وكذا أُمِرْتُ ! فواقعها!
فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يُنكح هكذا فيكون ذلك وصمة على قومي،ولكني مُسلمةٌ إليك النبوة، فاذا سلمتُها إليك فاخطبني إلى أوليائي.
وخرجا، فاجتمع الحيان: حنيفة وتميم، فقالت سجاح: إنه قرأ عليَّ ما أُنْزِلَ عليه من الوحي، فوجدته حقاً، فاتبعته! وخطبها ، وأمهرها قال: قد وَضَعْتُ عنكم صلاة العصر !

تاج العروس (128- 129/ ق وتحفة العروس للتجاني (1082) وفيها: (ذكر الرشاطي في كتابه اقتباس الأنوار والتماس الأزهار، وأضفتُ إلى كلامه نبذًا من غيره).
وهو في الأوائل للعسكري (ص 104- 404) عن شيخه أبي أحمد من طريق ابن الكلبي بسنده ح ورواه في الأغاني أيضا.

الفصل الخامس والأربعون

ليلة ناشز !

أُتِيَ عمر رضي الله عنه بامرأةٍ ناشز ، فشَكَتْ زوجها، فأمر بها إلى بيت كثير الزبل،فحبسها فيه ثلاثة أيام،ثم دعا بها لما أصبحتْ فقالت: ما وجدتُ راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليلة التي كنتَ حبستني،ما كنتُ عنده ليلة أقرَّ لعيني منها فقال لزوجها: اخلعها ولو من قُرْطِها (خذ ولو عِقاصها).

رواه ابن جرير وابن أبى شيبة (5/ 124) وعبد الرزاق في (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ)[البقرة/ 229]

الفصل السادس والأربعون

أحلام زنديق!

كتابٌ سماه (السحر الحلال) منسوب إلى ذاك السيوطي !
نفخ الشيطان فيه أحلام زنديق
ذلك أنه تخيل أن مقرئاً للقرآن بقراءته، ومفسراً له، ومحدثا، وقاضياً، ونحوياً ...

قد اجتمعوا، واتفقوا على أن يحكي كل منهم ليلته مع امرأته بشرطين:
أصرح حكاية مع التفصيل!
تكون كلها بألفاظ ومصطلحات وأسماء كتب علم كل منهم!
وقد قال الله تعالى في المنافقين وقد فعلوا دون ذلك:
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة/65-66]
وقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
ويلٌ للذي يكذب ليُضْحِك القوم.
أنا زعيمٌ ببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك المزاح وإن كان صادقاً.
إنما مَثَلُ ذلك كمَثَلِ شيطان لقي شيطانة فغَشِيها والناسُ ينظرون .
الحياء من الإيمان .
وقال الله تعالى في الأفّاك الأثيم : وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا [الجاثية/9]
وقال في الشعراء: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ.أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ.وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ[الشعراء/224-226]
فإنما حمله على تلك الزندقة محاولة التفنن في الكلام، فالحمد لله على العافية.

الفصل السابع والأربعون

ليلة حُرَّة وحسرة !

ذكر الجاحظ الجهمي في مفاخرة الجواري (ص 128):

عَلِقَ رجلٌ امرأة، فطال عناؤه حتى وقعتْ إليه، فصار بها إلى منزل صديق له مغنٍّ، ثم خرج يشتري ما يحتاج إليه، فقالت لصديقه: لو غنيتَ صوتًا إلى وقت مجيء صديقك، فتغنى:
من الخَفِرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها شنارا

فأخذت المرأة خُفَّها، ولَبِسَتْ إزارها، وقالت:
ويلي ويلي لا والله لا جلستُ.
فجَهِدَ بها، فأبتْ وصاحتْ، فخشي الفضيحة فأطلقها.
وجاء الرجل فلم يجدها، فسأله عنها:
فقال: جئتني بمجنونة! قال: ما لها، ويلك؟!
قال: سألتني أن أغنيها صوتًا، ففعلتْ، فقامتْ تُوَلْوِلُ، فخلَّيْتُها.
قال: وأي شيء غنيتَها؟
فأخبره.
فقال: حُقَّ لها أن تهرب.
فهذا شأن المستمع الذي يفهم ما يسمع
لا كشأن هؤلاء الحمير الذين يتناهقون عند سماع القرآن إعجابًا بالصوت دون خشوع
أو من يسمع ما لا يفهم ، أو لا يفهم ما يسمع !
وشان المغني كشأن من يتغنى بالجنة والنار ولا يفهم ماذا يقول ، فيبدو أن هؤلاء المغنين لا يفهمون !
وهذا يشبه قصة أخرى:
إذْ مَرَّت امرأة جميلة، فسألتْ رجلاً على باب:
أين الطريق إلى حمَّام منجاب؟
فأدخلها داره، وأغلق عليها، فلما رأتْ ذلك احتالتْ عليه.
فقالت: لا بُدَّ لنا من طعام وشراب.
فخرج ليشتري ذلك، فرجع فلم يجدها، فهام بها حتى كان وهو يحتضر يتغنى :
يا رُبَّ قائلةٍ يومًا وقد لَغِبِـَتْ ... أين الطريقُ إلى حمَّام منجاب
فلتحذر المرأة من مثل هذا المضلل !
كمن سألته امرأة عن منزل صاحبة لها فدلَّها على منزله !

لا ينبغي لها أن تدخل منزلاً لا تعرفه .

الفصل الثامن والأربعون

ليلة محتال !

زوجها يحضرها لعشيقها بنفسه

قال بعض أهل زماننا : في أحد الأيام اتصل عليَّ أحد زملائي وقال : أريدك أن تمرَّ عليَّ الآن في المنزل فالأمر ضروري ! فلماجئتُه قال : سوف يأتيني ضيف وأريدك أن تبقى معه حتى انتهي من شغلي فلدي شغل ضروري !
وبعد لحظات حضر الضيف وكانت برفقته زوجته
دخل الضيف في المجلس ودخلت زوجته عند زوجة زميلي
قدَّم زميلي العصير لنا وقال : أنا استأذنكم لديَّ شغلٌ وسوف أعود فورًا !
لاحظت أن زميلي لم يخرج خارج المنزل بل دخل إلى الداخل ومكث نصف ساعة تقريبا ، ثم خرج وقال للضيف : زوجتك تنتظرك عند الباب ، فخرج الضيف .
قلت لزميلي : أين الشغل لاحظتك لم تخرج من المنزل ؟!
قال : في الحقيقة وبيني وبينك زوجة هذا الرجل صديقتي وحَسْب الكلام المتفق بيننا أنها تقول لزوجها : لديَّ صديقة وأريد أن أشتري منها أشياء !
لم أصدقه ، فقال : إذا لم تصدقْ تعال معي إلى غرفة النوم
سألته : وأين زوجتك ؟ قال : عند أهلها !
ومن باب الحِيَل:
آخر احتالت عليه امرأة حسناء فقالت له: أنا بنت فلان وهو يمنعني من الزواج ، ويقول: عمياء- أفعمياء أنا ؟! ويقول: زعراء- أفزعراء أنا؟! ويقول: عرجاء-وهكذا وهي تفتنه بمحاسنها، فأرسل إلى أبيها يخطبها، فذكر عيوبها.
فقال: قد رضيتُ بها على عيوبها !

فلما دخل بها وجدها عمياء زعراء عرجاء غير التي جاءته!

الفصل التاسع والأربعون

ليلة متعامي !

تزوج رجلٌ امرأة ذات جمال، فلما قَرُبَ زفافها إليه أصابها الجدري، فغيَّر محاسنها، فاشتدَّ حزن أهلها لذلك خوفاً من أن يستقبحها ولا تعجبه، فأراهم الرجل بعد أن فطن لذلك أنه قد أصابه رمد في عينيه، وبقي على ذلك أياماً، ثم أراهم أن بَصَرَه قد ذهب حتى زُفَّت إليه، فزال عنهم الحزن .

فبقيت عنده عشرين سنة وهو على تلك الحالة !

ثم توفيت فأراهم أنه قد أبصر، فقيل له في ذلك التعامي، فقال:تعمدتُه لأجل أهلها حتى لا يحزنوا!

وتصامم آخر إذْ خرج من امرأته ريح، فخجلتْ، فتصامم ليذهب عنها الخجل .

ذكرهما في الإتحاف (7/ 436- 437).

وأيًّا كان فالمراد هو تغافل كل منهما عن عيب صاحبه مما لا طاقة له فيه من باب حُسْن العشرة وترك التعيير لا عن عيب في دينه وخلقه مما يمكنه- بالاستعانة بالله تعالى- إصلاحه.

الفصل الخمسون

ليلة أسير !

قيل إن أعشى هَمْدان وقع أسيراً عند الديلم، فعشقته ابنة العِلْج الذي هو أسيرٌ عند أبيها، فأتته ذات ليلة، فأمكنته من نفسها، فواقعها سبعاً أو ثمانياً.

فقالت: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم؟!

قال لها: نعم.

قالت: بذا نُصرتم! أرأيتَ إن خَلَّصْتُك أكنتَ تصطفيني لنفسك؟

قال: نعم.

وعاهدها على ذلك، فحَلَّتْ قيوده، وأخذتْ به طريقاً تعرفه حتى تخلصا، فقال في ذلك بعض الشعراء:

فمن كان يفديه من الأسر مالُه..فهَمْدَانُ يفديها الغداةَ أيورُها!

رواه في الأغاني (5/ 148) وعنه في الفرج بعد الشدة (2/ 122- 123) وذكره ابن عبد المؤمن في شرح المقامات (تحفة العروس ص 335).

قلت: إنما صنع بها ذلك تأولاً منه أنها له أمةٌ حلالٌ وأخطأ فإنه لا يكون هذا حتى يسوِّغه إياها الأمير.

وقولها: بذا نُصرتم- تعني أن هذا دليل على فحولة الرجال وقوتهم، وأيضاً على عفتهم وعفة نسائهم.

الفصل الحادي والخمسون

عابدٌ فُتن وتاب! قصة سلَّامة والقس!

(كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جُشَم بن معاوية/63) ، (وقد كانت أصابت جَدَّهُ مِنَّةٌ من صفوان بن أمية/3) (وكان ينزل مكة/63) و(كان من عُبَّاد أهلها/63) و (كان عند أهل مكة مِن أحسنهم عبادة، وأظهرهم تبتلاً/2) (يُشَبَّه بعطاء بن أبي رباح/2) (كان يُقَدَّم على عطاء/41) (في النسك/41).

فمَرَّ يوماً بسلامة (جارية كانت لرجل من قريش، وهي التي اشتراها يزيد بن عبد الملك/5) (وهي تغني/431) (فسمع غناءها/53) (على غير تعمدٍ منه لذلك/2) (فتوقف يستمع/5) (فأصغى إلى غنائها/1) (فبلغ غناؤها منه كل مبلغ/2) (وفعل ذلك غير مرة/41) حتى رآه مولاها (فدنا منه/5) (فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمع منها/3):

(فقال له: ألا أُدْخِلك عليها فتقعد مقعداً لا تراك منه وتسمع/1) أو (هل لك أن أُخرجَها إليك، أو تدخلَ فتسمع/2)!؟.

فأبى عليه، فلم يزل به المولى حتى (أجاب/1)أو(تَسَمَّح!/5)

(وقال: أقْعِدْني في موضعٍ لا أراها ولا تراني!/2)

فقال له: (أفعلُ/5) (فإني أُقْعِدُك في مكانٍ تسمع منه ولا تراها

فقال: أما هذا فنعم.
فأدخله داره، وأجلسه حيث يسمع غناءها/3)
(فتغنت/2) (فلما رآها عَلِقَتْ بقلبه/3) (فأعجبتْه:
فقال مولاها: هل لك أن أحوِّلَها إليك!؟
فأبى، ثم تَسَمَّح!/5) (فأخرجها فأقعدها بين يديه/2) (وقعد معها/1).
(فلم يزل يسمع غناءها/5) (فشغف بها، وشغفت به/52) (فهام بها/3) (وعرف ذلك أهلُ مكة/52) (وسلامة قال فيها ابن قيس الرُّقَيَّات:
لقد فتنت ريَّا وسلامة القسّا...فلم تتركا للقس عقلاً ولا نفسا
فتاتان: أما منهما فشبيهة الهلال وأخرى تشبه الشمسا/5)
وجعل يتردد على منزل مولاها مدة طويلة، ثم إن مولاها خرج يوماً لبعض شأنه،وخَلَفَه مقيماً عندها/3) (فخلتْ به/41):
فقالت له: والله إني لأحبك!
فقال لها: وأنا والله (الذي لا إله إلا هو/6) أحبك!
قالت: وأحبُّ أن أضع فمي على فمك!
قال: وأنا والله أحب ذاك!
قالت: و (أشتهي والله أن أضاجعك/6) و (ألصق/5) صدرى على صدرك وبطني على بطنك!
قال: وأنا والله أحب ذاك!
قالت: فما يمنعك (من ذلك/6) فوالله (إن الموضع لخالي/652) (ما معنا أحد/41)!؟
قال: (ويحك/41) (يمنعني منه/6) إني سمعتُ الله- عز وجل- يقول: الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف/67]
فأنا أكره أن تكون خُلَّةٌ (ما/52) بيني وبينك (ومودتي لك/6) (في الدنيا/4) (تؤول بنا إلى/52) عداوة يوم القيامة.

(قالت: يا هذا، أتحسبُ أن ربي وربك لا يقبلنا إن نحن تبنا إليه ؟!
قال: بلى، ولكن لا آمن أن أُفَاجأ !/2) يعني موت الفجأة
(ثم [نهض][قام]/52)(وعيناه تذرفان/2) (مِن حُبِّها/3)
(وانصرف/5) (من عندها وهو يبكي/6) (فما عاد إليها بعد ذلك/6).
(وعاد إلى ما كان عليه من النسك/52) (والعبادة/3).
(وقال مِن فَوْره فيها:
إن التي طرقتك بين ركائب ...تمشي بمِزْهرها وأنت حرامُ
لتصيدَ قلبَك أو جزاءَ مودةٍ ... إن الرفيق له عليك ذمام
باتتْ تُعَلِّلنا وتحسبُ أننا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نيام
حتي إذا سطع الضياء لناظر فإذا وذلك بيننا أحلام
قد كنت أعذل، في السفاهة أهلها،فاعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم أنما سبل الضلالة والهدى أقسام/5)
(فكان بين الأيام يمُرُّ ببابها، فيرسل بالسلام إليها! فيقال له: ادخل، فيأبى/3).
قال أبو عبد الله: كلمة حق أُرِيدَ بها باطل، فأي عذر لأهل السفاهة وذاك القس في النظر والاستماع والخلوة، وترك التعفف، وعدم الاستعانة بالله على طاعته، والاستعاذة به من شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فاعجبْ لهذا القائل في فتنته وتوبته وعذره الباطل، ولو كان لعُذِرَ كل أهل الضلال، ولا يكون ذلك إلا من زنديق،ولكن عشق النساء يفتن حتى يُعمي ويُصِمُّ كما رُوي .
نسأل الله السلامة من الهوى والمعونة إلى الهدى.
ولبئس ما يصنع العاشق بعشقه مغنية، ولبئس ما يصنع التائب إذْ لا يقطع طريقه على هذا المكان وكلامه وصلته بهذا الإنسان كيلا يَجُرَّه الشيطان إلى أحموقة يضيع بها .

روى هذه القصة:

ثعلب في مجالسه (1/5-6 ومن طريقه في تاريخ دمشق/ سلامة ص 188-190).
ح وابن أبي الدنيا ([-] ومن طريقة في تاريخ دمشق وفي ذم الهوى ص 258).
ح وصاحب الاغاني (8/6) ثني أحمد بن عبد الله بن عمار واسماعيل بن
يونس، أربعتهم نا (أبو زيد/ 5) عمر بن شبة (له تصانيف في أخبار البلدان وأخبارمكة).
حدثني خلاد بن يزيد الأرقط (الباهلي/ 4) قال: سمعت (من شيوخنا/ 5) أهل مكة يقولونه.
ح 2 والزبير بن بكار (وله نسب قريش وأخبار مكة والموفقيات..) قوله.
ومن طريقه رواه في ذم الهوى (ص 256) من طريق الخرائطي في اعتلال القلوب (108).
ح 3 والزبير بن بكار أيضاً (- ومن طريقه الأغاني 13/8- 14):أخبرني الحَسن بن علي : ثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : ثنا الزبير) : ثنا بكار بن عبد الرحمن.
ورموز المتون:
1= ثعلب 2= دمشق وابن أبي الدنيا3=الزبيرقوله4= ثعلب في مجالسه5=الأغاني عن خلاد6= وعن الزبير.
وما كان [] فهو مني.

ويشبه هذا على اختلاف في العفة
قصة جارية علي رضي الله عنه ومؤذنه

رُوي: كانت له جارية حسناء جميلة، فجاءتْه ذاتَ يوم:
فقالت: يا أميرالمؤمنين، إن ابن النباح مؤذنك يُحبني؟!
قال: وكيف علمتِ ذاك؟ قالت: إن شئتَ أريتُك!
قال: قد شئتُ.
قال: فجلس لها في موضع يراهما ولا يريانه، وأمرها أن تعرض له في وقت الصلاة، فخرج متوضئاً يريد المسجد، فعرضت له الجارية ، فقالت له خفياً: إني لأحبك!
فقال لها: وإني لأحبك! قالت له: وكيف إلى ذلك؟!
قال: فكشف القناع عن رأسه، ونظر عن يمينه وعن شماله، ثم قام على أطراف أصابعه، ثم قال:
نعم- بأعلى صوته- نصبر وتصبرين إلى يوم:
(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزُّمَر/10] ثم مرَّ، وتركها .
فأخرج عليٌّ رضي الله عنه رأسه من الموضع الذي كان فيه، فقال: خذها، هي لك، بارك الله لك فيها.
قال ابن أبي حاتم في العلل (1273): سألت أبي عن حديث

رواه الحَسن بن الزبرقان عن إسحاق بن رُفيع الذِّماري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: كان لعلي- فذكره قال أبي: (هذا حديث منكر).
والحَسن وثقه في تاريخ قزوين (2/ 408) وروي عنه أبو حاتم.
وإسحاق زعم في لسان الميزان (1/ 362- 363) أن قد بيض له، وفي الجرح (2/ 220) قول أبي حاتم: (مجهول) فلو سلم منه لكان صحيحاً،ويشتبه بإسحاق بن رافع المدني شيخ ابن جريج لا الراوي عنه.

وابن النباج عامر أبو النباج (المؤتلف للدارقطني/ 315 وابن ماكولا 330/7) وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري في تاريخه 6/ 451: منقطع).

ويشبه بعض هذا على اختلاف!:

ما رواه الخرائطي في اعتلال القلوب

أنه كان لسليمان بن عبد الملك الأمير غلام وجارية متحابان، فكتب الغلام إليها يومًا :

ولقد رأيتُكِ في المنام كأنما ...عاطيتني من ريق فيك البارِدِ
وكأنَّ كفَّك في يدي وكأننا ... بتنا جميعًا في فراشٍ واحد
فطفقتُ يومي كله متراقدًا ... لأراك في نومي ولستُ براقد!

فأجابتْه الجارية:

خيرًا رأيتَ وكلُّ ما أبصرتَه ... ستناله مني برغم الحاسد!
إني لأرجوأن تبيتَ مُعانقي ... وتبيتَ مني فوقَ ثديٍ ناهد
وأراك بين خلاخلي ودمالجي...وأراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ ذلك سليمانَ، فأنكحها الغلام، وأحسن إليها على أنه كان شديد الغَيْرة.

قال أبو عبد الله : هما من العبيد ، والنكاح الحلال يقطع باب الشر الحرام الذي بدأ بهذا العشق الفاجر .

ومن هذا الباب

قصة جارية محمد بن كُناسة من أتباع التابعين

كانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير، وكان أبو الشعثاء عفيفاً يعرِّضُ لها بأنه يهواها، فقالت فيه:

لأبي الشعثاءَ حبٌ باطن... ليس فيه نهضة للمتهمْ
يا فؤادي فاذدجر عنه ويا ...عَبَثَ الحبِّ به فاقعدْ وقُمْ !
زارني منه كلامٌ صائبٌ ... ووسيلاتُ المُحبين الكَلِمْ
صائدٌ تأمنُ منه غزلانهُ ... مثلما تأمن غزلانُ الحَرَم
صَلّ إن أحببتَ أن تُعطى المُنى يا أبا الشعثاء لله وصُمْ
ثم ميعادُك يومَ الحشر في ... جنة الخلد إنِ اللهُ رَحِمْ
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً ... يافعاً قد كَمُلَتْ فيه النِّعَمْ

وقال ابن حزم- وهو جهمي ظاهري- في كتابه طوق الحمامة- وفيه طوام- في باب التعريض (52- 53) وفضل التعفف (186، 189):

(وأنا أعرف فتى وجارية كانا يتحابان، فأرادها في بعض وَصْلها على بعض ما لا يَجمُل:

فقالت: والله لأشكونك في الملأ علانية، ولأفضحنك فضيحة مستورة!

فلما كان بعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك وأركان الدولة وفيه ممن يتوقى أمره من النساء عدد كثير، وفي جملة الحاضرين ذلك الفتى، وفي المجلس مغنياتٌ غيرها، فلما انتهى الغناء إليها اندفعت تغني بأبيات قديمة

فَصِلْني يافديتُك في حلالٍ ... فما أَهْوَى وصالاً في حرامِ

- ولقد حدثتني امرأة أثق بها أنها عَلِقَها فتى وعَلِقَتْه، وشاع القولُ عليهما، فاجتمعا يوماً خالييْن:

فقال: هلمّي نحقق ما يقال فينا !

قالت: لا والله لا كان هذا أبداً وأنا أقرأ قول الله: (الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف/67]

(هذا ذكرهً مغلطاي في الواضح المبينً في مصارع العاشقين ص 65قال: ذكر الحافظ أبو محمد الأموي- يعني ابن حزم).

ولقد حدثني ثقة من إخواني أنه خلا يوماً بجارية، فتعرضت لبعض ذلك:

فقال لها: كلا إنَّ مِن شكر نعمة الله فيما منحني من وصالك أن أجتنب هواي لأمره!:

قال أبو عبد الله: خلوته بها ووصاله لها مع أنها أجنبية عنه هو من هواه ومخالفة أمر الله !

قال الجهمي: (وما أقدر في هذه الأخبار وهي صحيحة إلا أحد وجهين لا شك فيهما:

ا- إما طبع قد مال إلى غير هذا الشأن، فهو لا يجيب فى كلمة ولا كلمتين ولا في يوم ولا يومين، و لو طال على هؤلاء الممتحَنين ما امتُحنوا به لأجابوا هاتف الفتنة.

2- وإما بصيرة حضرت في ذلك الوقت وخاطر تجرد انقمع به طوالع الشهوة في ذلك الحين لخيرٍ أراده الله- عز وجل- لصاحبه) .

وقد ذُكِرَ في قصة يوسف- صلى الله على نبينا وعليه وسلم: أنه لما عفَّ عن ملك المرأة بالحرام ملَّكه الله مصرَ كلها، وملَّكه المرأة بعد ذلك بالحلال!

وقد ذُكِر عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن ترك شيئاً لله أبدله الله خيراً منه .

الفصل الثاني والخمسون

ليلة عبد السوء

ذُكِرَ أن امرأة من أشراف قومها زنت مع عبدٍ لها، وهذا مما يستنكره العرب من الحرة أن تزني حتى قالت إحدى اللاتي يايعن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(أوَ تزني الحرة؟!) فكيف تزني مع عبدٍ لها؟!

فقيل لها: ما حَمَلك على هذا؟!

قالت طولُ السِّواد (كثرة الكلام) وقرب الوساد (قرب مكان نومهما) وبُعد البيت عن الناد (الخلوة).

فهذه ثلاثة مفسدة وأى ثلاثة وفيها عبرة.

وكذلك قصة امرأة الأسدي وقد غاب عنها أعواماً فهوِيَتْ عبداً لها ، فلما هَمَّتْ به أقبلتْ على نفسها ، فقالت : يا نفس لا خير في الشَّرَّة ، فإنها تفضح الحُرَّة وتُحْدِث العُرَّة .

ثم أعرضتْ عنه حيناً ثم همَّت به فقالت : يا نفس موتة مريحة ، خير من الفضيحة ، وركوب القبيحة ، وإياك والعار ، ولبوس الشَّنار ، وسوء الشِّعار ، ولؤم الدثَّار .

ثم همَّت به وقالت : إن كانت مرة واحدة ، فقد تصلح الفاسدة ، وتكرم العائدة ، ثم جَسَرَت على أمرها فقالت للعبد : أحضرْ

مبيتي الليلة ، فأتاها فواقَعَها ، فندمت وقالت : خيرٌ قليلٌ وفضحتُ نفسي ، فشهقت شهقة وماتت .
وآخر ضحكتْ سيدته في وجهه، فظنَّ أن ذلك من ميل لها

إليه، فجاءها ذات ليلة وقد تزين ففهمتْ، فقالت له: اصبر حتى أطيبك !
وجاءت بالمِجْمرة وفيها البخور، فوضعتها من تحت ثيابه، ثم قبضت على مذاكيره، فجزَّتها بموسى حادة (سكين شديدة) وهو يقول: صبراً على مجامر الكرام !
هذا ولا يجور للمرأة أن تتزوج عبدَها بالحلال ، فكيف بالحرام ؟ ، وإذا ملكت المرأة مِن زوجها شيئاً حَرُمَتْ عليه، فإن أعتقته ساعة تملكه فهما على نكاحهما، وإذا أُعْتِقَتِ المرأة وصارت حُرَّة وزَوْجها ما يزال على الرقّ خُيِّرَتْ كما في قصة مغيث وبريرة
وانظر سنن سعيد192/1/3و223 وعبد الرزاق66/4و77وذاك البيهقي17/7...
وقصة امرأة ملك مصر مع العفيف يوسف عبد زوجها سبقتْ
وأما قصص ما يسمى بالسكرتيرة والسائق والخادمة في بلاد جزيرة العرب فلها روائح عفنة قد فاحت ولا مانع !
نحو سنة 1422 عملت لمدة عام تقريبًا باحثة اجتماعية في السجون النسائية تابعة للقيادة العامة للشرطة، وكان عملي يقتضي مقابلة النساء المحكومات بعقوبات تستدعي السجن لفترات طويلة ودراسة ظروفهن الاجتماعية والنفسية التي أدت بهن إلى ارتكاب تلك الجرائم، من بين السجينات كانت هناك سجينة أندنوسية، صغيرة في السن لم تتجاوز الثانية والعشرين من العمر، وكانت متهمة بالشروع في القتل والزنى، فما قصتها ياترى لم اجد صعوبة كبيرة في التواصل معها فقد كانت على استعداد تام للحديث عن نفسها ومشكلتها وتفاصيلها الدقيقة على العكس من كل السجينات

المتحفظات الرافضات للحديث، بدأت معها الحديث لتسرد لي حكاية من أغرب الحكايات التي يمكن أن تمرَّ بك، لكي تعلموا كيف يفكر الآخرون ، بل كيف تفكر تلك الخادمات تقول:
نشأت في أسرة مزارعة فقيرة شديدة الفقر، وكانت والدتي هي التي تنفق علينا من أجرتها اليومية من عملها في المزرعة، أما والدي فقد كان رجلا سكيرًا سيء الخلق، لا يأتي للمنزل إلا لسرقة مال أمي أو لضربها، وحينما أصبحت صبية بدأت أمي تأخذني معها لأعمل في المزرعة، وهناك اكتشفت عالمًا آخر، فالعمل مع صاحب المزرعة لم يكن يتوقف عند حد الزراعة ، وإنما يتطرق إلى إرضاء نزواته وشهواته، وكان يمرُّ هو وشريكه كل يوم ليختار إحدانا فيأخذها إلى كوخ صغير في المزرعة ويقوم بمعاشرتها، لم تمانع أمي أبدًا حينما جاء دوري لكنها تجرأتْ وطلبت منه بعض المال ! لم أكن عذراء ، ففي طفولتي كنت مع العديد من شباب البلدة في مقابل القليل جدًا من المال، أو بلا مقابل إلا الشهوة !!!
كانت لنا جارة سافرت للخليج خادمة، فوجئنا بعودتها بعد سنة وشهرين من السفر، اجتمعنا كلنا، الفتيات والمتزوجات الشابات في غرفتها وبدأت تحدثنا عن مغامراتها مع صاحب البيت الذي عملت فيه، كانت تتحدث عن قصة أشبه بالخيال، فقد عاشت قصة حب عنيفة كانت هي المدللة في الحكاية، لقد استطاعت ان تستحوذ بذكائها على صاحب البيت، واصبح مغرما بها، وكان يعاشرها في الخفاء ويهديها الهدايا القيمة ويعطيها الكثير من المال، وكانت في الوقت ذاته تعاشر السائق الهندي وتأخذ منه المال، ولما علم صاحب المنزل بذلك غضب وقام بتسفيرها ، لكنها ليست

حزينة فقد جمعت من المال ما يكفي لتشتري بيتًا في أفخم مناطق أندونيسيا .
في تلك الليلة لم أتمكن من النوم أبدًا، كنت أفكر في كلامها، وكيف استطاعت ان تستحوذ على قلب صاحب المنزل وهي أقل مني جمالاً بكثير.
وبدأت في زيارة الكثير من المكاتب الخاصة بالتوظيف، لكني كدت أيأس فكل المكاتب تطلب المال في البداية، وأخيرًا عثرت على مكتب اتفقت معه أنه في حالة حصولي على وظيفة فإنه سيتقاضى جزءًا من راتبي لمدة أربعة اشهر، وأيضًا أسبوع كامل مع صاحب المكتب قبل السفر !
طلب مني المكتب ان اكتب معلومات كاذبة عني، كأن أكتب أني متزوجة ولديَّ أطفال، ثم قام بتصويري بملابس نظيفة وقصوا لي شعري ونظفوا شكلي حتى بدوت شخصًا آخر، وسافرت ، كنت أحلم أن أعيش خادمة لكن برتبة عشيقة رجل ثري ، وكانت الصدمة حينما قابلت مخدومتي لأول مرة، كانت امرأة قلت في نفسي : لا مشكلة لا بد أن زوجها في البيت، وذهبنا معا إلى البيت، بيتا فخمًا لا يسكنه سواها وأختها المريضة وحيدات بلا رجل،أصبت بإحباط شديد، لا أحد يزورهن ولا يخرجن إلى أي مكان، وبعد فترة جاءت لزيارتهم امرأة ومعها خادمتها الأندنوسية ، فأخبرتني أنه بإمكاني إبدال الأسرة التي أعمل لديها عن طريق المكتب بمبرر قوي، كما أخبرتني عن علاقتها بزوج مخدومتها كل صباح في غياب زوجته في عملها، فشعرت بالغيرة لأني أنا أيضًا أريد هذا ، رفضت العمل فتركوني في المكتب ورحلوا، وبعد يومين، بينما كنت أمسح وأنظف المكتب، دخل إلينا شاب في قمة الوسامة والجمال، وقد تعلقتْ عيناي به، وأحسست بقلبي يكاد يقفز من صدري، وبقيت أنظر إليه

وكلي أمل أن يكون بيته من نصيبي، وسمعته يقول بأن زوجته حامل وبحاجة إلى خادمة في أسرع وقت، وهكذا تحقق حلمي !
عندما دخلت منزله الصغير، شعرت بسعادة غامرة ، لكن حينما قابلت زوجته أصبت بالإحباط فقد كنت أعتقد حتى تلك اللحظة بأني جميلة، لكن حينما رأيتها علمت أني لا شيء ! ، لكني قلت في نفسي : لا يهم، إن أردت ان أغويه فسأغويه حتى لو كانت زوجته ملكة جمال، أعطتني ملابس فضفاضة ، فغضبت وقلت لها : أنا أريد أن أرتدي سروالاً وقميصًا ! ، فأفهمتني بهدوء أن هذه هي القوانين في البيت،كتمت غيظي !
الصدمة الثانية، أنها لا تعمل، فكيف سأنفرد ببطلي !
تعمدت ان اغير كل ترتيب دولابه بطريقة تجعله يحتاج لي لكي أعطيه ملابسه،وزوجته الغبية لم تلاحظ !
ولم تكن تسمح لي زوجته بالاقتراب منه مطلقا، كانت تحيط به، أنا أكوي الملابس وهي تقدمها له، أنا أطبخ وهي تقدم الطعام وتتناوله معه، أنا انظف الصالة وهي تسهر معه فيها، أنا أنظف الحمام وأعده بالعطور والزيوت وهي تستحم معه فيه، شعرت بالقهر، فكتبت رسالة لأهلي أشكو فيها ، فكتبت لي والدتي عن خلطة خاصة قد تسبب إسقاط الجنين لتنام الزوجة في المستشفى !
وبعد مضي شهر ازداد الوحم على زوجته وأصبحت لا تطيقه أبدًا، لا تأكل معه، ولا تسهر بصحبته بل تنام مبكرًا وتقضي كل اليوم في النوم .
وفي إحدى الليالي بينما كان سهران على التلفزيون في الممر، تجرأت فقد كانت فرصتي لكي أتصرف ولا يمكن أن أفوِّتها، كانت غرفتي قرب المطبخ وتطلُّ ببابها على الممر،

فلبست ملابس مغرية وخرجت أمامه وكأني لم أكن أعلم أنه موجود، وعندما رأيته تظاهرت بأني تفاجأت ، وعندما رآني استغرب كثيرا، ثم انزل رأسه وقال لي : عودي إلى غرفتك.
وفي اليوم التالي بعد الظهر نشأ خلاف كبير بينهما في غرفة نومهما، وأعتقد انه كان يرغب فيها وكانت ترفض ، وعندما شعرت أنه سيخرج قمت مباشرة بالتظاهر بأني ألتقط شيئًا من على الأرض فانحنيت في منتصف الممر ليمر بسرعة ملامسًا لي من الخلف !
وفي الليل بعد أن نامت ، خرجت من جديد من غرفتي لكن هذه المرة بملابس تبدو عادية قمت بقص كمها، وتضييقها بنفسي حتى بدت كقمصان النوم، وهكذا بقيت على هذه الحال مدة اسبوع، وهي لا تعلم شيئًا عما أفعل وهو لم يخبرها .
وفي صباح أحد الأيام خرجتْ هي بصحبة والدتها، .وكان هو في العمل، ، ولكنه عاد للمنزل، وكان يبحث في المكتب عن أوراق، فتظاهرت بأني لم أره، وقمت برفع ثوبي فوق ركبتي وربطته، واسرعت بجردل الماء والصابون وانحنيت على الأرض أمسح وكنت أغني بصوت جميل ، وعندما خرج من غرفة المكتب رآني على هذه الوضعية من الخلف ،
وأحسست بأنه يقف خلفي ... خرج ، وبعد نصف ساعة عاد، وعندما دخل المنزل كنت قد جلستُ على الأرض، وفتحت قدمي ، ولم اتوقع قدومه، وعندما دخل ورآني على هذه الشاكلة تقدم نحوي و تحقق حلمي ... ثم قال: لو أخبرتِ أحدًا قتلتك، والآن اذهبي من أمامي، وجلس على الأريكة حزينًا ، وفكرتُ سريعًا فأعددت كوبًا من العصير البارد، وخرجت إليه وبصوت حنون قلت له: ياسيدي أنا ملك لك أنا

أحببتك كثيرًا منذ رأيتك ! ، لكنه لم يتغير كان قاسيًا دفعني حتى وقعت على الأرض، وخرج غاضبا .
مرَّ يومان .. وعاد ذات ليلة في وقت متأخر من الليل، كانت هي قد نامت مبكرًا، وكنت أنا قد أعددت له السفرة وكنت أقف أمامه بملابس النوم المغرية التي أعارتها لي خادمة تعمل في البيت المجاور، فجَرَّني إلى غرفة الضيوف وأقفلها واستمرت علاقتنا فزوجته غبية، لم تشك في الأمر أبدًا وكنت أحرص كل الحرص على أن أرتدي أمامها الملابس الساترة وأدَّعي التدين وأصلي الفروض رغم أني لم أكن أصلي إلا هنا، فقد كانوا يخبروننا في المكتب عن أهمية أن نصلي امام مخدومنا لكي يثق بنا، فكنت أصلي طوال الوقت، وأهرب من العمل بالصلاة لكني لم أكن أصلي عن حق فعند السجود كنت أنام .
كنا نستغل فترة غيابها عن البيت عندما كانت تذهب للمراجعات في المستشفى كان يأخذها إلى هناك ويعود بسرعة وهنا أكون أنا قد تجهزت له، وأبدا في تعليمه الكثير من الحركات التي تعلمتها من قريناتي في بلدي..
وكانت هي غافلة تمامًا عنا، لكني لاحظت أنه أصبح يعاملها بلطف ، فشعرت بالغيرة الشديدة فهو حبيبي أنا وحدي وليس لها حق فيه ولن أسمح لها بأن تسرقه مني .
وفي تلك الليلة جاء إليَّ في غرفتي، لكني تمنعت، فسألني عن السبب فقلت له: أنا أحترق من الغيرة ، فقال لي: أنا لم أعد أحبها لكني أشفق عليها، وأمثل عليها حتى لا تكتشف علاقتنا فأنا لا غنى لي عنك !
ولكن بعد مضي الشهر الرابع من حملها، أصبحتْ أكثر هدوءًا وبدات في التزين له من جديد، حقدت عليها كثيرا،

وتمنيت لو تموت لأرتاح منها ، وأكلتني نيران الغيرة، سأفسد عليها يومها، وفكرت ماذا أفعل؟؟
جميلة جدا، تلك البائسة ستسلبني حبيبي، سأفسد عليها يومها، وفكرت ماذا افعل....؟؟
وعثرت على خطة.
ادَّعَيْت أمامها أني مصابة بمغص شديد، وعندما جاء من العمل، بدأت أصرخ بصوت عالي وأدَّعي المرض وأرجوه أن يأخذني للطبيب، وكانت الساذجة خائفة عليَّ وقالت له بخوف : خذها إلى المستشفى بسرعة فقد تموت، ربما أصيبت بالتسمم،........ وهكذا خرجت معه إلى السيارة وهناك ابتسمت له، وقلت له : لم يكن بي شيء، ولكن أرغب فيك بسرعة ولا أستطيع الانتظار حتى يأتي المساء لذلك عملت المسرحية .. وعاد إلى البيت منتهيًا !
لاحظت عليها الحزن والألم مساء ذلك اليوم، فيبدو أنها حاولت معه لكنه لم يُعِرْها اهتمامًا، كانت حزينة جدا، ... شعرت بالفرح، لأني انتصرت عليها،.....
ومرت الأيام وهي في كل مرة تحاول أن تغريه كنت أقضي عليه أولاً بأول، حتى ثارت المشاكل بينهما، لقد شعرت أنه يفتعل المشاكل وصار يكره شكلها وهي حامل وسذاجتها في معاشرته .
في أحد الأيام كبرت المشكلة وتفاقمت وكان هو السبب، فقد كان عصبيًا معها، ومدَّ يديه عليها، لأنه يريد أن يخلق المشاكل ليتجنب معاشرتها.... ولكنه لم يتوقع أن تترك البيت وتخرج.....
مر اسبوع على تركها للمنزل، وهو لم يعد كما كان، أصبح باردا بعض الشيء .

وبعد أسبوع قال لي: سأذهب لأعيدها للمنزل، وسأقسم النوم بينكما لها ليلة لك ليلة، قالها بحسم وقوة، فصمتُّ وكلي حقد عليها، وقررت أن أنتقم منها .....
وما كان المساء إلا وهي في البيت، دخلا غرفة النوم، ولم يخرجا حتى صباح اليوم التالي، وكنت طوال الليل افكر لم أنم أكلت قلبي الغيرة والرغبة في الانتقام منها تراودني وتذكرت الوصفة التي تسقط الجنين، وقررت أن أُعِدَّها وأقدمها لها لكي تدخل المستشفى ولا تعود.
والغريب في الأمر أن هذه المواد لا يمكن ضبطها عبر التحاليل المخبريه لأنها تبدو كسائر انواع الطعام .
وعندما استيقظتْ كانت سعيدة ومشرقة وفرحة، فلعنتها في قلبي وتمنيت لها الموت،
ووضعت لها كل الكمية التي املكها من المحلول في الشاي ، فقالت : لقد منعتني الطبيبة من الشاي لأنه لا يناسب الحمل ، فقمت بإعداد عصير طازج في الخلاط تحبه وأضفت عليه الشاي، ومزجته في الخلاط بشكل جيد ، وقدمته لها، فلم تشربه، فقالت لي بخجل : بصراحة طعمها غريب يبدو أني لا زلت واحمة ولا زالت المذاقات مختلفة في فمي ، اشربيه أنت فلا بد أنه لذيذ، خذيه، وحملته وقدمته لي، فارتعبت منها وأخذته بسرعة من يدها وعدت بالكأس إلى المطبخ وقمت بإفراغ ما فيه في المغسلة !
أرسلت لوالدتي لتبحث لي عن محلول آخر ليس له طعم ولا لون لكي لا تشعر به، لكنها رَدَّتْ عليَّ بأنها لا تعرف سوى هذا المحلول .
ومرت الأيام وأنا أتقلب فوق جمر الغيرة وكنت أحاول أن أطفئ بعض حقدي عليها من خلال إفساد ملابسها فأحرقهن بالمكواه، أو ألونهن في الغسالة خاصة تلك الملابس الغالية

عليها كقمصان النوم الثمينة وملابس السهرة، وعندما كانت تكتشف أعتذر لها وأخبرها أني مسكينة ولم ألاحظ ذلك وأني لا أعرف أن الملابس قد تحترق أو تتلون....!!!
عندما عادت له زوجته تجاهلني ...... لكني كنت أبتزه كل يوم لأنتقم منه مرة أهدده ومرة أطالبه بالمال والهدايا كتعويض وقد جمعت منه خلال شهرين فقط عشرة آلاف درهم !
وذات يوم خرجت مع أمها للسوق ، فاتصلت به في عمله، وعندما ردَّ عليَّ قلت له : إن زوجته خرجت وإني أريده الآن وإن لم يأت فضحته، وكنا معًا في غرفة نومهما ، وكنت أرتدي أجمل قمصان نومها ... حتى لمحت باب الغرفة يتحرك ويفتح لأراها تقف امامي مذهولة مرعوبه، ثم بدأت تصرخ: لا لا مستحيل ..... بجنون صارت تصرخ، وزوجها حينما رآها صار يصرخ هو الآخر كالذي يلاحقه الموت، يصرخ فقط برعب شديد، أما أنا فقد لففت قميص نومها حول جسدي ومررت بهدوء إلى غرفتي وكلي سعادة فقد انتقمت منها على أقل تقدير، لتعلم أنه يحبني أكثر منها !
وفي الممر كانت والدتها واقفة هناك، تسمع الصراخ وتحاول العبور لتصل لغرفة النوم وعندما رأتني على هذه الحالة أمسكتني من شعري وصرخت بي : ماذا كنت تفعلين؟!
صرخت ابنتها من خلفي: سأموت يا أمي ألحقيني ساموت وسقطت مغشيًا عليها .
أما أنا فقد حملت حقيبتي وكل ما أملك من مال وذهب وملابس جديدة واستأجرت سيارة أجرة وهربت إلى المكتب، لأحتمي به منهم !

وفي المكتب سالوني عن سبب هروبي من منزل مخدومي فقلت لهم: زوجته قاسية عذبتني وطردتني وأنا لا زلت أرغب في العمل فأنا فقيرة ومسكينة وأصرف على عائلتي في بلدي، ورجوت صاحب المكتب ان يجد لي عائلة أخرى اعمل فيها وأن لا يعيدني إلى بلدي الآن فأنا لم أكمل سوى 6 شهور هنا .....
بقيت في المكتب يومين حتى كان اللقاء مع ضحيتي الجديدة....... زارت مكتبنا بصحبة زوجها وكانا زوجين ملتزمين فهي منتقبة وزوجها ذا لحية طويلة، فسألت نفسي : هل سأنجح معه قلت : لأجرب!
كان كل صباح يتردد على البيت موظف الصيانة لأن الشقة جديدة ويأتي ليركب بعض النواقص أو يتأكد من سلامة بعض الأجهزة كالمكيفات والسخانات وغيرها، في البداية لاحظت أنه معجب، وعرض عليَّ المال في .. وهكذا دخلت علاقة حب جديدة في غرفتي في شقة مخدومي كل صباح يدخل من باب المطبخ الخلفي ويسهل الأمر انه يقيم في نفس البناية !
كنت ألاحظ طوال فترة عملي أن مخدومي يراقبني بحذر ... وذات يوم صادفني بالمطبخ الضيق !
وفي المساء خرج هو ككل يوم، ثم خرجت زوجته للنادي الرياضي كعادتها مساء كل اثنين، ثم عاد هو بعد أن خرجت مباشرة ... ثم أعطاني خمسمائة درهم وقال هذه لك، ومن اليوم وصاعدًا أنت ملك يميني، استمتع بك وأدفع لك...
ففكرت أنه عليَّ أن أتخلص من عشيقي لكي لا ينفضح أمري وكان مخدومي يأتي كل صباح نصف ساعة ... ثم يعود لعمله، وفي الليل ...

لكنه كان شرهًا وعنيفًا فكرهته ، وقررت أن أخبر زوجته ، وأريتها آثار عنفه على جسدي ، فاستدعتْ أختها واستشارتها ثم خرجتا وكانت في يدها كيس صغيرة قالت لي : خذي هذه ألفا درهم وأسويرة من ذهب، غالية الثمن، هي لك تعويضًا عما حدث، وأرجوك أن تكتمي الأمر وتنسيه تمامًا، ولا تبلغي الشرطة فنحن لا نحتمل الفضائح، أرجوك لا تتهوري وأنا سأعيدك للمكتب وسأوصيهم خيرًا بك، وهكذا فعلتْ فقد تصرفتْ طوال اليوم بشكل عادي جدًا مع زوجها ، وفي الصباح أخذتني إلى المكتب !
وبعد يوم واحد جاء قدري الجديد، رجل يبدو أنه في الخمسين قلت: لماذا لا أجرِّب هذا الشايب ، وذهبتُ معه لمنزله الكبير المكون من طابقين، وهناك التقيت بزوجته المريضة .. وكانت هناك أيضًا خادمة فلبينية مسؤولة عن المطبخ، اما انا فكان واجبي العناية بالمرأة .
ومنذ النظرة الأولى لاحظت ان الفلبينية سحاقية ، ومنذ اليوم الأول بدأت الفلبينية بالتحرش بي
وكان هو لا يبالي بي ، فقررت أن أتجرأ قليلاً وأصبحت أتصيد الفرص لالتصق به في دروب البيت أو الممرات، وأتعمد العمل في غرفة نومهما والحمامات وأنا كاشفة عن ساقي، وأكشف عن صدري دائمًا وكأني نسيت أن أغلق الأزرار.. وهكذا .... احترت في أمره وقررت أن أهجم عليه بنفسي، وفي إحدى الليالي بعد أن عاد من المجلس، جلست أبكي تحت الدرج المؤدي لغرف النوم، سمع صوتي وجاء ليسألني عن سبب بكائي، وكنت أرتدي ثوبًا مغريًا ، اقترب مني وعينيه في الارض وسألني عن سبب بكائي فقلت له: إني حزينة لأني سأترك البلد بعد عدة شهور.....وصرت ابكي حتى اقتربت من صدره وارتميت بسرعة في حضنه.. ذعر

من جرأتي وفهم مقصدي، فدفعني بقوة للخلف، ووجهه شديد الغضب، وهو يردد عليَّ : أعوذ بالله أعوذ بالله، أنت فاسقة!!! ذهلت لم أكن أتوقع منه كل هذا الغضب، وصار يهددني بالطرد ويتوعدني، لم أتصور مطلقًا أن يكون هذا الرجل الطيب الودود الهادئ بهذه العصبية والقوة والصرامة!

بقيت ليلتي مذعورة من ردة فعله، وفي الصباح كان كل شي عادي لم يخبر أحدًا ...

وفازت الفلبينية التي راهنتني عليه أني لن أتمكن من إغوائه أبدا، فهي تعرفه جيدًا كما تقول !

ولم يكن أمامي سوى صبي البقالة المراهق الأسيوي ففتحت الباب له، وأصبحت أدخله كل ليلة عبر الباب الخلفي،وأخرجه قبل الفجر ، وبعد ثلاثة شهور اكتشفت المأساة فقد كنت حاملاً في الشهر الثالث من صبي البقالة فلم أجد أمامي إلا أن أخبره لكي نتزوج سريعًا فيستر عليَّ، ولكنه قال: أنا لا أستطيع الزواج منك ولا أثق في أن هذا الجنين هو طفلي ثم خرج وتركني .. وهرب من البقالة ...

أخبرت الفلبينية بما حدث معي فأشارت عليَّ أن أخفي حملي حتى ألد ثم نقوم معًا بقتل الجنين الذي لن يعلم عنه أحد..!

وهكذا مضت شهور حملي ثقيلة مؤلمة مروعة، وولدت بها في صمت شديد، فقامت الفلبينية بخنق المولودة بيديها، وقمنا معا بلفها في فوطة كبيرة ولأن الوقت متأخر قذفت بها الفلبينية في حاوية قمامة بعيدة عن حينا، ..... وعند الصباح تفاجأنا ونحن نسمع صوت الإسعاف في الحي، وخرجت الفلبينية لتاتي بالخبر، وكانت الصاعقة ! كان مجموعة من رجال الحي كانوا عائدين من صلاة الفجر ومارّين من تلك الطريق قرب حاوية القمامة فسمعوا صوت طفل يبكي فقاموا

بقلب الحاوية واتصلوا بالشرطة وبالإسعاف، وفي المستشفى تبين أنها تعرضت للخنق فور ولادتها وأنها دخلت إثر الاختناق في غيبوبة دامت ثلاث ساعات، وعندما عادت للوعي بدأت تصرخ فسمعها الرجال .
وعند الظهر كانت قد اجتمعت المعلومات لدى الشرطة أن الأندونيسية التي كان كل النسوة قد لا حظوا عليها البطن المنفوخ في الأيام الأخيرة ، وهكذا تم القاء القبض عليَّ بتهمة الزنى والشروع في القتل.
لم أكن أتوقع ان يفتضح أمري بهذه السرعة أبدًا وكان الأمر اشبه بالصاعقة علي، سألتني إحدى الشرطيات عن هوية والد الطفلة وبسرعة خطر في بالي أن أقول إنه صاحب البيت الذي أعمل فيه، فأجبره على الزواج بي خشية الفضيحة وبدأت احكي لهم كذبتي قائلة: ياسيدي أنا خدامة مسكينة أتيت لهذه البلد لأعمل، وأصرف على إخوتي الفقراء في بلدي، ولكن سوء حظي أوقعني في براثن هذا الرجل الجاني، لقد حاول أكثر من مرة إغوائي وكنت أصده طوال الوقت، وفي تلك الليلة هجم عليَّ في غرفتي وقام باغتصابي وهددني بالقتل لو أخبرت أحدًا، وكان كل ليلة يتسلل إلى غرفتي لاغتصابي وهو الذي خنق الطفلة بيديه!!
وعندما هَمَّت الشرطة بالقبض عليه كان في مجلسه وسط الرجال، تم القبض عليه بطريقة أثارت فضيحة كبرى، دمرت عليه حياته ... ودافع عن نفسه بعناد ، لكن الشرطة طلبت حبسه على ذمة التحقيق ريثما يثبت الأمر، وهكذا أودع تلك الليلة السجن، وبعد ساعتين من دخوله السجن أصيب بنوبة قلبية ونقل بعدها للمستشفى ليفارق الحياة عند الفجر، لم يحتمل الرجل الطيب الفضيحة ، وكان بارًا بوالديه وحسن السمعة في حيه، ومحبًا حقيقة لزوجته وقد ربى رجالاً ...

بعد تلك الحادثة بقي الناس منقسمون حوله منهم من كان يجزم أنه بريء ، ومنهم من قال كل شيء ممكن ، ومنهم من أصبح غير متأكد إن كان فعلها أو لم يفعلها .
عندما علمت بوفاته كرهته ولم اتألم عليه فقد حرمني من فرصتي الوحيدة في النجاة، وشعرت أنه ينتصر عليَّ حتى بوفاته، واحترت ماذا افعل، وفي صباح وفاته ظهرت شاهدة جديدة في القضية،إنها الجارة التي أكرهها كثيرا، لأنها كانت ترمقني دائمًا بعيون الشك والريبة والاحتقار كلما زارتنا، هي امراة متزوجة... وهي التي تقوم كل فجر بتنظيف أمام البيت قبل ان يخرج الرجال للصلاة، وفي إحدى المرات بينما كانت تنظف رأت صبي البقالة وهو يخرج خلسة من الباب الخلفي لمنزل كفيل الخادمة ورأتني وأنا أودعه ، وهي التي أشارت بأصابع الاتهام للفلبينية قامت الشرطة بالبحث والتقصي عن الهندي صبي البقالة وتم فعلاً العثور عليه يعمل بدون ترخيص في إمارة أخرى، كما تم استجواب الفلبينية وبالضغط عليها أكدت أن الطفلة هي لصبي البقالة وأن صاحب البيت لم يكن سهلاً ليتم إغواؤه وروت لهم كيف حاولت الأندونيسية أكثر من مرة أن تغويه لكنها فشلت، أما صبي البقالة فقد اعترف ، وأنكرت الفلبينية تمامًا محاولتها قتل الطفلة لكن البصمات البصمات على فم ووجه الطفلة ورقبتها موضع الخنق كانت للفلبينية .
وبقيت مصرة على أن الطفلة هي ابنة صاحب البيت حتى بعد مواجهتي بأقوال كل من صبي البقالة والفلبينية، على أمل اعتراف من أبناء صاحب البيت لأعيش في خيرهم.!!!
لكن في النهاية أودعت السجن بتهمة الزنى والشروع في القتل فقط.!
بينما أودعت الطفلة إحدى دور الرعاية .

لكني لم أندم ؟! أندم على ماذا ! لكنني نادمة فعلا على غلطة واحدة أني لم أتذكر حبوب منع الحمل في تلك الفترة ، لولاها لكنت الآن أستمتع بحياتي خارج هذه القضبان أو أستمتع بما جمعت من مال هناك في بلدي !

إنني حاقدة عليكن بنات الخليج فمنكن القبيحة الغبية والساذجة ومع هذا لديكن الخير،، كيف و لماذا ..؟؟؟ كل واحدة تسكن في قصر شاهق ولديها زوج وسيم وهي لا تساوي قرشًا واحدًا، غبية!!! فكل نساء الخليج لا يعرفن كيف يحفظن أزواجهن، إنهن كسولات وتقليديات ونكديات، أنتن لا تستحقن العز الذي تعيشن فيه..!!!

الفصل الثالث والخمسون
ليلة من غير مَحْرَم !

قال ابن حزم- وهو جهمي ظاهري- في كتابه طوق الحمامة- وفيه طوام- في باب قبح المعصية (ص 172):
(حدثني ثعلب بن موسى قال: حدثني سليمان بن أحمد الشاعر قال:

حدثتني امرأة اسمها هند: كنتُ رأيتُها في المشرق، وكانت قد حَجَّت خمس حَجَّات وهي من المتعبدات المجتهدات.

فقالت لي: يا ابنَ أخي، لا تحسنُ الظن بامرأة قطُّ ! فإني أخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عز وجل:

ركبتُ البحرَ منصرفة من الحج وقد رفضتُ الدنيا، وأنا خامسة نسوة كلهن قد حججن، وصرنا في مركب في بحر القُلْزُم، وفي بعض ملاحي السفينة رجلٌ مضمر الخَلق، مديد القامة، واسع الأكتاف، حسن التركيب.

فرأيتُه أولَ ليلة قد أتى إلى إحدى صواحبي، فوضع إحليله- وكان ضخماً جداً- في يدها، فأمكنتْه في الوقت من نفسها !

ثم مرَّ عليهن كلهن في ليالي متواليات !

فلم يبق له غيرها- تعني نفسها.

قالت: فقلت في نفسي: لأنتقمن منك!

فأخذتُ موسى (تعني سكيناً حاداً)، وأمسكتُها بيدي.

فأتى في الليل على جاري عادته، فلما فعل كفعله في سائر الليالي (وضع إحليله في كفها) وسقطتْ الموسى عليه، فارتاع، وقام لينهض.
قالت: فأشفقتُ عليه، وقلتُ له وقد أمسكته!: لا زلتَ أو آخذ نصيبي منك!
قالت العجور: فقضي وطره، وأستغفر الله!!
فهذه عظات:
ا- قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما.
من كانت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تسافر إلا مع ذي مَحْرَم
وتواصَى السلف الصالح رحمهم الله تعالى :
(إياك أن تخلوَ بامرأة ولو قلتَ: أعلِّمُها القرآن) !
فبعد هذا لا تقل بجواز الخلوة مع طبيب أو مدرس !
ولو كان بين الطرفين عداوة كما رأيتَ !
2- ولو كان السفر مع نسوة ثقات! أو مع كثير من الرجال!
وقد سمعنا بحوادث كثيرة من اختطاف عدد كبير من الرجال لامرأة واحدة أو أكثر !
3- وأن المرء لا ينبغي أن يعرِّضَ نفسه لمقدمات المعاصي ليختبر نفسه أو ثقة منه بنفسه، فإن ذلك من كيد الشيطان ليوقعه في المعصية، بل تجنبه مقدمة المعصية أو الاستمرار فيها دليل صلاحه.
ومن وثق بنفسه خانته: (إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)[يوسف/53]
وأوصى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته كل يوم تقول: اللهم لا تَكِلْني إلى نفسي طرْفَةَ عين .
نعم قد يتعرض المرء رغماً عنه لمقدمات الفتن وأسبابها، فينجيه الله- عز وجل، لكن أن يكون باختياره وعلمه فلا

فقد أجبروا شَريك النخعي- على أن يتولى القضاء، وكانوا يوكلون به شرطيين ليُقعداه في مجلس القضاء رغماً عنه كيلا يفرَّ منه !- أما في زمانك فالناس تتهافتُ على المناصب! - فلما مَرَّتْ أيامٌ، ووجد أنه سيُقعده الشرطيان رغماً عنه قعد دون أن يُقعداه، فبلغ ذلك سفيان الثوري، فأتاه، فقال له: لو أن امرأة كانت جالسة، فأتى رجلٌ فاحتملها غصباً عنها، فزنى بها! فقال شَريك: هي مكرهة!

فقال سفيان: فجاءتْ في اليوم التالي متزينة، فجلستْ في المكان نفسه حتى جاء الرجل فاحتملها، فزنى بها !

ففهم شريك، ومضى سفيان لا يكلمه !

ومن القصص في ذلك قصة دير العذاري:

نزل عليه لصوص، فسرقوا وزنوا بالراهبات، فوجدوهن كلهن غير عذارى قد سبقهم إليهن سابق !

رواه الشابشتي في كتابه الديارات وغيره في غيره

وقد فشا في أوربا وغيرها التحذير من ذلك والفضائح فيه !

ركبتُ ذات مرَّةٍ سيارة أجرة، فأشارتْ للسائق امرأة، فهمَّ أن يقف ليأخذها:

فقلت له: امش، لا يجوز لك أن تُركبها بجواري بل ولا معي

فقال: أنت شيخ، ولو كان مكانك شاب ما أركبتُها بجواره!

فقلت له: أليس الشيخ رجلاً؟! ثم أليس من إكرام الشيخ ألا تعرضه للفتن وأن تكرمه عن أن يجلس بجواره امرأة ولو كانت شيخة مثله طالما أنها ليست بذات مَحْرَم منه؟!

وأقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي التابعي- رحمه الله تعالى- وكانت توصف بالجمال، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة- وكان شاعراً يتعرض للنساء وتاب في آخر عمره، فلما خرجتْ مَرَّةً أخرى أخبرت زوجها، فخرج معها، فلما رآها الشاعر أقبل، فلما رأى زوجها أعرض، فتمثلت:

تعدو الذئابُ على من لاكلابَ له...وتتقي صولة الحامي المستأسد

فذُكِرَتْ هذه القصة لبعض الأمراء، فقال: عَلِّموها النساء.
وانتشرت في الشام قصة المرأة المتزوجة التي وقع منها هذه القصة، فلما تابت كتبتْ تسأل: ذاك أنها سافرت في الطائرة دون محرم، فرآها الطيار، فأعجبتْه، فأرسل الخادمة المسماة بالمضيفة لتراودها عن نفسها لحسابه! فأذعنتْ، فهبط الطيار بالطائرة في مطار آخر اضطرارياً بزعم الخلل في رحلة داخل البلاد، وباتوا في فندق حتى يتيسر لهم إكمال رحلتهم في الصباح، وبات معها !
فهذه وأمثالها من القصص:
عبرة لمن تتهاون في أمر المَحْرم في السفر، وقد احتاجت إلى المَحْرم في داخل قريتها وبلدها، فكيف بالسفر مع المَثَل المشهور عندهم والذي عَرَّبتُه وهَذَّبْتُه:
البلد التى ما يعرفك فيها أحد افعلْ ما تشاء فيها بلا حدّ!
فقد ذهب الحياء فكيف يستحيي من العباد من لا يستحيي من رب العباد الذي له ملك كل البلاد والعباد ولا يخفى عليه!
وصار خوفاً من سمعة السوء في البلد التي يعيش فيها فقط!
وهذا الكلام في المحرم الرشيد لا الديّوث الذي يحتاج إلى محرم فتراه يفخر بامرأته وأخته وابنته العارية !
نعم يحتاج إلى محرم
ومع محرم السوء أيضاً !
إنها قصص فيمن ضاع دينه لمَّا باعه، ليشتري به شهوة ساعة:
لَعَنَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحلّل والمحلَّل له ذاك التيس المستعار الذي يتفق معه الزوج الأحمق الذي ملَّكه الله تعالى أمر امرأته، فلم يعتبر بطلقة ولا طلقتين، و لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فطلقها ثلاثاً،ثم ندم وحاول خداعَ رب العالمين ! فاتفق هو والمرأة على أن تتزوج ليلة

وأحدة برجل آخر، ثم يطلقها ذاك التيس، لتعود إلى التيس الأول! وذاك مقابل مال يعطاه التيس المستعار! من التيس الأول !
وكثيراً ما تروقُ المرأة للتيس المستعار، فلا يطلقها إذا أصبح، أو يُمسكها ليأخذ بها مزيداً من المال!
- ومن ذلك قصص الدياثة وذهاب- ولا أقول: قلة- الغَيْرة فلا غَيْرة رجال فقد ذهبت الرجولة إلى الخنوثة والأنوثة!
ولا غَيْرة إيمان كما قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأين الإيمان فى قلب الديوث وقد خلعه كما يخلع ثوب الحياء والستر والصلاح ؟!
قصص من باع امرأته أمام عينه وبأمره لتاجر المخدرات، ولأصحابه في شرب المسكرات، وللناس كلهم حينما يمشي معها في الشوارع والشواطيء والبيوت وهي عارية فى ثيابها الفاضحة.
وقصة ذاك المخرج الذي يصوِّر فيلماً وفيه مشهد لامرأته يقبلها ويعانقها على السرير رجلٌ آخر، فيعيد تمثيل المشهد مرات لأنه ليس فيه حرارة !
وقصة ذاك الأب والأخ والابن الذي يسمح لمحارمه بمشاهدة أفلام العري والفجور وهو معهم!
وقصة من حملته مخدرات السكر أو مخدرات التمثيليات على الزنا بمحارمه !
أين ذهبتْ رجولة ذاك المخنث الذي يَسُرُّه أن تزني عيون الرجال بامرأته وأخته وابنته!
بل والله ما هو أكثر من العيون والقلوب
مما يعلمه كل رجل يطلق بصره فيقوم لذلك ذكره!؟

وأين ذهب حياء تلك الفاجرة التي يَسُرُّها أن تزني بها العيون، وتتخيلها الأوهام في كل حال، بل ويقوم لها ذَكَرُ مَن يراها على حالها ذاك من الفجور والعري!؟
جاء إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شابٌّ يشتكي شدة الشهوة! يقول: ائذن لي يا رسول الله في الزنا !؟
فقال: أترضاه لأمك أو لأختك أو لعمتك أو لخالتك؟!
فقال الرجل: لا (إذْ قد بَقيَتْ فيه غَيْرَة الرجال).
فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم وأخواتهم وعماتهم وخالاتهم.
يعني: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ثم دعا له بالعفة.
ولذلك كان يقال: ما زنا غيورٌ قطٌّ .
وكان العرب يقولون: (كلُّ ذاتِ صدارٍ خالةٌ) أي كل امرأة عندك مثل خالتك في الحرمة .
وأخلاقهم- شعراً ونثراً- في صيانة الجار حتى في الجاهلية:
وأغضُّ طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مثواها
لا أخلاق هؤلاء من تعريض الجار بادئ ذي بدء للأذى في كل شيء حتى في نسائه!
فإنا لله وانا إليه راجعون، وصدق رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رجالٌ كأشباه الرجال، نساؤهم كاسيات عاريات.
لتتبعن سَنَنَ مَن كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع .
والله المستعان، فما في الرجال على النساء أمينُ- كما قيل، بل كما كان حال المجوس الذين استحلُّوا كلَّ المحارم! و (من تشبه بقوم فهو معهم) كما قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، معهم في الدنيا كما تشبه بهم، ومعهم يوم لا تنفعه معيتهم .

الفصل الرابع والخمسون

ليالي الشعراء

ليلة الفرزدق مع امرأته !!

كان أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعتْ عليه، وتَهَدَّدها بالفضيحة، فاستغاثت بامرأته، فقالت لها: واعديه ليلة ثم أعلميني!، ففعلتْ، وجاءت امرأته، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلما دخل البيتَ أمرتِ الجارية، فأطفأت السراج، وبادرت المرأة إلى الحجلة، واتبعها ، فصار إلى الحجلة، وقد انسلت المرأة خلف الحجلة،وبقيت امرأته فيها، وهو لا يشكُّ أنها صاحبته!

فلما فرغ قالت له: يا عدوَّ الله، يا فاسق!، فعرف نغمتها وأنه خُدِعَ، فقال لها: وأنت هي، يا سبحان الله، ما أطيبك حراماً وأردأك حلالاً!

رواه في الأغاني (34/19)

وفيه أن البُضْع واحد

كما قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تُعْجِبُهُ فَلْيَقُمْ إِلَى أَهْلِهِ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا .

وإنما هي وساوس الشيطان.

وفيه حرمة إطاعة وساوس الشيطان: الرجل أو المرأة يتخيل أن الذي معه غير من معه، فيأتي امرأته وفي مخيلته التفكير في غيرها مكانها، وهي كذلك، فهذا حرام عظيم، وأقل حاله زنا القلب .

ورُوي أن رجلاً كان يواعد أمة له في مكان يأتيها،فعلمتْ ذلك امرأة من النساء، فانطلقت، فجلست في ذلك المكان،

فظن أنها جاريته، فأصاب منها، فلما فرغ نظر فإذا هي ليست بجاريته، فأتى عمر يذكر له،فأرسل إلى علي، فقال: اضرب المرأة حدّاً في العلانية، والرجل حدًّا في السر.

رواه البخاري في التاريخ (4/ 231)عن سُرَيج (له كتاب القضاة) : نا هُشَيم عن أبي بِشْر عن شبيب بن أبي روح به.

والتهديد بالتشهير سلاحٌ مشهورٌ في زماننا !

فينبغي للمرأة ألا تقبله مهما كان

فإنه يؤدي إلى شر مما كان !

ومنها ليلة الشاعر الفاجر

ذاك هو امرؤ القيس صاحب الخمر والنساء الذي لعب به الخمر حتى قال: (اليوم خمرٌ وغدًا أمْرٌ)

ولولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى ... وجَدِّك لم أحفلْ متى قام عُوَّدي

والنساء حتى قال :

أغرَّكِ مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل

فمن لياليه الفاجر مع امرأة متزوجة:

سموتُ إليها بعد ما نام أهلها ... سموَّ حُبابِ الماء حالاً على حالِ

فقالت: سباك الله إنك فاضحي ... ألست ترى السُمَّار والناس أحوالي

فقلت: يمينُ الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصالي!

حلفتُ لها بالله حلفة فاجرٍ ... لناموا فما إن من حديثٍ ولاصالي

فلما تنازعنا الحديث وأسْمَحتْ ... هصرتُ بغصنٍ ذي شماريخ ميال

وصرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامنا ... ورُضْتُ فَذَلَّتْ صعبةٌ أي إذلال

فأصبحتُ معشوقًا وأصبح بعلها ... عليه القتامُ سيءُ الظن والبال!

وقصته في دارة جلجل

قال الفرزدق: أصابنا مطرٌ بالبصرة ليلاً، فلما أصبحتُ ركبتُ بغلة لي حتى انتهيتُ إلى المِرْبَد، وإذا آثار دواب.. فاتبعتُ آثارهم حتى أتيتُ على غدير فيه نسوة مستنقعات:

فقلت: لم أرَ كاليوم قط ولا يومَ دارة جُلجُل !

فعُدْنَ في الماء إلى نحورهن، ثم قلن: حَدِّثنا بيوم دارة جلجل!

فقلت: حدثني جدي أن امرء القيس كان عاشقاً لابنة عمه فاطمة، فلم يصل إليها، حتى كان يوم الغدير، وذلك أن الحي احتملوا وقدَّموا الرجال وخلفوا النساء والخدم، فتخلف امرؤ القيس بعد ما سار معهم! فإذا فتياتٌ وابنة عمه فيهن، فلما وردن الغدير نزلن عليه ثم تجردن، فأتاهن مخاتلاً وهن غافلات، فأخذ ثيابهن،وهن منغمسات،ثم جمعها وقعد عليها، ثم قال: لا أعطي جارية منكن ثوبها حتى تخرج كما هي متجردة فتأخذ ثوبها! فكرهن ذلك حتى ارتفع النهار، وخشين أن يقصرن، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثيابها ناحية، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت ابنة عمه، فناشدته أن يطرح عليها ثيابها فقال: لا، فأسبلتْ شَعرها وخَرَجَتْ، فنظر إليها مقبلة ومدبرة، فوضع لها ثيابها.

ثم أقبلن عليه يقلن : عريتنا وأجعتنا، وحبستنا.

فنحر ناقته، وأطعمهن ، فلما أرادوا الرحيل تقسمن متاع راحلته بينهن، وحملته ابنة عمه على غارب بعيرها، فكان يُدخل رأسه في خدرها ويقبِّلها، فإذا امتنعتْ أمالَ حدجها ، فما زال كذلك حتى جَنَّه الليل، ثم أتى أهله فقال فيما قال:

فمثلك بِكْرٌ قد طرقت ُومُرضِعٍ ...فألهيتُها عن ذي تمائم محول

(جمهرة أشعار العرب 234/1-257) ووروا في الأغاني (19/ 26- 28) وفيه:

قال: (فأتاهن فأخذ ثيابهن فجمعها)، ثم أخذ الفرزدق بعض أثوابهن ، (وقال لهن كما أقول لكن: والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو أقامت في الغدير يومها حتى تخرج مُجَرَّدَة) فلما فرغ الفرزدق من حديثه، قالت له إحداهن: اصرف وجْهَك عنا ساعة !

وهَمَسَتْ إلى صُوَيْحباتها بشيء ، فغططن في الماء، فخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كفها طيناً، فضربن بذلك الطين وجهي ومَلَأْنَ عيني وثيابي، وأخذن ثيابهن، وركبتْ إحداهن بغلتي، فما زلتُ في ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي

وجففتها، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي، فوجدتُ رسولاً لهن أَمَرْنه (قل له: طلبتَ منا ما لم يمكننا، وقد وَجَّهنا إليك بزوجتك لتبيتَ معها سائرَ ليلتك [بدلاً منا]!).

الفصل الخامس والخمسون
ليلة المُجَرَّد !

قال في بلاغات النساء (ص 239- 243):حدثني حماد بن إسحاق قال: سمعت

محمد بن وُهَيب الشاعر (الحِمْيَري البصري شاعر الملك العباسي الملقب زوراً بالمأمون وقد لقبتُه بالمأفون لما صنع من إطاعة الجهمية) يحدِّث أبي ، وقال له: والله لأحدثنك بحديثٍ ما سمعه مني أحدٌ، وهو أمانة أن يسمعه منك أحدٌ ما دمتُ حيّاً! إن الله يقول: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)[الأحزاب/72]

يا أبا محمد، إنه حديثٌ ما طنَّ في سَمْعك أعجب منه!

حججتُ، فبَيْنا أنا في سوق الليل بمكة بعد أيام الموسم إذا أنا بامرأة من نساء مكة معها صبي.. فأسفرتْ.. فإذا وجه رقيق وإذا شكل ودلٌّ ولسان ذلق ونغمة رخيمة، فلما رأتني أُحِدُّ النظر إليها قالت: اتبعني

قلت: إن شرطي الحلال من كل شيء.

قالت: ارجع في حرامك ومن أرادك على حرام.

فتبعتها ودخلت زقاق العطارين ثم صعدت درجة.. فصعدت.

فقالت: إني مشغولة (أي متزوجة) وعندي (ما تتمنى) اجتمع كل لك بأصفر سليم: دينار يومك وليلتك تزويجًا صحيحاً ! [كأنه زواج متعة !].

فدَعَتْ جارية لها، فأقبلت بوجه ما أحسب الشمس قد وقعت على مثله قط كأنها صورة، فسَلَّمَتْ وقعدت كالخجلة:

فقالت: أيْ أمِّ، أخبرتِه بشَريطتي؟!
قالت: لا والله يا بنية، تدري ما شريطتها؟!.. لست تصل إليها حتى تسكر، وتغلب على عقلها. [بئس الشريطة، وكثيرٌ من الناس في زمانك يصنعون ذلك،فبئست البداية].
قالت الجارية: وتركتِ شيئاً أيضاً؟!
قالت: نعم ولن تنالها إلا مُجَرَّداً مقبلاً ومدبراً.
قلت: ما أهون هذا وأسهله، وهذا أيضا أفعله.
فأخرجت ديناراً فصفقت وقالت: قولي (للشيخين) هلما الساعة.. فإذا شيخان.. قد أقبلا.. فقَصَّتِ المرأة القصة، فخطب أحدهما، وأقررتُ بالتزويج، وأقَرَّت المرأة، ودَعَوْا لنا بالبركة، ثم نهضنا... وتغدينا.. ثم اندفعتْ تغني شيئاً لم أعرف معناه للشقاء الذي كنتُ فيه:
كأني بالمُجَرَّدِ قد عَلَتْهُ ... نعالُ القوم أو خشبُ السواري!
قلت: جُعلتُ فداكِ، لم أفهم هذا الشعر، ولا أحسبه مما يُغَنَّى به!
قالت : أنا أول من تغنى به ، ومعه بيت آخر ليس هذا وقته، وهو آخر ما أتغنى!
فلما صليتُ العشاء وما أدري كم صليتُ عجلاً وتشوقاً، فلما سلمتُ:
قلت: تأذنين لي- جُعِلْتُ فداكِ في الدنو منك؟
قالت: تَجَرَّدْ.
وذهبتْ كأنها تريد أن تخلع ثيابها، فكدتُ أن أشق ثيابي من العجلة للخروج منها، فتجردتُ، وقمتُ بين يديها..
قالت: انتهِ إلى زاوية البيت وأقبلْ إليَّ حتى أراك مقبلاًً ومدبراً !
وإذا حصيرٌ في الغرفة عليه طوبقي إلى الزاوية.. وإذا تحته خرقٌ إلى السوق، فإذا أنا في السوق مُجَرَّداً، وإذا الشيخان

الشاهدان قد كمنا ناحية وأعدَّا نعالهما فلما هبطتُ عليهما، بادراني فقطعا نعالهما على قفاي، وسَعَوْا بي أهل السوق، وضُرِبْتُ والله يا أبا محمد حتى أُنْسِيتُ اسمي.
فبينا أنا أُخْبَط بنعالٍ مخصوفة وأيدٍ ثقالٍ وخشبٍ دِقاق، وإذا صوتٌ من فوق البيت يغني:
كأني بالمُجَرَّدِ قد عَلَتْهُ ... نعالُ القوم أو خَشَبُ السواري!
ولو عَلِمَ المُجَرَّدُ ما أردنا ... لبادرنا المُجَرَّدُ في الصحاري!
فقلت: هذا والله وقتُ غناء البيت وهو آخر ما قالت إنها تتغناه.. وكنت أنا المُجَرَّدُ وأنا لا أدري.
فلما كادتْ نفسي تُطفأ جاءني واحدٌ بخلق إزارٍ فألقاه عليَّ. وقال: بادرْ ثكلتك أمك- رَحلك قبل أن يدركك السلطان فتتفضح ! ، وانصرفتُ إلى رحلي مطحوناً.

وهذه الليلة قد رواها الفاكهي في أخبار مكة في باب المتعة (1719) ثني حُسين بن حَسن أبو سعيد الأزدي : ثنى محمد بن الحكم ومحمد بن أبي السري : حدثهما صدقة بن أبي صدقة عن أبيه- فذكر القصة بطولها له .
ح وذكره صاحب العقد الفريد (8/ 88- 91) عن إسحاق بن إبراهيم قال لي ابن وهب الشاعر- فذكر القصة له.

فهذا جزاء من يريد الزواج ممن لا يعرف وبالشرط المجحف

الفصل السادس والخمسون

ليلة مجاهد

قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا
وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا
وهو بمعنى: إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدأ بالعشاء وتأتى في ليالي الطاعة ليلة أبي رَيْحانة وخالد- - رضى الله عنهما قال خالد : ليلة الجهاد أحب إليَّ من ليلة عروس !
ومن القصص فى ذلك:
1- أن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري رضي الله عنه في

غزوة أُحُدٍ التقى وأبا سفيان، فلما استعلى حنظلة رآه رجل من الكفارِ فعلاه بالسيف حتى قتله ، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته. فسألوها، فقالت: خرج وهو جُنُبٌ لما سمع الهَيْعة، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لذلك تغسله الملائكة.

رواه أبو نعيم في الصحابة (2225) من طريق السرَّاج في تاريخه ([] والإصابة 361/1) من طريق الأموي عن ابن إسحاق في المغازي () بسند جيد من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، ورواه في الحلية (357/1) من طريق محمد بن سلمة عن ابن إسحاق: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، ورواه ذاك البيهقي من طريق يونس بن بُكير عن ابن إسحاق مرسلاً ، والوصل أصح ، وقوله (عن حنظلة) يعني في قصته فهي ليست عنعنة رواية .

وروى ابن منده في الصحابة عن إبراهيم : لم يكن هذا لأحد من هذه الأمة غيره ، لكن علقه ذاك البيهقي عن أبي شيبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنظلة الراهب و حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما تغسلهما الملائكة .

2- وأن أم حكيم زوج عكرمة بن أبي جهل أسلمتْ يوم الفتح، وأحضرتْ زوجها فأسلم، وخرجا إلى غزو الروم، فاستشهد هناك، فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص.

فلما كانت وقعة مَرْج الصفر أراد خالد أن يدخل بها:

فقالت: لو تأخرتَ حتى يهزم الله هذه الجموع؟

فقال: إن نفسي تحدثني أني أُقتل في جموعهم.

قالت: فدونَك.

فأعرس بها عند القنطرة، فعرفت بعد ذلك فقيل لها: قنطرة أم حكيم.

ثم أصبح، فأولم عليها، فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صَفَّتِ الرومُ صفوفها: صفوفاً خلف صفوف، وبرز رجل منهم يدعو إلى البراز،فبرز إليه حبيب بن مسلمة فقتله حبيب، وبرز خالد فقاتل، فقُتل.

وشَدَّتْ أم حكيم عليها ثيابها، وتبدَّتْ وإن عليها أثر الخلوق (طيب العرس)

فاقتتلوا أشد الاقتتال، وقَتَلَتْ أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد معرِّساً بها.

ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب (4/ 443- 444/ حاشية الإصابة) ونقله عنه في الإصابة.

3- وفي الجاهلية خطب الحارث بن عوف إلى أوس بن حارثة الطائي.. قال خارجة بن سنان: فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته: ادعي لي فلانة- لأكبر بناته فقال يا بنية.. قد أردتُ أن أزوِّجكِ منه، فما تقولين؟
قالت: لا تفعلْ، لأني امرأة في وجهي رِدَّة، وفي خلقي بعض العُهْدة، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحيي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليَّ في ذلك ما فيه.
قال: قومي بارك الله عليك، ادعي لي فلانة- لابنته الوسطى. فأجابته بمثل جوابها وقالت: إني خرقاء وليست بيدي صناعة - وذكرتْ مثلما قالت أختها .
قال: قومي بارك الله فيك، ادعى لى بُهيسة- يعنى الصغرى، وذكر لها ، فقالت: أنت وذاك.. لكني والله والجميلة وجهاً، الصناع يداً، الرفيعة خلقاً،الحسيبة أباً، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير !
فقال: بارك الله عليك.
ثم خرج إلينا، فقال: قد زَوَّجْتُك يا حارث بُهَيْسة بنت أوس.
قال: قد قبلتُ.
فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها.
ثم أمرَ ببيتٍ ، فضُرِبَ له، وأنزله إياه، فلما هُيِّئَتْ بَعَثَ بها إليه، فلما أُدْخِلَتْ إليه لبث هُنيهة ثم خرج إليَّ.
فقلت: أفرغتَ مِن شأنك؟! قال: لا والله .
قلت: وكيف ذاك؟
قال: لما مددتُ يدي إليها قالت: مَهْ أعند أبي وأخوتي؟ هذا والله ما لا يكون !
فأمر بالرحلة، فارتحلنا، ورحلنا بها معنا،فسرنا ما شاء الله، ثم قال لي: تقدَّمْ، فتقدمت، وعدل بها عن الطريق، فما لبثتُ

أن لحق بي ، فقلت: أفرغتَ؟ قال: لاوالله. قلت: ولِمَ؟!
قال: قالت لي: أكما يُفعل بالأمة الجَليبة أو السَّبْية الأَخيذة؟!
لا والله حتى تُنْحَرَ الجُزُرُ وتُذْبَحَ الغنمُ وتدعوَ العرب، وتعمل ما يُعمل لمثلي .
قلت: والله إني لأري همَّة وعقلاً، وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله.
فرحلنا حتى جئنا بلادنا، فأحضر الإبل والغنم، ثم دخل عليها، وخرج إليَّ !
فقلت: أفرغتَ؟ قال: لا قلت: ولِمَ؟!
قال: دخلتُ عليها أريدها، وقلت لها: قد أحضرنا من المال ما قد ترين.
قالت: والله لقد ذُكِرْتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك !
قلت: وكيف؟
قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها؟!
وذلك في أيام حرب عبس وذبيان.
قلت: فيكون ماذا؟
قالت: اخرجْ إلى هؤلاء القوم فأصلحْ بينهم، ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك.
قال خارجة: فقلت: والله إني لأرى همة وعقلاً، ولقد قالت قولاً.
قال الحارث: فاخرج بنا.
فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه،فحملنا عنهم الديات، فكان ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين،فانصرفنا بأجمل الذكر... ورجع فدخل بها، فولدتْ له بنين وبنات.

رواه في الأغاني (9/ 142- 143): أخبرني الحَسن بن علي :ثنا محمد بن القاسم بن مهرويه : ثنا عبد الله بن أبي سعيد :ثنا محمد بن إسحاق المسيبي :ثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال:خطب

الفصل السابع والخمسون
ليلة القرود !

قيل لعَمرو بن ميمون- رحمه الله، وهو من كبار التابعين: حَدِّثْنا بأعجب شيء رأيتَه في الجاهلية !
قال: رأيتُ الرجم في غير بني آدم!
إن أهلي أرسلوني في نخل لهم أحفظها من القرود، فبينما أنا كنتُ يوماً في البستان في حرثٍ لأهلي باليمن، إذْ جاء القرود ، فصعدت نخلة وأنا على شَرَفٍ [يعني على شيء عالي] فرأيتُ قروداً كثيرة قد اجتمعتْ، فتفرقت القرود، فاضطجعوا، فرأيتُ جاء قردٌ وقردة فاضطجعا، ثم أدخلت القردة يدها تحت عنق القرد، فتوسَّد يدها، ثم اعتنقها، ثم ناما فاستثقلا نوماً، إذْ جاء قردٌ آخر أصغر منه، فغمزها مِن تحت رأسها، فرفعتْ رأسها إليه، فنظرتْ إليه، فسَلَّتْ يدها من تحت رأس القرد الأول سلاً رفيقاً ، فتبعته ، فانطلقت معه غيرَ بعيد، فوقع عليها، وأنا أنظر إليه، ثم رجعت القردة إلى القرد مضجعها، فذهبتْ لتُدْخِلَ يدَها في المكان الذي كانت فيه تحت عنق القرد برفق كما كانت، فانتبه القرد، فاستيقظ فزعاً، فقام القردُ إليها فشم دبرها، فصاح صيحة، فاجتمعت إليه القردة، فقام واحدٌ منهم كهيئة الخطيب، فجعل يصيح، ويشير إليه وإليها بيده، فوجَّهوا في طلب القرد، فتفرقت القردة يمنة ويسرة، فلم ألبث أن جاءوا بذلك القرد وأنا أعرفه بعينه، فأخذوهما فانطلقا بهما إلى موضع كثير الرمل، فحفروا لهما حُفَيْرَة، فجعلوهما فيها، ثم رجموهما، فرجمتهما معهم حتى قتلوهما.
فوالله لقد رأيتُ الرجم في غير بني آدم قبل أن يبعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رواه البخاري في صحيحه (3849) بنحوه، وقد خرجته في المستخرج بطوله وطرقه وفوائده.

والقرد يشتهي من المرأة ما يشتهيه الرجل، والقردة تدعو إلى نفسها، فتربيتهما في البيت والخلوة بهما لا تجوز .
وقد كره بعض السلف الصالح رحمهم الله تعالى- الضحك عند النظر إلي القرد لأن المسخ كان من جنسه.
وقد رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ .

الفصل الثامن والخمسون
ليلة الكلب !

قيل: أول ما عرف داودُ من سليمان (صلى الله على نبينا وعليهم وسلم) من حكمته:
أن امرأة كانت كسبت جمالاً.
فجاءتْ إلى القاضي تتخاصم عنده، فأعجبتْه، فأرسل إليها يخطبها، فقالت: (ما أريدُ النكاح).
فراودها على القبيح فقالت: (أنا عن القبيح أبعد).
فانتقلتْ منه إلى صاحب الشرطة، فأصابها منه مثل الذي أصابها من القاضي.
فانتقلت إلى صاحب السوق، فكان منه مثل ذلك.
فانقلبت منه إلى حاجب داود، فأصابها منه مثل ما أصابها من القوم.
فرفضت حقها، ولزمت بيتها .
فبَيْنا القاضي وصاحب الشرطة وصاحب السوق والحاجب جلوسٌ في مجلسٍ يتحدثون، فوقع ذِكْرُها، فتصادق القوم بينهم، وشكا كلٌّ واحدٍ منهم إلى صاحبه ما أصابه من العجب بها.
قال بعضهم: ما يمنعكم وأنتم ولاة الأمرعلى أن تتلطفوا لها فاجتمع رأي القوم أن يشهدوا أن لها كلباً، وأنها تضطجع

فترسله على نفسها حتى ينال منها ما ينال الرجل من المرأة. فدخلوا على داود- عليه السلام، فذكروا له أن امرأة لها كلب تُسَمِّنُه وترسله على نفسها حتى يفعل بها ما يفعل الرجل بالمرأة، فكرهنا أن نرفع أمرها إليك حتى نتحقق ، فمَشَينا حتى دخلنا منزلاً قريباً منها في الساعة التى بلغنا أنها تفعل ذلك، فنظرنا إليها كيف حَلَّتْهُ مِن رباطه، ثم اضطجعت له حتى نال منها ما ينال الرجل من المرأة، ونظرنا إلى الميل يدخل في المكحلة ويخرج منها.

فبعث داود، فأُتي بها، فرجمها.

فخرج سئليمان- وهو يومئذ غلامٌ حين ترعرع، ومعه الغلمان.. فجعل منهم صبياً قاضياً، وآخر على الشرطة، وآخر على السوق، وآخر حاجباً، وآخر كالمرأة، ثم جاءوا يشهدون عند سليمان كهيئة ما شهد أولئك عند داود يريدون رجم ذلك الصبي كما رُجِمَت المرأة .

قال سليمان عن شهادتهم: فَرِّقوا بينهم.

ثم دعا الصبي الذي جعله قاضياً: أتقنتَ الشهادة؟! قال: نعم.

قال: فما كان لون الكلب؟! قال: أسود.

قال: نَحُّوه، ودعا بالذي جَعَلَ على الشرطة، (وهكذا كلٌّ يذكر لوناً غير لون صاحبه).

قال: أردتم أن تَغُشُّوني حتى أرجمَ امرأة من المسلمين، ارجموهم (ثم ذكر أن ذلك بلغ داود ففعله فكان وأمَرَ بهم فقُتِلوا).

رواه أبو عَمرو ابن حمدان ح والمعافي في الجليس (ومن طريقه في تاريخ دمشق 7/560- 566/ ل) : نا محمد بن الحَسن بن زياد المقرئ (هو ابن النقاش له تصانيف وفيه ضعف وقد توبع كما رأيتَ) كلاهما : أنا الحَسن بن سفيان (في مسنده [التلخيص 4/ 194]) : أنا صفوان بن صالح أنا الوليد بن مسلم أنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن عبد الله بن عباس- رضى الله عنهما – موقوفاً، وهو محتمل، وذُكِر تفريق الشهود بعد ذلك عن دانيال عليه السلام في قصة مماثلة، وعن علي رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة (7/ 80، 14/ 107).

وهذا يذكِّرنا بقول الله تعالى : (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) الآية [الأنبياء/78]

وبقصة يوسف- صلى الله على نبينا وعليه وسلم- وكيد النسوة ، لكن ها هنا كيد الرجال وحاميها حراميها !
وقد اشتُهرت تربية الكلاب بين كفار أوربا لهذا الغرض، حتى جهروا به في (أفلامهم) !
والحمد لله على العافية.

الفصل التاسع والخمسون

ليالي الصليبية !

هل كتبهم تعلمهم هذا ؟!
ففيها نشيد الأنشاد الذي لا يعرف أحدٌ منهم مَن كَتَبَه !
فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ.
إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ، فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ.
وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: «أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟»
فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّي وَحُجْرَةَ مَنْ حَبِلَتْ بِي.
هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ! عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكِ. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلِ جِلْعَادَ.
أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ الْجَزَائِزِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْغَسْلِ، اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ، وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ.
شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ، وَفَمُكِ حُلْوٌ. خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقَابِكِ.
قَدْ دَخَلْتُ جَنَّتِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ. قَطَفْتُ مُرِّي مَعَ طِيبِي. أَكَلْتُ شَهْدِي مَعَ عَسَلِي. شَرِبْتُ خَمْرِي مَعَ لَبَنِي.

أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ. صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعًا: «اِفْتَحِي لِي يَا أُخْتِي، يَا حَبِيبَتِي، يَا حَمَامَتِي، يَا كَامِلَتِي! لأَنَّ رَأْسِي امْتَلأَ مِنَ الطَّلِّ، وَقُصَصِي مِنْ نُدَى اللَّيْلِ .
قَدْ خَلَعْتُ ثَوْبِي، فَكَيْفَ أَلْبَسُهُ؟ قَدْ غَسَلْتُ رِجْلَيَّ، فَكَيْفَ أُوَسِّخُهُمَا؟
حَبِيبِي مَدَّ يَدَهُ مِنَ الْكَوَّةِ، فَأَنَّتْ عَلَيْهِ أَحْشَائِي.
قُمْتُ لأَفْتَحَ لِحَبِيبِي وَيَدَايَ تَقْطُرَانِ مُرًّا، وَأَصَابِعِي مُرٌّ قَاطِرٌ عَلَى مَقْبَضِ الْقُفْلِ.
فَتَحْتُ لِحَبِيبِي، لكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ. نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي.
أَيْنَ ذَهَبَ حَبِيبُكِ أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ؟ أَيْنَ تَوَجَّهَ حَبِيبُكِ فَنَطْلُبَهُ مَعَكِ؟
حَبِيبِي نَزَلَ إِلَى جَنَّتِهِ، إِلَى خَمَائِلِ الطِّيبِ، لِيَرْعَى فِي الْجَنَّاتِ، وَيَجْمَعَ السَّوْسَنَ.
أَنَا لِحَبِيبِي وَحَبِيبِي لِي. الرَّاعِي بَيْنَ السَّوْسَنِ.
أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي كَتِرْصَةَ، حَسَنَةٌ كَأُورُشَلِيمَ، مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ.
حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ الْمَعْزِ الرَّابِضِ فِي جِلْعَادَ.
مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ.
سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ.
ثَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ.
عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ.

رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ.
مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ!
قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ.
قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ .
هل كتبهم تعلمه كيف يغتصب أحدهم أخته ؟!
قصة زنى أمنون بأخته ثامار/صاموئيل الثاني الإصحاح 13
دعارة الأختين أهولة و أهوليبة/سفر حزقيال الإصحاح 23
وكان اليّ كلام الرب قائلا:في صباهما زنتا . هناك دغدغت ثديّهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما ...واسمها أهولة أيورهم كأيور الحمير ومنيّهم كمنيّ الخيل...
سفر حزقيال الإصحاح 16
قصة زنى داود بزوجة أوريا /الملوك الثاني الإصحاح 11
وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحمّ .
وكانت المرأة جميلة المنظر جدا.
فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثّي.
فارسل داود رسلا واخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها ، ثم رجعت الى بيتها.
وحبلت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت اني حبلى .
سفر الملوك الأول الإصحاح الأول وداود !
سفر التكوين الإصحاح 19 ولوط
31 وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض.

32 هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه . فنحيي من أبينا نسلا.
33 فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة.ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها.ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها.
34 وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمرًا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه . فنحيي من أبينا نسلا.
35 فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ايضا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه.ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها.
36 فحبلت ابنتا لوط من أبيهما.
يهوذا يزني مع زوجة ابنه ثامار على قارعة الطريق وبعد أن يولد لهما طفلان يكونان جَدَّي المسيح !!!
سفر التكوين الإصحاح 38
إنجيل متى الإصحاح الأول
الجماعية !!! / سفر صاموئيل الثاني الإصحاح 16
سفر التكوين الإصحاح 35
سفر حزقيال الإصحاح 4
سفر القضاة الإصحاح 16
سفر راعوث الإصحاح 3
و يقول أحد الفلاسفة المشهورين و هو برناردو شو :
(الإنجيل أخطر كتاب على وجه الأرض !! احفظوه دائمًا في خزانتكم فيجب ألا تتركوه في متناول أولادكم)
وقد فشا في بلادهم الاغتصاب مع كون الزنا مباحًا عندهم بزعم الحرية وهي في الحقيقية عبادة الشيطان !
بل فشا في كبارهم بل في كنائسهم من فضائح الاغتصاب حتى للأطفال ما انتشرت أخباره في أوربا في هذه السنين !
إنـها من مسلسل قصص حاميها حراميها !

مسلسل نجس يقوم به طبيب أو مدرس أو .... !
ومن ذلك في مصر
قصة المدعو برسوم في بلدة أسيوط من صعيد مصر اغتصب خمسة آلاف امرأة !
تحت زعم أنه يعالج العقم ، أو معالجة الأطفال !

في الأندلس

فتحها المسلمون سنة (92) وفرطوا فيها سنة (897) للنصارى الكاثوليك وهم أهل تعصب شديد ضد كل من يخالفهم حتى من النصارى غير الكاثوليك، ورغم معاهدة الضمان والأمان المزعومة لمدة (350) سنة بعد سقوط غرناطة، فانظر بعض نقضهم لدينهم ومعاهدتهم!:
ما هي الأندلس لولا الإسلام ؟!
إقامة محاكم التفتيش بالكنائس والأديرة
سنة 904 إحراق نحو ألف ألف مخطوط عربي في ميدان كبير في غرناطة!
إحراق (1200) مسلم ومسلمة في جلسة واحدة في طليطلة!
وكذلك الحال في غيرها!
سنة 1223 اكتشف قائد الفرقة الفرنسية بالأندلس محكمة تفتيش كبيرة في دير قرب مدريد تحت الأرض: (السجناء عرايا رجال ونساء) و (آلات لسلّ اللسان، وتمزيق الثدي وسحبه من الصدر، وتكسير العظام، وسحق الجسم بدءً من الرجل فالرأس، وآلة العروس: تابوت فيه صورة امرأة جميلة وعلى جوانبه سكاكين حادة فيدخل الشاب المسلم فيه ويطبقون عليه حتى يتقطع) و (اغتصاب جماعي من الكهنة للنساء المسلمات في هذه السجون)!.
1399 بينما العمال يحفرون في ساحة كنيسة مدينة يرينا على الحدود البرتغالية لاحظوا فتحة قادتهم إلى مقبرة

جماعية بها نحو ستة آلاف جثة، وتسربت أخبار الفضيحة إلى وكالات الأنباء الأوروبية!
في البوشناق من تقارير هذه الوكالات نفسها!
وحقد الأرثوذكس قبل الشيوعية ومعها وبعدها على المسلمين قديم معروف، بل في الحرب العالمية الأولى والثانية كانت عصابات الأرثوذكس الصربية والكاثوليك الكرواتية تقتل آلاف المسلمين وتمثل بجثثهم.
إنها صليبية: فإذا دخلوا بلدًا بدأوا بالمسجد فقتلوا المصلين ومثلوا بالإمام ويرسمون على وجوه المذبوحين الصليب بالسكين! وأذاعوا من مكبرات المسجد أناشيد الصليب!
إنها صليبية: يصرخون: يكفي أن يكون مسلمًا ليُقتل ويُعذَّب!
إنها صليبية: صرخ قادة الصرب بأنها حرب صليبية!
إنها صليبية: فقد شاهد كفار أوربا مذابح هؤلاء مع ذلك حظروا تصدير السلاح إلى المسلمين وأخفوا ما استطاعوا فضائح هؤلاء بزعم المحايدة والتريث!!
- دخلوا بيتا فقتلوا مَن فيه، واغتصب أحدهم شابة فور موتها !
فقال له أصحابه: إنها ميتة، فقال: ما زالت ساخنة !
- عشرة آلاف فتاة من المسلمات للترفيه عن جنود الصرب!
- في براتوناتس وبرجكو عثر على عدد كبير من جثث المسلمات عاريات وقد اغتصبن وقطعت أثداؤهن ومُثل بهن!
- في مودريج عثر على عدد كبير منهن عاريات قد ألقين من سطوح البنايات!
- في ديفتش جمعوا النساء والأطفال والرجال فى ملعب للكرة، ثم قاموا باغتصاب المسلمات أمام رجالهن وأطفالهن، ثم قاموا بقتل الرجال بعد ذلك أمام نسائهن وأطفالهن!
- في زفورنيك اغتصبوا كل مسلمة لم تهرب!

- في روجاتيكا قالت مسلمة: أنا أعرف الذين أحرقوا بيتي وسرقوا أشيائي وأخذوني سجينة، إنهم أصدقائي!! وجيراني الصرب:اغتصبها جارها أولاً، ثم الباقون كل ليلة.
كل المسلمات المحبوسات في المدرسة تعرضن للاغتصاب الجماعي: يصفون أنفسهم صفاً يغتصبونها واحداً تلو الآخر!
- (15) صربياً اغتصبوها بالتناوب أمام أطفالها حتى ماتت
- عمرها 12 سنة اغتصبوها أمام جدتها ووالدتها، فماتت الجدة لم تتحمل !
- تناوب ثلاثة منهم اغتصاب مسلمة ليلة كاملة، ثم ألقوا بها من نافذة المنزل،فكسرت يدها ورجلها.
- يوقفون عشرات المسلمات عاريات تماما صفوفاً ويقومون بتقطيع أثداء بعضهن وهن أحياء، ويفتحون بطون الحوامل منهن، ويمثلون بالأجنة- واحدة تلو الأخرى!
ووضعوا قطة حية في بطن واحدة منهن، وخاطوا بطنها على ذلك لتموت، وهي تتعذب! وأخذوا أعضاء بعضهن وهن أحياء، وسحبوا دماء بعضهم أحياء حتى الموت!
- ثلاث مسلمات عاريات ومقيدات بالسلاسل، وبعد ثلاثة أيام من الاغتصاب المتواصل لهن أشعلوا فيهن النيران!
- ثلاثة جنود صرب اعتقلوا أربع مسلمات في سيارة شحن عسكرية، وأعطوا ثلاثة منهن لبيت اغتصاب فيه (12) صربيا، وقام الجنود الثلاثة باغتصاب الرابعة في السيارة!
خمسون ألف امرأة في البوسنة مغتصبة !
في العراق في أيامنا هذه
فقد قالوا هم : هي حرب صليبية جديدة !
قصص اغتصاب العراقيات السجينات وغير السجينات لا يكاد أحدٌ لا يعرفها ومن أبشعها قصة جنود أعجبتهم شابة عراقية اغتصبوها وسط أهلها ثم أشعلوا فيها النار وقتلوهم

لا تحسب أن الشيوعية وحدهم هم الذين ينادون بشيوعية النساء !
بل أشد أعدائهم من أدعياء الحرية يوافقونهم !
تعرف السبب !
أبوهما واحد هو اليهودية !
جيش من اليهوديات الملوثات بالأمراض يقتحم بلاد المسلمين ! ووو
إنه سلاحهم الفتاك الفتان لاغتصاب العالم كله !
سلاح هو أخطر من سلاح الطيران والبحرية والمدفعية والمشاة والمخابرات ووو
حاولوا منع الزواج المبكر ، ونشر زواج اللوطية ، ودعوا إلى ما أسموه بالزنا الآمن !
زيّنوا الطرق إلى الزنا ببيوت الدعارة المقننة الصحية !
وبحرية الزنا حتى في قوانين بلاد المسلمين !
ثم لم يكفهم هذا حتى دخلوا بيوت من لا يذهب إليهم !
دخلوها بالنت والفضائيات حتى صارت بيوت دعارة !
كما قيل في المثل المصري : الذي لا يشتري يتفرج !
ووالله إنها لمدارس تعليم العملِ بعدها ، وخطوات الشيطان لما بعدها ، فلو لم يكن إلا الرؤية لكفى ، فكيف وهي خطوة !

الفصل الستون

ليالي المبتدعة !

قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ
قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى ؟
قَالَ: فَمَنْ ؟

افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ .

إذن فأهل البدع هم أشباه اليهود والنصارى .

فالمرجئة يهود القبلة ، وعبدة القبور نصارى القبلة وو

وكما صنع هؤلاء صنع هؤلاء !

صنعوا بأهل السنة نحو ذلك في المدينة سنة 63 حين استباحها مسلم بن عقبة ثلاثة أيام، فسموه مسرفاً لا مسلماً، واستباح هو وجنوده المال والنساء والدماء !

الخوارج يبقرون بطن المرأة ويخرجون جنينها على الرمح! في كونار الأفغان حين دخل المجاهدون الأفغان!! على المسلمين هناك فاستباحوا نساءهم وأموالهم وديارهم بدعوى أنهم وهَّابية كفار !

خوارج ليبيا الذين خرجوا على السنوسي

قصص اغتصاب العسكر ورأسهم عفنة

شيعة سورية قصصهم الآن دامية

خوارج التحرير في مصر الآن

تقول واحدة منهن ! : نزلت أنا وصديقتي لنعلن رفضنا للدستور المشوَّه... كانت الشرطة تلقي قنابل مسيلة للدموع بغزارة وبدأ الركض والتدافع... وجدت صديقتي حولها المئات... كل ما كنت ادركه أن هناك المئات من الأيدي تجردني من ملابسي وتخترق جسدي بكل وحشية، يغتصبونني بأصابعهم من الأمام والخلف، بل وأحدهم كان يقبلني من فمي ... أصبحت عارية تماما ... أنا داخل هذه الدائرة المغلقة بإحكام وكلما كنت أحاول أن أصرخ وأن أدافع

عن نفسي وأن أستنجد كانوا يزيدون من عنفهم واغتصابهم ... وكنت أرى منهم من يقف على أماكن عالية لكي يتمكن من المشاهدة مجانًا ... سمعت مجموعة من الشباب على يساري يتفقون على أن يأخذوني لمكان آخر وعلى حد تعبير أحدهم "ناخدها وبعدين واحد واحد يا شباب" ... و فجأة بدأت الكتلة البشرية تدفعني في اتجاه خرابة مظلمة !

فالجناة عادة ما يشكلون حلقة حول الضحية، ويبدأون عملية التحرش بها واستدراجها خارج الميدان، بعد أن يقسموا الأدوار في ما بينهم .

يتولى البعض عملية استدراج الضحية والإنقضاض عليها، بينما تتولى مجموعة أخرى منهم عملية خداع الجماهير أو من يحاول إنقاذ الضحية، عبر إيهامهم بأن تلك الفتاة من الفلول وأنها تشتم شباب الثورة، أو أنها سارقة أو أنها تبيع المخدرات، أو تحمل حول وسطها حزامًا ناسفًا، فينفض الناس من حولها، ولا يستمعون إلى استغاثاتها، وفي حالة إصرار بعض الشباب على إنقاذها، يتم التعدي عليهم بالأسلحة البيضاء .

المعروف 19حالة اغتصاب جماعي في ميدان التحرير في يوم واحد ، غير الحالات غير المعروفة !

منها فتاة تعرضت للاغتصاب بوحشية، ثم طعنها الجناة بسكين في فتحة المهبل، ليخرج نصل السكين من فتح الشرج، والفتاة تصارع الموت في المستشفى .

وأخرى تعرضت للاغتصاب بوحشية من مجموعة، وتركوها في حالة غيبوبة ، وقد أدخلت المستشفى وخضعت لعملية جراحية لاستئصال رحمها، وهي في حالة سيئة للغاية.

تعرف لماذا سقت لك هذا ها هنا ؟!

1- لا لأكدر عليك أفراحك التي في طاعة الله تعالى، بل

لأزيدك إحساساً بها حمداً لله على نعمته
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاَءُ .
وتجنبا للأفراح التي في المعصية فإن المعاصي هي التي تسلط بها هؤلاء الكفار والمبتدعة على من تسلطوا عليه، فاللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، واكفنا شر خلقك كلهم أجمعين حتى أنفسنا.
2- لتحذر، ولتتمسك بدينك ولتدعوا الله جاهداً بالسلامة والأمن (فاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[يوسف/4]

الفصل الحادي والستون
ليالي صوفية !

روي اليونيني في مشيخته (62- 63/ ق) عن شيخه إسماعيل عن ابن قدامة (وله تصانيف) ح وروي ابن اللمش في تاريخ دُنِيسر (ص 142- 143) عن عمرالسَّهْرَوَرْدي (له تصانيف)- كلاهما عن ابن البطي.
ح وروي ابن عياض في التعريف بأبيه (ص 42- 43) عن أبيه عن الصدفي (ولهما تصانيف)
كلاهما (ابن البطي والصدفي) عن ذاك الحميدي المتأخر (420-488) وشتان ما هو والحميدي الإمام صاحب الشافعي و شيخ البخارى- رحمهم الله فأما ذاك المتأخر فشيخه الجهمي الظاهري ابن حزم وهو صوفي غارق حتى صنَّف :تحفة المشتاق في ذكر صوفية العراق!
قال في التذكرة (ص 34- 35) فبئست التذكرة وأيضاً في جذوة المقتبس (ص61- 62) فبئست الجذوة وعنه ابن بشكوال في الصلة ص595- 596)، وزاد في جذوته الترجمة:
(محمد بن شجاع الصوفي أبو عبد الله، كان رجلاً صالحًا مشهورًا على طريقة قدماء الصوفية المحققين وذوي السياحة المتجولين! ثم أقام عندنا إلى أن مات، وقد رأيته في حدود الثلاثين وأربعمائة، ولم أسمع منه شيئاً، ومات قريباً من ذلك:
فحدثنا عنه الرئيس أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب في مجلسه بالمغرب- وكان من أفضل رئيس رأيناه بالمغرب قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفي قال:

كنتُ بمصر أيامَ سياحتي، فتاقتْ نفسي إلى النساء، فذكرتُ ذلك لبعض إخواني،
فقال لي: ان هاهنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة قد ناهزت البلوغ.
قال: فخطبتها، وتزوجتها، فلما دخلتُ عليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي،فاستحييت أن تكون صبية في مثل سنها تصلي وأنا لا أصلي، فاستقبلت القبلة،وصليت ما قُدِّرَ لي حتى غلبتني عيني، فنمت في مصلاي ونامت في مصلاها:

فلما كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك أيضاً!
فلما طال عليَّ قلت لها: يا هذه، ما لاجتماعنا معنى؟!
فقالت لي: أنا في خدمة مولاي، ومن له حقٌّ فما أمنعه؟!
قال: فاستحييتُ من كلامها، وتماديتُ على أمري نحو الشهر، ثم بدا لي في السفر:
فقلت لها: يا هذه!   قالت: لبيك!
قلت إني أردتُ السفر!   فقالت: مصاحباً بالعافية!
قال: فقمتُ، فلما صرتُ عند الباب قامتْ:
فقالت لي: يا سيدي، كان بيننا في الدنيا عهدٌ لم يُقْضَ بتمامه، عسى في الجنة إن شاءالله !
فقلت لها: عسى!
فقالت: أستودعك الله خير مستودَع !
قال فتودعتُ منها، وخرجتُ، ثم عدتُ إلى مصر بعد سنين، فسألت عنها، فقيل لي: هي على أفضل ما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد!
كذا حكى ذاك الحُمَيدي في كتابيه دون تعقيب، بل بالمدح كما في جذوته! فأين ما سطره من كتب أحاديث رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي .
فهذه القصة كلهم أحمق مخالفٌ للسنة داعٍ لدين غير دين الله: الصوفي والبنت ومن ذَكَرَ ذلك معجباً به.
وروى عبد الله بن أحمد في الزهد (354- 355): حدثني أحمد بن إبراهيم (الدورقي له تصانيف) : ثني مثنى بن معاذ أبو الحَسن : ثنا بشْر بن المُفَضَّل :ثنا سلمة بن علقمة عن محمد (بن سيرين) عن عَمرو بن عُتبة بن فرقد أنه
أراده أبواه على أن يزوَّجاه، فأبى، فاستعانا عليه بعثمان بن

عفان رضي الله عنه ، فقال : ما لكَ لا تتزوج، فقد تزوج رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتزوج أبو بكر، وتزوج عمر، وتزوجت أنا ؟!
فقال: ومَن لي بمِثْل أعمالكم؟!
فقال عثمان رضي الله عنه : سبحان الله، سبحان الله.
وأعرض بوجهه، وستره بيده صُنْعَ الرجل الذي رأى شيئًا كرهه.
فلما أكثروا عليه قال: فإني أتزوَّج، فخَطَبَ عليه ابنة جرير.
فقال: إني لا أتزوج امرأة حتى أكلمها ! قالوا: نعم.
قال أبو الحَسن- يعني مثنى: فحدثني فهد بن عوف عن بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد:
فجاءوا بابنة جرير:
فقال لها: إنه لا حاجة لي في النساء، وإن أبواي قد أبيا علي إلا أن يزوِّجاني، ولكِ عندهم من الطعام والكسوة ما تريدين.
قالت: قد رضيتُ.
قال: فلما أتوه بها قام يصلي من الليل، وقامت تصلي خلفه حتى أصبحا، وأصبح صائماً وأصبحت صائمةً!
قال: قال عَمرو: فإن كنتُ لأفتر فيمنعني مكانها.
فقال له أبواه: إنما زوَّجناك نريد ولدك، ولا نرى هذه تلد، فطلقها ، ثم خطب عليه امرأة أخرى:
فقال: لا أتزوج امرأة حتى أكلمها !
فأتياه بها، فقال لها مثلما قال لابنة جرير، ثم فترتْ، فكان يوماً مضطجعاً يُرى أنه نائم:
فقالت لها امرأة من أهلها: يا فلانة، ما لكِ لا تلدين، أعجزت؟!
قالت: أو تلد المرأة من غير بعل ؟!
فلما سمع بذلك طلقها وتركه أبواه.
والإسناد الأول صحيح، والثاني فيه مقال.

وهذه آفة التعبد دون اتباع للسنة، والحمد لله على الإسلام والسنة.
فهذا من مخالفة الصوفية للسنة قبل أن يكون صوفية !
ولهم زندقة من الوجه الآخر، وهو المشهور عنهم في كل عصر ومصر:

قال ذاك الجهمي في تلبيس إبليس على الصوفية (ص 370- 371): وبإسناد عن التنوخي [المعتزلي، وله كتاب، نشوار المحاضرة، عن أبيه قال: أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادي

شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه، ويتكلم على الخطرات، والوساوس، ويحضر حلقته ألوف من الناس، وأنه فارهٌ فَهِمٌ حاذق، فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب.
قال: فمات رجلٌ منهم من أصحابه، وخلّف زوجة صوفية، فاجتمع النساء الصوفيات وهنَّ خلقٌ كثير، ولم يختلط بمأتمهن غيرهن.
فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار،وأخذ يُعَزِّي المرأة بكلام الصوفية:
إلى أن قالت: قد تعزيتُ !
فقال لها: هاهنا غير [يعني غير الصوفية!]؟!
فقالت: لا غير.
قال: فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم، وتعذيبها بعذاب الهموم ؟!
ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار، وتصفو الأرواح، ويقع الإخلافات، وتنزل البركات ؟!
فقالت النساء: إذا شئتَ !
فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم، فلما كان سَحَرٌ خرجوا !
قال التنوخي:
قوله هاهنا غير- أي هاهنا غير موافق المذهب!

فقالت: لا غيرَ ـ أي ليس مخالف!
وقوله: نترك الامتزاج- كناية عن الممازجة وهي الوطء!
وقوله: لتلتقي الأنوار- عندهم أن في كل جسم نوراً إلهياً!
وقوله: الإخلافات- أي يكون لكن خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن!
قال التنوخي:
وهذا عندي عظيم، ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الإسلام.
قال: وبلغني أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة، فقبض على جماعة منهم، وضربهم بالسياط و شرد جموعهم، فكفوا).
كذا، والواجب فيهم لو أَقَرُّوا بجواز هذا أنهم ارتدّوا عن دين الله وتزندقوا .
وابن خفيف له منزلة عالية جداً عند الصوفية!

وقال في المنتظم(288/14/سنة371): (محمد بن خفيف أبو عبد الله الشيرازي... وقد ذكرتُ في كتابي المسمى بتلبيس إبليس عنه من الحكايات ما يدل على أنه كان يذهب مذهب الإباحة).
وقد ترجموه في وفيات (371) في سير النبلاء (16/ 342) وتاريخ ذاك الذهبي الزيف (506- 511) وغيرهم، وطبقات الصوفية للسلمي ولأبي نعيم (387-385/10) وطبقات الشافعية (3/ 9 4 1- 63 1) وغيرهم ترجمة مدح! وتغافلوا كلهم عن هذه القصة!

وما يزال في كل عصر ومصر يقع نظائرها !
وقصَّ الغُمّاري في كتابه جُؤْنة العطار أنه بات ليلة في وكر طريقة صوفية وبجواره أحدهم ،فقال جاره : اخلع سروالك !
قال : لماذا : قال : لنوحِّد الله !
وفي مصر قبل ما يزيد عن عشرين سنة
كتبت صحيفة الفكر الديني بجريدة الأهرام مقالة مصورة عن حلقات الإخاء الصوفية التي تنتهي بمثل ما حدث في قصة ابن خفيف.
وهذه القصص معروفة عند الروافض وهم من أخص

أصحاب الصوفية على عداء بينهم ! ويسمون نتاج تلك الليلة بطبقة المشايخ عندهم !
ومعروفة عند المُجان الفسقة في (ليلة رأس السنة الميلادية) و (جمعيات تبادل ا لزوجات) !
ومِن تزندقهم ما انفضح من أمرهم في كل عصر ومصر من صحبة النسوان والمردان (الأحداث) وقد اعترفوا بذلك حتى بوَّب له شيخ الصوفية القُشَيْري في رسالته! فقال :
(ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث.. وقال فتح الموصلي: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يُعَدُّون من الأبدال كلهم أوْصَوْني عند فراقي إياهم وقالوا: اتق معاشرة الأحداث ومخالطتهم. ومن ارتقى في هذا الباب عن حال الفسق، وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضر وما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد.. فذلك نظير الشرك وقرين الكفر) (ومِن شأن المريد بل من طريقة سالكي هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان، فكيف التعرض لاستجلاب ذلك.. ومن استصغر هذا فعن قريب يَلْقَى ما يفتضح فيه) !
يل ارتقى بعضهم إلى أعظم الكفر فزعم لذلك أدلة في الشرع! بل هو عندهم عين الجمع أي وحدة الوجود !
وبوَّب ذلك الجهمي في تلبيس إبليس على كثير من الصوفية في صحبة الاحداث (ص 264- 277)**، فكان مما ذكره وهو صادق في ذلك:(اتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة.. على سبعة أقسام:**
ا- أخبث القوم.. يقولون بالحلول ![وهذا في كبارهم كابن عربي]
2- قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم ويقصدون الفسق!
3- قوم يستبيحون النظر إلى الوجه الحسن! كما صنَّف لهم

السلمي في سنن الصوفية! بإطلاق دون تقييد بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة، وصنف محمد بن طاهر المقدسي كتاباً في جواز النظر إلى المُرْدان!.
قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم الرجل يلحُّ النظر إلى غلامٍ أمردٍ فاتَّهِموه.
4- قومٍ يقولون: لا ننظر نظر شهوة، وإنما نظر اعتبار!
نظر أحدهم إلى غلام جميل، فقال: سألتك بالله إلا وقفتَ حتى أروى من النظر إليك !
[قال أبو عبد الله :وهذه زندقة
كما رُوي عن كبيرهم أنه كان ينظر إلى النساء ، فلما فضحوه قال : إنما أتذكّر بجمالهم جمال الحور العين !
وفي مصر قومٌ إذا رأى أحدهم المرأة المتبرجة الجميلة قال يغازلها : الله جميل يحب الجمال،اللهم صلِّ على جمال النبي]
5- قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة، وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر اليهم بشهوةٍ هو معصية!
قال مهرجان الصوفي وكان مجوسياً فأسلم وتصوَّف، وكان معه غلامٌ جميلٌ لا يفارقه، وكان إذا جاء الليل قام فصلى، ثم ينام إلى جانبه، ثم يقوم فزعاً، فيصلي ما قُدِّرَ له ثم يعود فينام إلى جانبه! حتى فعل ذلك مراراً.
فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال:
اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى عليَّ سليماً لم أقترف فيه فاحشة ولا كَتَبَتْ عليَّ الحفظة فيه معصية، وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت!.
ثم يقول: يا ليل، اشهدْ بما كان مني فيك، فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام !
ثم يقول : سيدي، أنت تجمع بيننا على تُقى فلا تفرق يوم

تجمع فيه الأحباب!
فأقمتُ معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كله ليلة!
فلما هممتُ بالانصراف (أخبرته) فقلت:
وما الذي يدعوك إلى صحبة من تخاف العَنَتَ مِن قِبله ؟!
هؤلاء قومٌ رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش، فحَسَّن لهم بداياتها،فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة (والمماسة والمصافحة و..):
فإن صَدَقوا فقد اشتغل القلب بمجاهدة الطبع.
وهذا كله جهلٌ وخروجٌ عن آداب الشرع، فإن الله- عز وجل- أَمَرَ بغضِّ البصر ليَسْلَم القلب لله تعالى.
وما مَثَلُ هؤلاء إلا كمَثَل من أقبل إلى سباعٍ في غَيْضة متشاغلة عنه لا تراه، فأثارها وحاربها وقاومها، فيا بُعد سلامته من جراحة إن لم يهلك.
ومنهم من هَمَّتْ نفسُه بالفاحشة، فقتل نفسه ! أو قتل حبيبه!
ومنهم من وقع فيها: فقد كان قومٌ من الصوفية وغلام أمرد يغنيهم، فغلب على رجل منهم أمره، فلم يدر ما يصنع:
فقال الغلام: يا هذا قل لا إله إلا الله!
فقالها الغلام، فقال: أقبِّلُ الفم الذي قال لا إله إلا الله!
6- قوم لم يقصدوا صحبة المردان، وإنما يتوب الصبي، فيصحبهم!
قال صاحبهم يوسف بن الحُسين [الحلية240/10] **:آفة الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وإرفاق النسوان!) انتهى.**
وسياحة الصوفيات دون مَحْرَم ولا زوج ولا رفيق في الصحارى شيء مشتهر عندهم بلا نكير، بل يَعُدُّونه من مناقبهم! بل عَدَّه بعض كبار أدعياء السلفية في كتابه (علو الهمة) مِن علو الهمة، فأعمته صوفيته القديمة التي تَشَرَّبَها من (إحياء الغزالي) فأماته هذا الإحياء عن السنة وعن

تفسير قول الله تعالى:َ(وتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) [البقرة/197] فالحمد لله على السنة ونعوذ بالله من أدعيائها ودَعِيٌّ ثان وثالث وعاشر ممن يلقب نفسه بالأثري يقولون: (جماعات الصحوة كلها أهل سنة)! وكذبوا على دين الله !
ومن ذلك أن (حزب التحرير) يرى جواز تقبيل المرأة الأجنبية وعدم جواز الإيمان بعذاب القبر..!
ومع ذلك تقول موسوعة المذاهب الصادرة عن الندوة العالمية في رياض نجد بأنهم من أهل السنة !
واستباحوا سماع أغاني الغرام ولو من النساء لأنها تهديهم كما قال شيخ الصوفية المعاصر محمد الحامد السوري !
واستباحوا تعرِّي الأجنبيات بحضورهم بدعوى أن ذلك لا يؤثر فيهم: ففي الحلية من كتبهم (42/10و367):
لما تزوج ابن خَضْرُويه حَلَّته زوجته من صداقها على أن يزوِّجهما أبو يزيد البسطامي، فحملها إليه، فدخلتْ عليه، وقعدتْ بين يديه مسفرة عن وجهها! فأنكر عليها زوجها: فقالت له: لأني لما نظرتُ فقدتُ حظوظ نفسي!
فقال له البسطامي يوصيه: تَعَلَّم الفتوة مِن زوجتك!
وقال خير النسَّاج: جاءنا الشبلي وهو سكران، فانهجم على الجُنَيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس، فهَمَّتْ أن تغطي رأسها، فقال: لا عليك ليس هو هناك! فصفق وغنى، فضرب الجنيد رجليه وخرَّ مَغشياً عليه!
واشتهر إفسادهم للنسوان حتى قال في كتاب تلبيس إبليس عليهم نقلاً عن شيخه : (استمالوا النسوة والمردان... فما دخلوا بيتًا فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة عن أزواجهن... ويستصحبون المردان في السماع.. ويخالطون النسوة الأجانب بحجة إلباسهن خرقة التصوف!.. ويعتقدون أن الغناء قربة!).

وذكر الشعراني من كبارهم في طبقاته الكبرى أن رجلاً من أولياء الله- عندهم – خطب امرأة فأخرج ذَكَرَه أمامهم وقال: (لكي لا تقولوا: صغيرأو كبير)!!
هل تعجب لذلك؟! فقد ذكر الدباغ في إبريزه أن غير الولي إذا انكشفت عورته نَفَرَتْ منه الملائكة، وأما الولي فإنها لا تنفر منه لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أوْلى منه ! (43/2ط 1292 بواسطة هذه هي الصوفية/131)
وأعظم من ذلك ما ذكره ذاك الزنديق الملقب بالشعراني في طبقات أخياره (315/1- 316): (وأخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه أن شخصاً أنكر حضور مولد البدوي فسُلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحنُّ إلى دين الإسلام!، فاستغاث بسيدي أحمد رضي الله عنه فقال: بشرط أن لا تعود!، فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه، ثم قال : الله وماذا تنكر علينا ؟ قال: اختلاط الرجال والنساء.
فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه : ذلك واقع في الطواف، ولم يمنع منه أحد.
ثم قال: وعزة ربي ما عصى في مولدي إلا وتاب وحَسُنَتْ توبته، وإذ كنتُ أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً، أفيعجزني الله- عز وجل- عن حماية من يحضر مولدي؟) فهل بعدَ هذا من كفر وزندقة؟!
وقال ذلك الزنديق في طبقاته في أوليائه: (ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه كان يطلع المنبر ويخطب عرياناً فيقول: السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين جامع طولون الحمد لله رب العالمين، فيحصل الناس بسط عظيم!!... وكان يُخْرِجُ الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول: هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك)!! (ومنهم الشيخ علي أبو خودة رضي الله عنه ... إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن

نفسه وحسَّس على مقعدته سواء كان ابن أمير! أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس ولا عليه من أحد !
وأخبرني الشيخ يوسف الحريثي رضي الله عنه قال: كنتُ يوماً في دمياط، فأراد السفر في مركب.. فقالوا للريس: إن أخذتَ هذا غرقت المركب لأنه يفعل في العبيد الفاحشة..
وقال لي مرة: احذر أن تنيكك أمك !
فقلت لعبدٍ من عبيده: ما معنى كلام الشيخ؟!
قال: يُحَذِّرك أن يدخل حب الدنيا في قلبك لأن الدنيا هي أمك)
وهذا يشبه ما جاء في كتب النصارى من نشيد الإنشاد ووو!
(ومنهم سيدي علي وحيش من مجاذيب البحاريةرضي الله عنه : كان من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال.. وله كرامات وخوارق وكان إذا رأى شيخ البلد أو غيره يُنزله من على الحمارة ويقول له: أَمْسِكْ رأسَها لي حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمَّر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يَمُرُّون عليه.. وقد أخبرتُ عنه سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه ، فقال: هؤلاء يُخَيِّلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة)!
(595/2و582-583و606-607ط المكتبة التوفيقية بمصر)
وقد قال ذلك الزنديق في مقدمة كتابه (1/ 6): (فهذا كتاب لخَّصتُ فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يُقْتَدَى بهم في طريق الله عز وجل.. ولا أذكر في أحوالهم في بداياتهم إلا ما كان منشِّطاً للمريدين.. أو كان يدل على تعظيم الشريعة)!
وكبار الصوفية كابن عربي وابن الفارض والغزالي وغيرهم- يقولون بوحدة الوجود والحلول، وهذا معناه عندهم الذي لا يجهرون به أمام غيرهم إلا الواحد بعد الواحد كالحلاج والتلمساني أن: إلهُهُم يحل في كل شيء وخاصة

في الإناث! حتى الدواب والحيوانات! وأن الأم والأخت والبنت وكل امرأة سواء!
ومِن قصصهم في ذلك
ففي الجُؤْنة لأحمد الغماري المغربي (1320-1380) وهو جهمي رافضي قبوري حلولي!(ص181):(وحدة الوجود لا تُدْرَك بالعلم،وإنما تُدْرَك بالذوق وماخاض فيهاأحدٌ بعقله إلاوألحد! وقد كان صوفيٌّ مولويٌ يتردد إلى منزلي بالقاهرة- كان من جملة ما قال: إن لي ولداً تركته بالمدينة،فلو كان هنا لأمرتُك بنكحه، ولقلت له:يا ولدي،اخلع السروال،وخَلِّ عمك ينكحك! وكنتُ يوماً في مجلس مع جماعة هو بينهم،فدخل رجلٌ متهمٌ باللوطية، فلما خرج: قال بعض الحاضرين: إن هذا الرجل دائماً يصلي بالصف الأول في مسجد سيدنا الحسين ليصطاد الغلمان! فقال هذا الخبيث: رضي الله عنه وأرضاه!!
يعني لفعله هذا !
وسألتُه يوماً عن جماعة من الأتراك ينتمون إلى الطريقة البكطاشية ويسكنون بالجبل: هل تزورهم وهم إخوانك في الطريقة؟
فقال: لا، لا أستطيع أن أنكح، ومن شرطهم أنهم ينكحون بعضهم، وينكحوا كل من يزورهم ويجلس معهم في مجلس الطرب والشرب- أي شرب الخمر!!
وحدثني محمد الحافظ قال: كنت تلميذًا لمحمد ماضي أبي العزايم، وكان أخوه المقيم بالصعيد لا يبوحون بسرِّهم، وصادفتُ واحداً منهم، وبقيتُ مدةً أُظهرُ له الود والمحبة إلى أن اطمأن إليَّ فأخذني يومًا للمحل الذي يجتمعون فيه وفيه رجال ونساء في مجلس واحد فأكلوا وشربوا، ثم قاموا للوضوء جميعاً، فجلس الرجال أمام النساء يبولون ويتغوطون، والكل ينظر إلى عورة الآخر، ثم رجعوا إلى

المجلس يتحدثون إلى منتصف الليل، ثم قام كل رجل إلى امرأة وهم في مجلس واحد ينظرون إلى بعضهم! قال: فخرجتُ مندهشاً إلى محلٍّ آخر لأنام فيه، فتبعني بعضهم لينام معي في ذلك المكان:
ثم قال لي: اخلع السراويل!
قلت: ولماذا ؟
قال: لنوحِّدَ الله تعالى!!
قلت: وهل يكون توحيد الله تعالى بالفاحشة؟!
قال: لا فاحشة بين العارفين ، وإنما هو الاستغراق في الشهود!!
قال: فعملتُ حيلة إلى أن تخلصتُ منهم!) انتهى من الجؤنة قد أعماهم حب الحرام حتى توصلوا إليه بوحدة الوجود والحلول والعشق الإلهي والفناء، حتى جعل ابن عربي في فصوصه (1/217 ط الحلبي و 000) **الأنثى أعظم صور التجلي الإلهي!، وقال:(فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق مِن حيث هو فاعل منفعل.. فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح)!**
وجعل ابنُ الفارض إلهه أنثى يخاطبها بضمير المؤنث عشرات المرات في قصيدته التائية !
(تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي، وهذه هي الصوفية للوكيل)
وإذا كان كذلك فلا تعجبْ أن تجد التيجانية مع الفرنجة في جيوشهم ضد بلاد المسلمين في المغرب العربي، وتجدهم يقدسون امرأة نصرانية هي (زوجة السيد/ين) من أسيادهما (دراسات في التصوف ص 273- 279).
بقي سؤال:
قد تقول: ليس كلهم يفعل هذا؟ بل منهم من ينكر فعله ؟!
فأقول لك:
ا- هم يتدينون بالنفاق ويعتبرون كشف الأحوال والمقامات

كتماً للأسرار المحجوبة عن الأغيار !
2- هم يتدينون بالظاهر وهو الشريعة بزعمهم وفهمهم الزنديقي، والباطن وهو الحقيقة وهو الزندقة بعينه، ويرون أن الحقيقة هي أصل الشريعة!
3- هم يذكرون أحوال هؤلاء بالإعجاب ويسمونهم أولياء، وينكرون بل يكفِّرون من أنكر عليهم! ومن أقرَّ حالاً فهو كفاعله سواء .

الفصل الثاني والستون
ماذا تصنع بزوجاتك ؟!

ملك من الملوك له أربع زوجات
كان يحب الرابعة حباً جنونياً ويعمل كل ما في وسعه لإرضائها
أما الثالثة فكان يحبها أيضًا ولكنه يشعر أنها قد تتركه من أجل شخص آخر
زوجته الثانية كانت هي من يلجأ إليها عند الشدائد
وكانت دائماً تستمع إليه
أما الزوجة الأولى فكان يهملها ولا يرعاها ولا يؤتيها حقها مع أنها كانت تحبه كثيراً وكان لها دور كبير في الحفاظ على مملكته .
وفى يوم من الأيام مرض الملك وشعر باقتراب أجله ففكر وقال : أنا الآن لدى أربع زوجات ولا أريد أن أذهب إلى القبر وحدي !
فسأل زوجته الرابعة : أحببتك أكثر من باقي زوجاتي ولَبَّيْتُ كل رغباتك وطلباتك ،
فهل ترضين أن تأتي معي لتؤنسيني في قبري ؟
قالت : مستحيل .
وانصرفتْ فوراً بدون إبداء أي تعاطف مع الملك .

فأحضر زوجته الثالثة وقال لها : أحببتك طيلة حياتي ، فهل ترافقيني في قبري ؟
فقالت : بالطبع لا ، الحياة جميلة وعند موتك سأذهب وأتزوج من غيرك .
فأحضر الثانية وقال لها : كنت دائماً ألجأ إليكِ عند الضيق وطالما ضحيتِ من أجلي وساعدتيني ، فهل ترافقيني إلى قبري ؟
فقالت : سامحني ، لا أستطيع تلبية طلبك ، ولكن أكثر ما أستطيع فعله هو أن أوصلك إلى قبرك .
حزن الملك حزناً شديداً على جحود هؤلاء الزوجات ، وإذا بصوت من بعيد ويقول : أنا أرافقك في قبرك ، وسأكون معك أينما تذهب .
فنظر الملك فإذا بزوجته الأولى وهى في حالة ضعيفة وهزيلة ومريضة بسبب إهمال زوجها لها ،
فندم الملك على سوء رعايته لها في حياته ،
وقال لها : كان ينبغي لي أن أعتنى بكِ أكثر من الباقين ، ولو عاد بي الزمن لكنتِ أنتِ أكثر من أهتم به من زوجاتي الأربع
في الحقيقة كلنا لدينا أربع زوجات
الرابعة .. الجسد :مهما اعتنينا بأجسادنا وأشبعنا شهواتنا فستتركنا الأجساد فوراً عند الموت
الثالثة .. الأموال والممتلكات :عند موتنا ستتركنا وتذهب لأشخاص آخرين
الثانية .. الأهل والأصدقاء :مهما بلغت تضحياتهم لنا في حياتنا
فلا نتوقع منهم أكثر من إيصالهم لنا للقبور عند موتنا

الأولى .. الروح والقلب :ننشغل عن تغذيتها والاعتناء بها على حساب شهواتنا وأموالنا وأصدقائنا
مع أن أرواحنا وقلوبنا هي الوحيدة التي ستكون معنا في قبورنا
يا ترى إذا تمثلت روحك لك اليوم على هيئة إنسان !
كيف سيكون شكلها وهيئتها ؟؟؟ ... هزيلة ضعيفة مُهمَلة! نعم
قد قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ
يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ
فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ .
مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْمَوْتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلاثَةُ أَخِلاَّءَ
أَحَدُهُمْ مَالُهُ قَالَ : خُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ .
وَقَالَ الآخَرُ : أَنَا مَعَكَ أَحمِلُكَ ، فَإِذَا مُتَّ تَرَكْتُكَ .
وَقَالَ الآخَرُ : أَنَا مَعَكَ أَدْخَلُ مَعَكَ وَأَخْرُجُ مَعَكَ .
فَأَحَدُهُمَا مَالُهُ ، وَالآخَرُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ، وَالآخَرُ عَمَلُهُ.
الْأَخِلَّاءُ ثَلَاثَةٌ (ما من عَبدٍ إلاَّ وله ثلاثة أخلاء) :
فَأمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ : لَكَ مَا أَعْطَيْتَ، وَمَا أَمْسَكْتَ فَلَيْسَ لَكَ فَذَلِكَ مَالُكَ .
وَأمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ حَتَّى تَأْتِيَ بَابَ الْمَلِكِ، ثُمَّ أَرْجِعُ وَأَتْرُكُكَ .
فَذَلِكَ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ يُشَيِّعُونَكَ حَتَّى تَأْتِيَ قَبْرَكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ فَيَتْرُكُونَكَ .
وَأمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ حَيْثُ دَخَلْتَ وَحَيْثُ خَرَجْتَ فَذَلِكَ عَمَلُكَ
فَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَهْوَنِ الثَّلَاثَةِ عَلِيَّ !
ويا ليت الأمر يقتصر على هذا !

بل سيكون هربٌ منهم !
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس/34-37]
بل سيكون التمني لو يلقي بهم وينجو !
يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ [المعارج/11-14]
بل سيكون التخاصم !
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [الزمر/31]
أول من يخْتَصم يَوْم الْقِيَامَة الرجل وَامْرَأَته
وَاللهِ مَا يتَكَلَّم لسانها وَلَكِن يداها ورجلاها يَشْهَدَانِ عَلَيْهَا بِمَا كَانَت لزَوجهَا وَتشهد يَدَاهُ وَرجلَاهُ بِمَا كَانَ يوليها
ثمَّ يدعى الرجل وخادمه بِمثل ذَلِك ثمَّ يدعى أهل الْأَسْوَاق وَمَا يُوجد ثمَّ دوانق وَلَا قراريط وَلَكِن حَسَنَات هَذَا تدفع إِلَى هَذَا الَّذِي ظلم وسيئات هَذَا الَّذِي ظلمه تُوضَع عَلَيْهِ .
يخْتَصم النَّاس يَوْم الْقِيَامَة حَتَّى يخْتَصم الرّوح مَعَ الْجَسَد
فَتَقول الرّوح للجسد : أَنْتَ فعلتَ!
وَيَقُول الْجَسَد للروح : أَنْتَ أمرتَ وَأَنتَ سوّلتَ !
فيبعث الله تَعَالَى مَلَكًا فَيَقْضِي بَينهمَا فَيَقُول لَهما: إِن مَثَلَكما كَمَثَلِ رَجُلٍ مُقْعَدٍ بَصِير وَآخر ضَرِير دخلا بستاناً
فَقَالَ المقعَد للضرير: إِنِّي أرى هَا هُنَا ثماراً وَلَكِن لَا أَصِلُ إِلَيْهَا
فَقَالَ لَهُ الضَّرِير: اركبني
فَتَنَاولهَا فَرَكبهُ فَتَنَاولهَا فَأَيّهمَا المعتدي فَيَقُولَانِ: كِلَاهُمَا !
فَيَقُول لَهما الْملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما
يَعْنِي أَن الْجَسَد للروح كالمطية وَهُوَ رَاكِبه .

الفصل الثالث والستون

في الجنة

قال رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[السجدة/17] **أي لم يُر ولم يُسمع ولم يخطر مِثله .**
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا [الزمر/73] **جماعاتٍ وفداً مُكْرَمين، حتى إذا انتهَوْا إلى باب من أبواب الجنة وجدوا عنده شجرة يخرج مِن تحت ساقها عينان تجريان:**
فشربوا من إحداهما، فأذهبتْ ما في بطونهم من أذى أو قذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتطهروا منها،فجَرَتْ عليهم بنضرة النعيم،فلن تتغير أبشارُهم ولن تشعث شعورهم، ولا مرض ولا بول ولا غائط وجُشَاء الطاعم كريح المسك.
فيدخلون الجنة جُرْدًا مُرْدًا بيضاً مُكَحَّلِين على طول آدم ستين ذراعاً، وعلى صورة يوسف وكان قد أُعْطِيَ شطر الحُسْن.
ثم انتهوا إلى خَزَنة الجنة، فقال لهم الخَزَنة: (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)،ثم يلقاهم الولدان المُخَلدون كلٌّ منهم كاللؤلؤ المنثور يقول: أبْشِرْ بما أعدَّ الله لك من الكرامة.
ثم ينطلق منهم غلامٌ الى بعض أزواجه من الحور العين:
فيقول: قد جاء فلان- باسمه.
فتقول: أنت رأيتَه؟!
فيقول: أنا رأيتُه، وهو ذا بأثري.
فيستخفُّ إحداهن الفرح حتى تقوم على أُسكُفة بابها.
والجنة ترابها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وملاطها المسك، وبناؤها لَبِنَة ذهب ولبنة فضة.
وفُرُشها: بطائنها من إستبرق، فكيف بالظهائر؟!

وما في الجنة أعزب، له من الحور العين ثنتان وسبعون زوجة سوى زوجاته من الدنيا:
خيرات الأخلاق، حسان الوجوه ، قاصرات الطرف لا ينظرن إلى غير أزواجهن، مقصورات في الخيام، يتغنيْن لأزواجهن بأحسن صوتٍ تسبيحاً وتحميداً وتقديساً:
نحن الخيرات الحسان، أزواج أقوامٍ كرام،
نحن الخالداتُ فلا نَمُتْنَهْ، نحن الآمناتُ فلا نَخَفْنَهْ، نحن المقيمات فلا نَظْعَنَّهْ
عُرُبٌ متحببات إلى أزواجهن حتى إنه لا تؤذي امرأةٌ في الدنيا زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين:
قاتلكِ الله، إنما هو دخيلٌ (ضيفٌ) يوشك أن يفارقك إلينا !
أبكاراً لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان
كلما رجع إليها وجدها بكراً !
مطهرات من الحيض والنفاس والبول والبراز والمخاط والبصاق.
خُلَقن من زعفران لا من تراب، كأنهن الياقوت والمرجان واللؤلؤ المكنون، لو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرضِ لملأتْ ما بين السماء والأرض ريحاً طيباً ما بينهما، ونَصِيفُها (أي خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ولو أن يدًا منها بياضها وخواتيمها دُلِّيَتْ لأضاءتْ لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا
فكيف بالوجه بياضه وحُسْنه وجماله وتاجه؟! وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، ينفذ ضوء وجوههما غِلَظ القبة حتى يظن من يراها أنها من القبة!
على الواحدة منهن سبعون حُلَّة ليس منها حُلَّة من دون صاحبتها وليس في الجنة لون إلا وهو فيها، ولا ريح طيب إلا قد عبقتْ بها.

فينظرإلى وجهه في خَدِّها أصفى من المِرْآة، ويرى بياض ساقها حتى يرى مخ ساقها من وراء اللحم والكسوة من ذلك من الحُسْن، فينظر إليها فلا يصرف بصره عنها
وهي بزوجها خيمة قاصرة طَرْفها عليه تقول: والله ما ظننتُ أن الله تعالى يخلق مثلك !
للمؤمن خيمة من لؤلؤ مجوَّفة طولها في السماء ستون ميلاً، وله في خيمته أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضُهم بعضاً، وله بيوت وقصور في الجنة.
ويُعْطَى قوة مائة رجل في الشهوة والقوة والجماع .
ويُفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء.
لا يَفنى شبابه، ولا تَبْلَى ثيابه .
يَلَذُّ أولَ الطعام كما يلذ آخرَه .
إنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ.هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ . لَهم فيهاَ فاكهةٌ ولَهُم فيها مَا يَدَّعُونَ . سَلامٌ قَوْلاً مِن رَبٍ رَحِيمٍ [يس/55- 58] **شُغْلهم افتضاض الأبكار بذَكَرٍ لا يَمَلُّ ولا ينثني، وشهوة لا تنقطع، دَحماً دحماً، لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّةَ: لا مني فنزول المني يقطع لذة الجماع وهو من فضلات الجسم التي طَهُرَ منها في الآخرة، ولا منية فالموت يقطع لذة الحياة، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً!**
وفي الجنة سوقٌ يأتونها كل جمعة، فتهبّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسْناً وجمالاً، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حُسْناً وطيباً وجمالاً، فتقول له: قد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشدُّ إعجاباً، والله لقد ازددتم بعدنا حُسْناً وجمالاً.
وأما رؤية وجه الرحمن فيا لها من نعيم لا يوصف !
وما في الدنيا من لذة طيبة إلا وفي الجنة على ما لا يوصف
وما في الدنيا من كدرٍ يكدِّر اللذات إلا وليس هو في الجنة.

وإذا كان هذا هو حال الحور العين
فنساء الدنيا اللواتي يدخلن الجنة خيرٌ منهن .

مضامين الكتاب

سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك

هذا الكتاب

تحتاجه لنفسك في الزواج وغيره ، وتحتاجه لغيرك

الزواج شطر الدين والدنيا

وهو عون على الشطر الآخر !

حينما تودِّع ذاهبًا فإنك توصيه

حينما تريد نصيحته فتقصّ عليه ليعتبر

قصص الصالحين : أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ

قصص غير الصالحين : فالسعيدُ من وُعِظ بغيره

وما من أحدٍ هو أحوج إلى النصح من مُقْبِلٍ على الزواج

فزوجك جنتك ونارك في الدنيا والآخرة

والزواج سفينة إما أن تنجو بمن فيها ، أو تغرق بهم !

فاختر لنفسك ما يدل عليك فالخليل دليل !

فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات

وأيضًا فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات !

والطيب والخبث هو ما بالشرع لا الهوى